

رواية

أحفاد الشر

إسلام وهيب



أحفاد الشر



الكتاب:أحفاد الشر

الكاتب: إسلام وهيب

تصميم الغلاف: كريم وهيب

تدقيق لغوي: د/ سيد الشريف

رقم الإيداع: 2017/23754

الترقيم الدولي: 2-131-778-977-978

الطبعة الأولى: 2018



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت:35860372 02 -27772007 011

Noon_publishing@yahoo.com



إسلام وهيب

أحفاد الشر

رواية





هل لو تقبل الله القربان من قابيل كان سيظل هابيل ذلك الشخص الطيب أم أن ضغوط وظروف ما حدث كانت ستجعل منه شخصًا أخر أكثر شرًا وشراسة .



(1)

ذراعُه المُتحفز ممدود عن آخره، تزحف عليه العُروق الزرقاء البارزة زحف اللبلاب على الجدران، تكسوه قطرات العرق الكثيفة التي بدأت تلمع مع انعكاس الإضاءة، عضلاته المشدودة على ذراعِه المتصب تعلن عن ذلك الضغط الشديد الذي يقع تحت تأثيره، تتسارع دقات قلبه وهو يقبض بأصابعِه على سلاح أبيض لامع ذى نصل حاد و أسنان شرسة قاطعة، يوجهه إلى مروان الذي يستقبل هذا التهديد الصريح بسخرية عارمة، نصف ثغره متكتل على الجانب الأيمن ومفتوح فتحة بسيطة تكشف عن جزء من أسنانِه التي لا تختلف كثيرًا عن أسنان النصل الحاد من وجهة نظر ذلك الشاب، مروان لا يعنيه ذلك التهديد ولا ذلك الانعكاس الضوئي الذي يداعب عينيه حينما تتحرك يد ذلك الشاب فيعكس النصل اللامع الإضاءة على وجه مروان البارد بشكل مبالغ فيه.

– مطوة !! شيل يابني السلاح الصغير ده من ايدك بدل ما تعور بيه نفسك.

قالها مروان بغَطْرسة وتفاخر غريب ينُمُ عن مدى اعتزازه بنفسِه.

– صغير آه، ما أنا للأسف ملقتش حاجة أصغر من كدة علشان أقتلك بيها، ملقتش غير السلاح الرخيص ده علشان أطلّع بيه روحك من جسمك النجس اللي حرام فيه حتى الدفن، أنا المفروض أرميك في صندوق زبالة بعد ما أقتلك.



أجابه مروان ببرود شديد قد يصل إلى حد احتراق الأعصاب .

- ليه يا حبيبي كل الغل ده .

- علشـان أنـت بنى آدم وسـخ والأكسـجين حتـى الـلي بتشـمه حـرام في واحـد زيـك.

- عـلى فكـرة أنـا بنـى آدم كويـس جـدًا، لـو كنـت وسـخ معـاك أو مـع غـيرك فـده علشـان أنتـم تسـتحقوا كـدة مـش علشـان أنـا كـدة .

- ليـه !! أحنـا عملنـا إيـه علشـان نسـتحق منـك كـدة ، ليـه عملـت فينـا كـدة !!؟؟

- بقولـك أيـه بـلاش تكـدب الكدبـة وتصدقهـا وتعيـش فيهـا، أنـا معملتـش حاجـة لحـد فيكـم، أنـا كنـت مجـرد صـوت بيوسـوس بـس ملـوش سـلطان عـلى حـد زي الشـيطان بالظبـط، أنتـم بقـى الـلي سـمعتوا كلامـي وأخدتـوا القـرار.

بدأ مروان يتحرك أمامه بحركة أستعراضية وهو يستأنف حديثه .

- كل السـفن الـلي في العـالم بتتحـرك في بحـور مليانـة ميـه وعمرهـا مـا بتغـرق، عـارف أمتـى تغـرق، أول مـا الميـه دي تدخـل جـوه السـفينة، أنتـم بقـى سـمحتوا للميـه بتاعتـي أنهـا تدخـل جـوه السـفينة بتاعتكـم، يعنـي ده كان قراركـم في النهايـة، بعديـن يـا أخـي كل واحـد فيكـم عـمال يدعـي الفضيلـة مـن يـوم مـا عرفتـه وهـو أبعـد عنهـا بُعـد السـما عـن الأرض ، أقولـك عـلى حاجـة مـا تجيـب المطـوة دي وتخلينـي أشـق نيتـك وأنـا أوريـك فيهـا أيـه !!

- يـا سـلام، مـلاك أنـت بقـى نـازل بجناحـات مـن السـماء، أيـه يـا أخـي التمثيـل ده !! أنـا قربـت أصدقـك وأقتنـع أنـك سـوي وبنـي آدام محـترم مـع أني عرفـت أنـك ورا كل مصيبـة حصلـت لـكل واحـد فينـا .



ابتسم مروان باستفزاز شديد .

- بس بذمتك أيه رأيك في دماغي، سم مش كده.

أجابه ذلك الشاب بانفعال جعل عروق رقبته تنفر كأنها خراطيم مياه ضاقت بحملها في شكلٍ مخيف .

- أنا مش عارف أنت جايب البرود ده منين ؟ هو أنت مش خايف لقتلك !

طقطق فمه في برود شديد .

- اللي يتنازل عن كل حاجة بيحبها ويمشي في الطريق اللي أنت مشيت فيه ده يبقى بني آدم ضعيف صعب أنه يقتل أو حتى يخوفوا بيه عيل صغير .

- ما تفوق بقى من الغيبوبة دي،أنت أيه يا أخي ،بسببك فيه ناس ماتت وناس اتسجنت وناس انكسرت وناس اتذلت وأخرهم واحد راقد في المستشفى بين الحياة والموت، واحد ملوش أي ذنب غير أنه صاحبي وصاحبك، عرفت تضربنا في بعض يا مرروان .

- كلها كانت مِحّن يا صاحبي، اختبارات، اللي نجي منها دا من رحمة ربنا واللي حياته انتهت بمصيبة فده عدل القدر .

أنهى كلماته فارتدت إليه الابتسامة المثيرة للأعصاب، ترجل ببرود أعصاب إلى تلك المنضدة التي تبعد عنه خطوات وهو يتحدث مع ذلك الشاب الذي يتحرك ذراعُه مُشهرًا السلاح الأبيض مع مروان، يتتبعه كما يتتبع دوار الشمس القرص الأصفر .

- فيه مثل إنجليزي شهير بيقول

The Best Revenge Is Living Happy يعني أحلى انتقام أن الواحد ينتقم بالطريقة اللي تسعده، هي الترجمة مش كدة بالظبط بس اعتبرها حاجة قريبة زي عليك اللعنة اللي كان أنيس عبيد بيكتبها في كل شتايم الأفلام الأجنبي.

صب مروان كأس من شراب يُغيب عقل شاربه وتجرع منه بتلذذ شديد وهو يواصل حديثه وسط نظرات ذلك الشاب المتحفز.

- أنا بقى شوفت أني هبقى سعيد لما أتشفى فيكم كلكم من غير ما أأذي واحد فيكم ولا حتى ألمسه بأيدي.

بحركة استعراضية أردف.

- أديت لكل واحد حبل وكرسي وقعدت بعيد أتفرج عليه وأشوفه هيعمل أيه، الغريبة إن كلكم قررتوا تشنقوا انفسكم مع أن الحبل والكرسي كان ممكن يتعمل بيهم حاجات كتير غير المشنقة، بس تعمل أيه بقى، أغبية.

أنهى كلماته ثم ضحك بهستريا قبل أن يضيف.

- أنتم عارفين بجد أيه مشكلتكم، أنتم عاوزين تعيشوا عيشة الأجانب وتموتوا ميتة الصحابة والأولياء، يابني أنتم كل حياتكم غلط في غلط بس بتحبوا تظهروا قدام الناس الشباب الطيب المكافح.

تخضب وجه ذلك الشاب المتحفز وهو يصرخ في وجه مروان كالمجنون.

- حتى لو حياتنا غلط في غلط، أنت اللي هتحاسبنا، أنت مفكر نفسك أيه؟

- أنا المصيدة اللي قررت تصطاد كل واحد فيكم، علشان يبقى فيه

ميزان على الأرض يا صاحبي، أنا اللي قررت أني أحط كل واحد فيكم في ظروف قابيل وأشوف هيفضل بقى هابيل للنهاية ولا هيعمل زي قابيل اللي كلكم قولته عليه قاتل من غير ما حد يحط نفسه في ظروفه ، هابيل نفسه لو كان في ظروف وضغوط قابيل كان ممكن يقتل .

لا يصدق ذلك الشاب ما تسمعه أذنه ، يهز رأسه ببطء شديد وهو يتحدث إليه .

- أنت لا يمكن تكون طبيعي يا مروان ، أنا مش عارف إزاي سمحولك تخرج من المصحة .

- سمحولي أخرج علشان أنتقم لنادين ، اللي أكلتوا في لحمها لما شبعتوا .

- كان جزء من العلاج ، دكتور حازم فهمنا إن ده جزء من العلاج علشان كدة عملنا كدة .

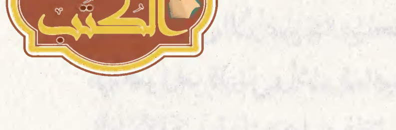
- بطّل بقى ترمي مشاكلك على غيرك، خليك راجل كدة واعترف بالمصيبة اللي عملتها أنت وباقي الشلة .

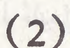
- أنت اللي مش عاوز تسمع غير نفسك يا مروان بس صدقني اللعبة كدة لسه منتهتش، مش هسيب البنى آدم السيء هو اللي ينتصر في النهاية حتى ولو على حساب حياتي.

- خلاص يا صاحبي اللعبة كدة خلصت وأنا كسبان، خلي عندك بقى روح رياضية وقولي مبروك يا مروان باشا .

أنهى كلماته وهو يبتسم باستفزاز مما دفع ذلك الشاب للركض تجاهه وهو يُسدد إليه نصل السلاح الأبيض الحاد فيسقطه قتيلاً .







(2)

قبل ما حدث بشهور

« مروان زيدان » طالب في كلية تجارة من أسرة ميسورة الحال، يقود سيارته في استمتاع ولذة كأنه يتذوق طعامه المفضل الذي يسمح لهرمون السعادة بالانتشار في جسدِه، يفوح منه ذلك العطر المميز، مروان شاب ذو جسد نحيف ولكن تتوارى تلك النحافة خلف هيئته ومظهره المنمق دائمًا، يختار ملابسه بعناية فائقة، يهتم بطريقة ملبسه أكثر من اهتمامه بأي شيء أخر، فالقاعدة الأهم بالنسبة له هي أن طريقة الملبس تؤثر في نظرة الناس إليك؛ لأنها أول رسالة ترسلها للأخرين عن نفسك، لذلك أي وقت تقع عينك عليه ستجده ذا هيئة ومظهر منمق، لا يرتدي سوى الماركات العالمية ولا يدخن سوى لفافات التبغ التي لا تجدها سوى في المتاجر الكبرى، كل تلك التفاصيل الدقيقة تجبرك على أن تطلق عليه « شاب ابن ناس » حينما تلتقي به للمرة الأولى بالإضافة إلى أنه شاب جذاب ذو كاريزما خاصة، بارع في اكتساب ثقة من حوله بسرعة البرق، لديه قدرة غريبة على الإقناع علاوة على أن اهتمامه الزائد بكل من حوله يجعل كل من يتعامل معه ينجذب إليه كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس دون إرادة منه، حينما يستمع إلى أحد يعطيه الاهتمام الذي يشعره بأنه أهم شخص بالنسبة له، يُشعرك دائمًا بأنه يريد مساعدتك بكافة الطرق والوسائل بالإضافة إلى أنه يتمتع بطلاقة لسان غير عادية فهو قادر على

التحدث دون توقف أو الانتقال من موضوع لآخر بسهولة ويسر، ولكن مع كل هذه الإمكانيات إلا أنه يحاول دائمًا أن يكون مستمع جيدًا جدًّا، فالقاعدة الثانية تنص على أن الجميع يحبون من يستمع لهم وليس من يتحدث معهم.

توقف بسيارته في ذلك المكان المخصص للسيارات والذي يبعد خطوات بسيطة عن باب الجامعة، حَطَّ قدميه على الأرض استعدادًا للنزول، فرد ذراعيه عن أخرهما، يتمطى وكأنه كان يقود لساعات طويلة، ينظر من خلف عدسته السوداء تجاه مبنى الجامعة الذي غاب عنه لفترة كانت كفيلة ليتخلف عن أصدقائه وزملاء دراسته، هم جميعًا أصبحوا في السنة النهائية أمَّا هو فمازال في السنة الثانية كما هو لم يتخطاها، ترجل بهدوء لا يخلو من تلك الثقة التي تجعل صدره منتفش إلى الأمام كالديك الرومي في موسم التزاوج، عبر من بوابة الجامعة العملاقة وهو يوزع السلامات على كل من يتذكره من رجال الآمن، يتجول داخل الحرم الجامعي وكأنه مزار سياحي يشتاق لرؤيته كل حين، هاتفه الخلوي بدأ يئن بتلك النغمة المميزة الخاصة به، أجاب على الاتصال وهو ينظر في ساعة يده.

- آه، من شوية كدة، ياريت تنجزي مش عاوز تأخير ودلع، ماشي ماشي خلصي علشان هو هنا، سلام.

يغلق الهاتف بعد تلك المحادثة الهاتفية التي جعلت صوته يَغْلَّظ ويرتفع على غير عادته، يتلفت حوله في صمت، وقعت عيناه على صديقه وزميل دراسته «سيف» ذلك الطالب المجتهد الذي لا يتنازل أبدًا عن مكانه في الصف الأول المواجه للسَّبُورة طوال سنين دراسته، ترتيبه الأول على كلية تجارة في الثلاثة سنوات الماضية،لا تجده يسير في أي مكان إلا وقد تَأَبَّطَ كتابًا أو ربما أكثر خاص بكليته أو دراستِه، يرتدي عوينات سميكة

بعض الشيء وكاب رياضي طوال الوقت،لا يهتم بمظهره ولا بهيئته، لا يعنيه شعره الطويل الغير مهذب والذي يخرج دائمًا بوقاحة متعمدة من جانبي « الكاب » الذي يرتديه في مشهد مقزز للغاية، تراكمت الدهون وتكتلت في جسدِه حيث إنه لا يشارك رفاقه اللهو ولا يعرف سوى الجلوس لساعات طويلة للاستذكار أو لتناول الطعام المليء بالسكريات والسعرات الحرارية التي تُحفز المخ على استقبال المعلومات وتجعله يعمل بصورة جيدة وفي الوقت نفسه تجعله حبيس رف المقاسات المخصصة لمن يعانون من وزن زائد داخل محلات الملابس.

خبراته الحياتيه واحتكاكه بمن هم في نفس سنه تكاد تكون معدومة حتى تجاربه العاطفية السابقة انتهت كلها بالفشل مما جعل ذلك الشيء يتسرب بداخلِه ويكون لديه شعور بالحرمان من الوصول إلى حب حقيقي علاوة على أن عائلته قررت أن تقدم قلبه فدية ليتوقف بحر الدماء، حُرِمَ سيف من أبسط التجارب التي تظهر دائمًا في بداية مرحلة المراهقة والتي تشعر من خلالها بانتشار هرمون التستستيرون والتي تتلخص في تدخين لفافة تبغ صغيرة أو فكرة الهروب من المدرسة، سيف لم يجرب أي شيء من هذه التجارب الصبيانية حتى فترة الإجازة كان يقضيها في مساعدة والده في زراعة الأرض وحرثها، حينما التحق بالجامعة بدأ يكون صدقات حقيقية مع أشخاص قليلة من ضمنها مروان الذي وقعت عيناه عليه صدفة فترجل تجاهه دون أن يشعر به، سيف يجلس على الأرض تحت شجرة كبيرة، يرقد وكأنه ديناصور سَاكِن ليرتاح قليلًا، يقرأ في كتاب «أثر التجارة الإلكترونية على المحاسبة المالية »، اقترب منه مروان أكثر وعلى قسمات وجهه تلك الضحكة الصفراء التي لا تستخدمها إلا حينما تسخر من أحد، رفع نظارة الشمس ورمق بتيقن اسم الكتاب الذي يقرؤه سيف بأسلوب ساخر ارتفع صوته مُرددًا.

- بخربيتك، أنا سيبك من سنتين وأنت بتقرأ في المحاسبة، أرجع دلوقتي ألاقيك لسه بتقرأ فيها.

رَفَع عيناه لتصتدم بـ « مروان » ، ردد اسمه بنبرة صوت تحمل المفاجأة، هبَّ سيف واقفاً وراح يحتضن مروان بحرارة تَنُمُ عن تلك الفترة الكبيرة التي لم يلقه فيها قبل أن يتحدث إليه بلهجته التي لا يزال يحتفظ فيها ببعض الكلمات الصعيدية.

- مروان أنت واحشني جدًّا ، أنا بقالي تقريبًا سنتين بشوفك متقطع ، أنت خرجت من المصحة ولا أيه .

قطب جبهته واحتدت ملامحه ثم أجابه .

- يعني دي كلمة تتقال لواحد مشفتوش بقالك فترة .

قالها بخبث شديد فأجابه سيف وكأنه يُبعد شبهه عن نفسه .

- والله يا مروان ما أقصد، أنا بس عاوز أطمن عليك.

- تطمن عليه !! وأنت يعني كنت بتطمن أوي وأنا في المصحة .

- والله يا مروان الفترة الأخيرة دكتور حازم كان مانع أننا نزورك تمامًا، أخرنا كنا بنكلمك في التليفون .

ابتسم مروان بخبث شديد .

- ما بلاش موضوع التليفون ده يا سيف ، ولا أنت عاوزنا نخسر بعض.

- بكرة تفهم كل حاجة يا صاحبي وتعرف أنه مكنش بمزجنا، دكتور حازم اللي كان عاوز كدة وأنا مكنتش مقتنع، المهم قولي هتعمل أيه في السنتين اللي راحوا منك .

شبح ابتسامة ساخرة يظهر على وجه مروان بعد ما استمع إلى كلمات سيف القاسية بعض الشيء.

– مش كل حاجة مذاكرة ودراسة يا سيف، في حاجات كتير متتمناش أننا نخسرها حتى لو هنضحى بكل سنين الدراسة اللي في حياتنا .

– أنا عارف يا مروان أن نادين كانت غالية عندك أوي، مكنتش مجرد أخت، كانت حاجة متعلقة فيها روحك بس اللي عملته ده عمره ما هيرجعها .

– لو على سنين الدراسة اللي راحت مني بكرة تبقى معيد هنا وتظبتني ، قولي أنت لسه بتطلع الأول .

– آه الحمد الله 3 سنين الأول على الدفعة والسنادي لو ربنا كرمني بامتياز مع أي ترتيب هبقى معيد هنا .

– ربنا يوفقك يا عم سيف، قولي بقيت الشلة فين ؟ فارس وحامد والواد يوسف عاوز أشوفهم .

– محدش فيهم بقى منتظم، وتقريبًا مش بنتقابل ما أنت اللي كنت بتجمعنا، دا غير بقى أن فارس بقى حكايته حكاية .

– ماله فارس في أيه !!؟؟

ساد ملامحه الوجوم وهو يتذكر ما حدث لـ « فارس » يتحدث إليه بصوت مبحوح وكأنه يعاني من مشكلة في أحباله الصوتية لكن في الحقيقة هو متأثر بما حدث لصديقه الرياضي، الحاصل على المركز الأول في بطولة الجمهورية في رياضة السباحة، لا يدري أحد كيف تبدل حاله وتغير بهذا الشكل المفزع ، تغير سريع لدرجة أنه كان من الصعب إدراكه ، فارس لم يدخل امتحانات معظم المواد العام الماضي ، رسب فارس ليبقى وحيدًا في السنة الثالثة ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ، فارس انقطع تمامًا عن التدريب مما جعل الجميع يرتاب في الأمر، حاول المدرب إعادته

مرة أخرى؛ لأن اسمه مُسجل ضمن هؤلاء الذين سوف يمثلون مصر في الدورة الأولمبية القادمة ولكن تم شطب اسمه نهائيًا حينما وجدوا أن دماءه مليئة بالمخدرات، يتعاطى الحشيش والمسكنات بشكل مبالغ فيه!
تباعدت ملامح مروان على أثر تلك الكلمات الغريبة الغير قادر على استيعابها، الدهشة العارمة تضرب كل عضلات وجهه لتُبقيه في حالة جمود رهيب، لا يصدق ما يُقال ولا يمكن لعقلِه أن يتخيل ما حدث !!

- أنت بتقول أيه! فارس مين اللي بيشرب حشيش وبياخد مسكنات، دا بطل جمهورية يا عم، دا.. دا مكنش بيرضى ياكل من بره هيشرب مخدرات، ثم أن الكلام ده من أمتى.

بنبرة صوت يائسة.

- من خمسة شهور كدة مثلاً، قبل امتحانات السنة اللي فاتت، كان عنده بطولة الجمهورية وقت الامتحانات أو قبل الامتحانات المهم أنه كسب من هنا وحالة اتشقلب من هنا زي ما يكون البطولة دي كان وشها فقر عليه ده حتى مدخلش الامتحانات.

- عين، هي عين خدها الواد ده، طبعًا محدش فيكم بيسأل عليه.

- لا بنشوفه بس على خفيف خصوصًا بعد ما أبوه طرده من البيت.

- كمان !! كمان أبوه طرده !!

- طبعًا يا عم مش حشاش، لازم يطرده.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، طرده إزاي ؟؟

****

اتخذت الهالات السوداء من أسفل عينيه مقرًا لها، علاوة على أنها باتت ناعسة ويغلب عليها الخطوط الحمراء التي تبدو كشرايين قد

انفجرت بحملها الزائد طوال الوقت، يستنشق بصوت عالٍ كل بضعة دقائق كأنه يمنع المخاط من الانزلاق إلى شفتيه، يتحرك ببطء شديد على سريره الغير مهندم داخل غرفته التي لم تزرها أشعة الشمس منذُ أيام، يتحرك ببطء وهو يتأوه من آلم عظامه ومفاصله، يضع يديه على مؤخرة ظهره في الوقت الذي انقبضت فيه عضلات وجهه ذلك الانقباض الذي يترجم صعوبة وقسوة الآلم الذي يحتضنه من كل جانب، يعتدل ليجلس نصف جِلسة على السرير الذي بات تقريبًا بلا ملاءة من قلة الاهتمام به، يفتح درج الكوموود المجاور للسرير، يُخرج علبة فضية لامعة بها جهاز خاص للف السجائر، يضع كمية التبغ المناسبة قبل أن يُسقط عليها قطع الحشيش الصغيرة، يلصق ورقة اللفافة بلسانه بخبرة مُدخن متمرس، يشعلها بالقداحة الخاصة به، يتوغل الدخان داخل شراينه مختلطاً بالدماء فيشعر بتلك النشوة التي تضاهي نشوة الجنس تقريبًا، يغمض عينيه ويترك مهمة إفاقته للحشيش ولفافة التبغ، يزفر الدخان الكثيف بقوة من أنفِه بعدما مَالَ برأسِه للوراء مستمتعًا بما يفعله الحشيش في رأسِه .

عادةً لا يدخن فارس السجائر في البيت منذُ أن شرع في التدخين سوى في ذلك الوقت الميت من اليوم الذي يكون فيه أبويه في العمل، الساعة الآن الثانية والنصف ظهرًا ، لم يتبقى سوى نصف ساعة وتعود أخته الصغرى من المدرسة، لكن لسوء حظه المشئوم والده سوف يعود مبكرًا إلى البيت لأنه ذهب منذُ بداية اليوم في مأمورية خارجية خاصة برب العمل، لم تستغرق منه سوى ساعات قليلة لإنهائها، لكنه لم يخبر صاحب العمل بذلك، سيقص عليه في اليوم التالي قصة من نسج خياله تُلخص ذلك التعب والمجهود المبذول لإتمام المهمة على أكمل وجه، وكيف عاد إلى البيت بعدما خلت الشوارع من كل شيء عدا الكلاب السارحة التي تتجول وحيده في منتصف الليل، ها هي وقع أقدامه على درجات الدرج،

يتابع الخطى قدمًا تلو الأخرى حتى وصل إلى باب الشقة، فتح الباب لكن فارس لم يستمع إلى صريره المزعج بسبب اندماجه الزائد مع لفافة التبغ وهي تجاهد لظبط مزاجه الذي أفسدته الحياة، لم يشعر بخطوات والده وهي تقترب من باب الغرفة، مدَّ يده وحرك المقبض ليفتح الباب فجأة دون إذن بعدما التقطت أنفه رائحة الدخان، فارس يستند بذراعه الأيسر على السرير، يجلس نصف جلسة، يميل برأسِه إلى الخلف قليلاً لترتفع لفافة التبغ بزاوية منفرجة إلى أعلى، يغمض عينيه في الوقت الذي وصلت فيه نشوته إلى قمتها، والده لا يصدق ما تراه عيناه، حالة الذهول الذي بات فيها جعلت فكِه السفلي يتدلى بشكل كنا نحسبه لا يجوز فيزيائيًا، صرخ فيه بقوة جعلته يسترد وعيه وانتباهِه بسرعة الضوء، هرول إليه وهو يلعنه وينعته بأقذر الألفاظ ، قبض على ملابسِه بحدة، سحبه تجاهه بعنفٍ أسقطهُ أرضًا ومزق جزء من ملابسه وهو يصفه بالفاسد الفاجر فكيف له أن يدخن السجائر وهو لا يزال يأخذ منه نقود في هيئة مصروف شهري، انحنى على لفافة التبغ لتصتدم عيناه بشكلها المخروطي الذي أبلغه دون كلام أنها ليست لفافة تبغ عادية بل إنها تحتوي على مواد مخدرة، انهال عليه بيده الطائشة التي تصفعه بقوة وبعشوائية تركت آثارها على أماكن متفرقة بوجهِه وجسدِه.

- بتحشش في البيت يا كلب، دا أنت لسه بتاخد مصروفك مني يلا، بتاخد تعبي وشقاية تحشش بيهم يابن الكلب.

دفعه والده بقوة جعلته يسقط على ركبتيه في الأرض في وضعية التحيات التي يليها التسليم في صلاةٍ ما، أردف والده وقد برزت عروق رقبته على أثر ذلك الانفعال الذي يتحدث به .

- أنا كنت شاكك أنك بتشرب حاجة، شكلك ومنظرك بقى عامل

زي الشمامين بتوع الشوارع، أنا عرفت دلوقتي هما ليه رفضوا يرشحوك للأولمبياد وشطبوا اسمك يا صايع ، يا حشاش.

صرخ فارس في وجهِه.

- طب اسألني في أيه، مالك، بتشرب زفت ليه، أنت فاكر أني أنا مبسوط أوي بحياتي دي ولا بشكلي ده.

- هيكون في أيه يعني، سايب العيال من غير أكل ولا مش لاقي تصرف على البيت يا صايع، أنا اللي بصرف على البيت، أنت مجرد حيوان بتاكل وبتشرب وبس.

- يا أخي حرام عليك بقى مش كل حاجة في الدنيا أكل وشرب وفلوس، أنا تعبان، تعبان وعندي مشاكل أنت متعرفش حاجة عنها.

- مشاكل أيه يلا، مفيش أب بيعمل مع ولاده اللي بعمله معاك، كبرتك وعلمتك وعمري ما شيلتك مسئولية أي حاجة وجي دلوقتي تقولي مشاكل معرفش حاجة عنها، المشكلة الوحيدة فعلاً هي أني دلعتك زيادة عن اللزوم.

صرخ فارس في وجهِه بقوة زائدة هذه المرة.

- بقولك تعبان، تعبان، مخلنيش أشرب الزفت ده إلا زفت زيه، أنا عندي مشاكل كتير أوي، افهم بقى وبطل تتكلم عن الفلوس وبس.

- بره، اطلع بره يا كلب.

هرول تجاهه، قبض على ملابسه، أنهضُه بقوة كادت أن تمزق ما تبقى من ملابسه، سحبه تجاه باب الشقة وهو يُردد بصوت غليظ « اطلع بره، مترجعش هنا تاني إلا لما تنظف » يسحبه كأنه لص قُبِضَ عليه متلبسًا وهو يسرق، وصل به إلى باب الشقة في الوقت الذي وصلت فيه أخته الصغرى من المدرسة، تشاهد ما يحدث بعينيها الغارقة تمامًا في الدموع،

تصرخ وتتوسل لوالدها كي يترك أخاها، دفعها والدها بقوة أسقطتها على الأرض قبل أن يدفع فارس إلى الخارج ويغلق الباب بقوة كاد أن ينفسخ على أثرها إطاره الخارجي، صرخ في وجه ابنته التي تبكي وتتوسل إليه.

- أنا اعتبرت أخوكي خلاص مات عاوزة تروحي معاه روحي بس شوفي بقى مين هيصرف عليكي وعلى تعليمك.

****

مروان يظهر عليه آثار قصة فارس التي قصها عليه سيف، حك ذقنه وهو لا يصدق ما حدث، فارس ذلك الشاب الملتزم في كل شيء يتحول إلى ذلك الشخص الحشاش المُدخن.

- أنا بجد مش قادر أصدق يا سيف !!

- ولا أحنا، بس ده اللي حصل.

- طب هو قاعد فين دلوقتي ؟؟

- شقة صغيرة كدة في الهرم.

- طب أبقى أديني العنوان علشان عاوز أشوفه.

- عني حاضر.

أعطى له سيف العنوان ولاتزال ملامح مروان لا تصدق ما حدث لـ « فارس »، سأله سيف مستفسرًا عن سبب اندهاشه المبالغ فيه فأخبره مروان بنبرة صوت تحمل الكثير من الأسى أنه كان يعتقد أن فارس أبعد من أن يكون هذا الشخص المدمن الفاشل.

- عادي يا مروان يعني حد كان يصدق أن أختك نادين تموت بالطريقة دي.

قسمات وجه مروان احتدت بجَهَامَة و فَظَاظَة قاسية، برزت عروق جبهته بشكل مخيف فبدت لسيف وكأنها خراطيم مياه كادت أن تنفجر بسبب ضغطها المرتفع، صدره راح يعلو ويهبط وهو يرمق سيف بغِلظة لا ريب فيها كأنه نبش بأظافره فأيقظ تلك الروح الشريرة المختبئة خلف وجهه الضاحك المبتسم دائمًا، سيف يتفحص ملامح مروان بتوجس وريبة غريبة .

- أنت بالذات أو أي حد تاني من الشلة لسه بيقول كدة بعد كل اللي حصل منكم .

- يا مروان أنا مقصدش حاجة وحشة أنا بديلك مثل واللي حصل ده مكنش بمزاج حد فينا، بكرة هتفهم كل حاجة يا صاحبي.

انقطع خيط المحادثة حينما اقتحمت حديثهم فتاة قصيرة القامة إلى حد ما، ترتدي نظارة شمس تبدو كبيرة على وجهها الصغير، بصوت هادىء يجذب الآذان طلبت من سيف التحدث معه على انفراد، أماء له برأسِه بعدما استأذن مروان بعينه وابتعد عنه قليلاً .

- بجد أنا متشكرة أوي على الكشكول ده مش عارفة من غيرك كنت عملت أيه ؟؟

بارتباك ملحوظ أجابها سيف.

- لا لا أنا معملتش حاجة، أنا بحب أصلاً أساعد الناس جدًّا، آه والله بحب أساعد الناس .

ابتسمت له مجاملة في الوقت الذي لا يزال وجهه يحمل ذلك التعبير المُتأرجِح بين التوتر والخوف، أدركت « سلمى » من الوهلة الأولى التي رأت بها سيف أنه ينتمي إلى ذلك الطراز الذي إذا حيته فتاة يرتبك ولايدري ماذا يفعل أو ماذا يقول ؟؟؟

- أنا متشكرة أوي يا سيف ولو احتجت حاجة أبقى تعالى قولي على طول، أحنا زمايل بقى في دفعة واحدة، عن أذنك.

أدارات جسدها بالكامل استعدادًا للرحيل وهي على علم كاد أن يصل إلى حد اليقين بأن سيف لن يتركها تمضي بهذه السرعة، كانت متأكدة بأنه سيوقفها، بالفعل بمجرد أن استدارت صَدَحَ سيف باسمها الذي بات يشرح صدره كلما سمعه أو نطق به لسانِه، توقفت هي ونظرت له فرأت من خلف عدساتها السوداء أن كل خلية من خلاياه تنطق باسمها الذي بات مقدس بالنسبة له، رأت في عينيه ذلك الشبق المُنْهَمِر الذي يفشل دائمًا في أن يتوارى خلف ملامحه الوهنة التي تنهار بسهولة كلما وجدتها أمامه.

- أيه يا سيف في حاجة ؟؟

- آه ، أنتِ مش هتحضري المحاضرة الجاية ولا أيه دا خلاص فاضل عليها دقائق.

- بصراحة لا المود بتاعي مش جايب محاضرات ودراسة والجو ده، أنا مروحه ، سلام.

همت بالانصراف فستوقفها بصوتِه مرة أخرى.

- سلمى ممكن أخد رقمك ؟؟

راحت تتأمله لثواني قبل أن تجيبه بأسلوب قد احتد قليلاً.

- ليه يعني ؟؟

أحرجته تلك الحدة وجعلته ينكمش في الحديث ، شعرت سلمى على الفور أنها أخطأت.

- أنا آسفة يا سيف بس فعلاً أنا مخنوقة ومضايقة وعندي ضغوط كثيرة أوي بسبب مشاكل كبيرة عندي.



- خير يا سلمى في أيه !!

- لا مش وقته الكلام خد رقمي وبعدين نتكلم .

أعطته الرقم ثم طلبت منه الرحيل كي يلحق بالمحاضرة فمعظم دكاترة تلك الكلية يمنعون دخول أي طالب بعد بدء المحاضرة، انصرفت سلمى بهدوء وعاد سيف إلى مروان الذي كان يدخن السجائر في انتظار عودته، كان يختلس نظرات غير بريئة كل فترة إلى « سلمى » دون أن يشعر أحد ، سأله في لهفة عن تلك الفتاة الجميلة التي كانت تقف معه منذ لحظات، من المعروف أن سيف شاب خجول لن يتحرك ليتحدث إلى فتاة حتى ولو وجدها ستحترق أمامه، ماذا حدث له، كيف تجرأ وتغير .

- دي سلمى يا مروان .

- سلمى !! سلمى مين لمؤخذة ؟؟

- بنت منقولة معانا السنادي من جامعة شبين ، بس غلبانة أوي وفي حالها كمان .

- يا عم أنا مش جي أتقدم لها، أنت عرفتها أزاي .

- والله هي اللي عرفتني، جت قالت لي إنها منقولة من جامعة شبين ومش عاوزة تتعامل مع حد هنا علشان شايفة أن الكل مش كويس، بتاخد مني كشكول المحاضرات تصويره .

- كشكول محاضرات !! يابني أنتم لسه مكملتوش أسبوع في الدراسة .

- ما ده اللي عاجبني فيها، مهتمية بالدراسة جدًا وفوق كل ده محترمة جدًا ، أنا تقريبًا كل اللي كلمته معايا 3 أو 4 مرات بس مش هنكر أني بدأت أتعلق بيها .



- تتعلق بيها دول هما 3 مرات زي ما قولت .

- ما دي الكارثة يا مروان، شكلي حبتها .

- حبتها !! أنت ناسي المصيبة اللي أنت فيها ولا أيه .

- ودي الكارثة الأكبر يا مروان .

- يا عم لا كارثة ولا حاجة خليها ماشية زي ما أنت عاوز بالظبط، هي سلمى راحت فين .

- ماشية مش هتحضر، بتقولي مخنوقة .

- وأنت طبعًا هتحضر .

- آه .

- تصدق أنك جزمة، يعني سايب البت مخنوقة وجيه مخصوص تديلك الكشكول ورايح تحضر المحاضرة .

- أعمل أيه طيب .

- روح كلمها وخليك وراها لحد ما ترد عليك .

أومأ له برأسِه فبتسم مروان وبدا كالضبع الجائع .

****

سلمى تلك الفتاة الملائكية القصيرة تَجِدُ في مشيتها خارج الحرم الجامعي وكأنها تتحاشى أن ترى أو تسمع أي شيء يخدش حياءها البِكر، عيناها لا ترتفع عن رؤية حذائها الملون حتى لا تصتدم بوجهِ عَكِر فترى في عينيه تلك النظرات التي يتفحص بها كل ركن وزاوية في جسدِها فتصيبها بالاشمئزاز الشديد .

بعد خطوات معدودة بدأت تسلُك ذلك الشارع الهاديء المتفرع من الشارع الرئيسي لتبتعد عن ضوضاء الشوارع العمومية وهي لا تزال

تتجاهل اتصال سيف المتواصل، تسلك سلمي الشوارع الهادئة لأنها تكره الضوضاء والأصوات المرتفعة كما يكره المتدين شارب الخمر، إذا ارتفع صوت أحد بجوارها تتوتر أعصابها حتى ولو كان الكلام غير موجه لها، هدأت خطواتها نسبيًا مع انخفاض الضوضاء داخل ذلك الشارع الجانبي الذي يُشعرك من فرط هدوئه أنه خاوٍ من جميع السكان كأنهم خرجوا ولم يعد أحد منهم حتى الآن، تهادت في مشيتها كي تلتقط أنفاسها بعد ذلك المجهود المبذول للهروب من الزحام والضوضاء، لم تمر سوى دقائق معدودة حتى استمعت إلى صوت حشرجة موتور سيارة تقترب منها ببطء جعل التوتر يعود إليها بسرعة البرق؛ لأنها أدركت أنها على موعد سَمِج مع مراهق لا يجد فرصة صغيرة لمضايقة فتاة إلا وحشر نفسه فيها، كم تكره هؤلاء المرضى التي لا تستطيع أي فتاة أن تحتفظ بكرامتها في وجودهم، أُصيبت سلمى بفوضى عارمة داخل كيانها الضعيف، تعالت دقات قلبها بشكل بدأ يعيق أنفاسها، احتضنت الحقيبة وكأنها سَتُسلب منها، استقامت في مشيتها بشكل لا يعطي أي مجال لجسدها اللين أن يتمايل فبدت وكأنها مشية منتظمة لجندي في عرضٍ عسكَرِي، بدأت تتناول أُذنها عنوة أصوات كلاكسات عشوائية وكأن ذلك المراهق يعلن عن بدأ الحفل، لم تتوقف ولم تلتفت خلفها فقط انكمشت أكثر وهي تهرع لاجتياز ذلك الشارع للوصول بأسرع وقت إلى محطة سيارات الأجره، اقتربت منها السيارة حتى إنها ظهرت وهي تجد في مشيتها متجاهلة اتصال سيف على زجاج السيارة الداكن العاكس كالمرآة، هبط زجاج السيارة ليتضح لنا أن مروان هو من يقود السيارة، نعم إنها سيارة مروان ذات الزجاج الأسود العاكس! انحنى برأسِه قليلاً ليطل عليها من النافذة المفتوح زجاجها في الوقت الذي استقبل هاتفها اتصال من سيف الذي يصر على سماع صوتها بعدما تلاعب مروان بعقلِه، بوجه بارد لا يخلو

مـن تلـك الابتسـامة الصفـراء التـي يتحـرك عـلى أثرهـا نصف فمـه فقطقبـل أن يصيـح بأسـمها ، نظـرت تجـاه السـيارة حينـما استمعت إلى ذلـك الصـوت الـذي تبْغَضُـه ، تقابلـت عيناهـا بعينيـه وملامحـه السـاحرة، البـاردة توقفت عن متابعـة السـير وبـدا عليهـا الملـل الشـديد والضجـر لمـا وجـدت، أردف مـروان بتلـك الطريقـة المستفزة البـاردة .

- جرى أيه يابت أنتِ هتصوريني ولا أيه، ما تركبي .

زفـرت هيبًـا سـاخنًا مـن داخـل تلـك الحمـم البركانيـة التـي شرعـت تغـلي بصدرهـا حينـما رأتـه أمامهـا، فتحـت البـاب وانزلقـت في الكـرسي المجـاور لـه وهـي تُمنـي النفـس بـأن تقطـع رأسـه بنصـلٍ حـاد دون رحمـة ولكـن الوقـت الآن غـير مناسـب، ظـل مـروان ينظـر لهـا بتلـك الملامـح البـاردة المستفزة حتـى استقرت في الجلـوس .

- مـروان، أنـا بينـي وبينـك اتفـاق، أنـا أنفـذ الـلي أنـت عـاوزه وأنـت تديني الـلي عندك إنـما قلة أدب بقـى وتهزيـق يبقـى عليـه وعـلى أعدائـي، أنـت متعرفـش أنـا ممكـن أعمـل أيـه .

طقطق فمه باستِهَانة شديدة قبل أن يُجيب عليها بهدوء مميت .

- يـا لولـو أنـتِ أضعـف مـن أنـك تعمـلي أي حاجـة، أنـتِ الرومـوت بتاعـك معايـا خـلاص مـن سـاعة مـا غلطـي الغلطـة إياهـا، يعنـي أقولـك يمـين يبقـى يمـين، أقولـك شـمال يبقـى شـمال لحـد مـا الـلي أنـا عـاوزه يتـم بالشـكل الـلي أنـا عـاوزه .

أحتدَّ صوته وكذلك بصره قبل أن يزعق في وجهها.

- يا أما وديني أنتِ عارفة أنا هعمل إيه .

ابتسـم هـو مرة أخرى كالمخبول قبـل أن تبتلـع هـي ريقهـا مصدرة صوتًـا ينُـمُ عـن ذلـك الخـوف الـذي يتوسـد كيانهـا الضعيـف .



- طب أنا عاوزة أفهم أنت هتستفيد أيه من اللي بتعمله ده.

قهقه مروان عاليًا ثم أجاب على سؤالها بسخرية.

- أنا مش مطلوب مني أفهمك، أنتِ زيك زي الجاموسة اللي مربوطة في ساقية بالظبط، عنيها مغمضة، وعمرها ما سألت أنا بلف ليه ولا الفايدة من اللي بعمله أيه.

أشاحت بوجهها تكرُّهًا لذلك الأسلوب الذي يتعامل به مروان معها، الأسلوب الذي يشعرها أنها لا قيمة لها ولا وزن، أردف مروان باشمئزاز وملامح وجه مبعثرة إلى حد ما.

- أنتِ بتكشري ليه، مش عاجبك الكلام طبعًا، ما هو أنتم كدة تحبوا تغلطوا بس متحبوش حد يحاسبكم.

- مروان أنت مش ربنا علشان تحاسبني ولا تذلني الذل ده.

ببرود قاتل للأعصاب.

- أستغفر الله العظيم، استغفري يا لولو أنتِ هتكفري ولا أيه!! أنا فعلاً مش ربنا بس أنا قدرك الأسود، عارفاه؟؟ حتى لو مش عرفاه أنا كدة كدة هورهولك و 3D كمان.

انعقد حاجبيها وانقبضت عضلات وجهها تباعًا استأنف مروان حديثه بنفس تلك النبرة المستفزة.

- بقولِك أيه سيبك بقى من البرنامج الديني اللي أنتِ فتحاه ده وقوليلي عاملة أيه مع الواد سيف؟؟

- الحمد لله.

- وأنا بسألك على جوزك ياروح أمك، عاملة أيه معاه يا بت؟؟

- أديني وخداه على الهادي.

- أنا مش عاوزه يعرف ينتبه لا لنفسه ولا لأي حاجة تاني، عاوزه يبقى لا شايف ولا سامع حد غيرك فاهمة ولا مش فاهمة.

- اللي أنت طالبه ده لازم يجي براحة، بهدوء، مينفعش يجي مرة واحدة كدة.

- لا واعية ما شاء الله عليكي، المهم تركزي كويس علشان تنجحي، أنا معنديش لا ملاحق ولا إعادة، النتيجة هتنزل علطول على النت وأنت طبعًا فاهمة أنا أقصد أيه بنزولها على النت.

قطع حديثهم صوت رنين هاتفها الخلوي، ارتعدت فرائصها حينما نظرت إلى شاشة الهاتف ووجدت أنه والدها

- يانهار أسود دا أبويا.

- جميل أبوكي ده بيجي على الريحة.

- أسكت بقى خليني أعرف هقوله أيه.

بتوتر شديد وبأعصاب مشدودة من جَمّ الاضطراب التي باتت فيه أجابت على اتصال والدها، مروان يستمع إلى صوته الأجش من بعيد، لا يستطيع تفسير الكلام ولكن هناك صوت من المستحيل أن ينتمي إلى كيان هادىء يستمع، مروان يحاول استفزازها بمداعبة خصلات شعرها أثناء المحادثة فتزفر مللاً وهي تبعد يده بقوة، أنهت المكالمة سريعًا.

- أنا لازم أمشي علشان مش عاوزة حوار مع أبويا ومشاكل أكتر من كدة.

- ماشي بس أنا عاوز معاد.

بزهق وصبر قد نفذ.

- رقمي معاك أبقى كلمني.

- لا مش معاد معاكي مع أبوكي، بفكر أقوله على مستواكي علشان ميتفجئش بالنتيجة .

جمدتها تلك الكلمات المباغتة الغير متوقعة في ذلك التوقيت .

- مروان ، فيه بنا اتفاق لما أرجع فيه أبقى أعمل اللي أنت عاوزه .

ببرود ونسيان مصطنع أجابها .

- لولو، مش تفكريني إن فيه اتفاق، معلش بقى الزهايمر نساني أنك موافقة على طلباتي .

دون أن تجيبه فتحت باب السيارة وخرجت ، استوقفها مروان .

- أنا عندي التأخير زيه زي الرفض بالظبط ، سمعاني يا لولو .

- سمعاك، وخلاص خلصنا بقى .

- ماشي، آه على فكرة حلو أوي اسم سلمى ده ، جامد، لايق عليكي أكتر من « ولاء » ، طب بزمتك أنتِ في أي ولاء في تصرفاتك أو أخلاقك، « سلمى » أحلى .

سددت له نظرة أخيرة بطرف عينيها قبل أن تنصرف وقد سجل ضغط دمها رقم قياسي جديد في الارتفاع .

****

تصعد سلمى أو « ولاء » كما اتضح لنا، تصعد درجات سلم تلك البناية التي تقطن بها، يعتصر قلبها كُرهًا كلما اقتربت من شقتها؛ لأنها تعلم جيدًا ما الذي ينتظرها خلف الباب الخشبي، أولجت المفتاح في الباب ليصدر بعدها ذلك الصرير المعروف، دَلَفت إلى الداخل لتجد والدها يجلس على الكرسي المعتاد الجلوس عليه في منتصف الصالة ، يضع قدمًا فوق أخرى ويدخن لفافات التبغ بشراهه، اعتدل في جلستِه حينما رآها

فبدا لها متحفزًا ينتظر وصولها بفارغ الصبر، والدها يبدو متجهمًا طوال الوقت دون وجود سبب واضح يفسر ذلك التجهم، لا يتحدث معها إلا و ارتفع صوته و احتدَّ حتى ولو كان النقاش حول نوعية الطعام الذي سيتناولونه في وجبة الغذاء، طِباعِه الحادة ومزاجه العصبي طوال الوقت جعل « ولاء » تَهابُه وتخاف منه بشكل لا يتناسب مع سنها الذي تخطي العقد الثاني منذُ أربع سنوات في الوقت نفسه نزع الحب من قلبها تجاهه فَصَارَ بالنسبة لها مجرد أب على ورق أمَّا بالنسبة للحب العائلي والاحتواء فقد وأدُه منذُ نعومة أظافره، هبَّ واقفًا حينما وطئت قدميها أرض الصالة، بنفس تلك النبرة الغليظة الشرسة سألها والدها لماذا تأخرت ؟ وأين كانت من الأساس ؟ تلجلج لسانها في البداية وكأنه أراد أن يعطي عقلها فرصة ليختلق قصة من خياله حتى تتخلص من ذلك الضغط الهائل الواقع على أعصابِها .

– كنت عند واحدة صاحبتي، حسيت أني مخنوقة شوية فقولت أنزل أقعد معاها .

بوجه ساخط غير راضٍ زَعَقَ في وجهها .

– كنت عند صاحبتك ولا كنتي بتقابلي الواد إياه بتاعك .

اتسعت عيناها من قسوة وقع الكلمة على أذنها .

– والله العظيم أنا ما مصدقة، أنت أزاي تقولي حاجة زي كدة وتتهمني اتهام زي ده أصلًا !!!

صفع وجهها بقوة جعلت أصابعه تترك أثارها على خدها الأبيض .

– جرى أيه يا بت ، أنتِ هتعلميني أكلم أزاي على أخر الزمن ولا أيه ، ما تيجي تربيني أحسن .

صرخت « ولاء » في وجهه والدموع تملأ عيناها .

- كفاية بقى حرام عليك معاملتك دي، أنت بتعمل معايا كدة ليه ؟؟

صفعها مرة أخرى على وجهها .

- احترمي نفسك وتكلمي معايا بأدب .

- كفاية بقى، كرهتني في عشتي بمعاملتك دي، أنت عمرك ما صاحبتني ولا سألتني مالك في أيه، ضرب وشتيمة وتهزيق، مش ذنبي أنك كان نفسك في ولد ومش عاوز بنت مش ذنبي، ربنا ياخدني من هنا بقي كفاية القرف اللي أنا فيه، محدش حاسيس بالمصايب اللي فوق دماغي، يا أخي ده أنت مخوفني حتى إني أحكيلك .

أنهت كلماتها وهرولت إلى غرفتها والدموع تنهال من عينيها، أغلقت الباب وراحت تصفع خدها وهي تبكي وتصرخ صراخ مكتوم، تحاول أن تمزق ملابسها حينما اندمجت في حالة الانهيار، تشتكي حالها وحياتها البكماء دون كلام، تشتكي بحنجرة اختنقت من شدة البكاء من كل شيء في حياتها البكماء، تتهم والدها أنه هو السبب في كل شيء حدث لها، تتهمه بأنه هو السبب الوحيد في تلك الأخطاء التي ما كان لها أن تخطئها لولا تلك المعاملة الجافة التي دفعتها دفعًا إلى ذلك، قطع بكاءها صوت هاتفها الخلوي، إنه «سيف» اتصل بها ليطمئن عليها وليعرف هل تحتاج لتفهم شيء في تلك المحاضرات التي أخذتها منه ولا يدري ذلك المسكين أن اسمها غير مدرج في سجلات تلك الكلية من الأساس، ولاء قد أنهت دراستها في معهد للحاسبات والمعلومات منذُ سنة ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بكلية التجارة !!!!





(3)

داخل إحدى الكافيهات ذات علامة تجارية شهيرة يجلس مروان بأريحية غريبة كأنه مالك المكان، يدخن لفافة تبغ باهظة الثمن، ينظر من خلال النافذة الزجاجية التي تشف حركة الشارع والمارة قبل آذان الظهر بربع ساعة تقريبًا، يرتشف على فترات متباعدة جرعات الكافين من الكوب القابع أمامه بوقار شديد، يتجول بعينيه في وجوه كل الموجودين من حولِه، المكان وعلى الرغم من ارتفاع أسعاره إلا أنه يعج بهؤلاء المراهقين الهاربين من المدارس والجامعات ليلتقوا سويًا في جلسات رومانسية بحتة، يرمق مروان « حامد » وهو يدخل من باب الكافيه، على وجهه أمارات التعجب والدهشة الشديدة، فهو لم يعتد على دخول مثل هذه الأماكن التي تضم أعدادًا كبيرة على صفحاتهم في موقع التواصل الاجتماعي، ينظر حامد بعينيه البارزة من وجهِه الممصوص قليل اللحم في كل مكان حوله، يبحث عن مروان داخل ذلك المكان الغريب بالنسبة له، « حامد» شاب رفيع في سمك القلم الرصاص تقريبًا، نحيف لدرجة أنك تشعر أنه دائمًا يحتاج إلى ملابس أصغر من تلك التي يرتديها، كعادته عضلات وجهه منقبضة بشكل يشعرك بالاشمئزاز، يخشى أن يضحك أو يبتسم فيتشقق وجهه ويسقط لحمه على الأرض، حينما تتحدث معه سيُشعرك أن فيكتور هوجو قد اقتبس منه روايته الأشهر « البؤساء» ،

مروان ينظر له وهو يتبسم تلك الابتسامة التي يبدو فيها كحيوان مرقط جائع ، التقت عيناهما فهرول « حامد » تجاهه وجلس معه على الترابيزة .

- يخربيت شكلك يا حامد أنا كل ما أسيبك شوية وأرجع ألاقيك بقيت شبه فيرس C ، في أيه .

بملل ينمُّ عن وجود أزمة قد استفحلت واستطالت أنيابها بداخله .

- أنا قرفان يا مروان، عندي ضغوط .

- ضغوط أيه يابني، أنا مفيش حد عنده ضغوط أدي ومع ذلك عمري ما كان شكلي كدة .

- أهو بقى ده اللي عندي .

مدّ حامد يده وانتزع لفافة تبغ من لفافات مروان باهظة الثمن، أشعلها وأخذ يزفر دخانها الغزير بعنفٍ شديد، بدأ في نوبة سُعال حاد أثر مداعبة الدخان الثقيل لرئتيه ، مروان ينظر له باستغراب شديد .

- من أمتى وأنت بتشرب سجاير يا حامد .

- يا عم أنا أول مرة أشربها مش شايف بكح أزاي .

قال جملته الأخيرة والسعال يتخلل كلماته، أردف وبقايا الدخان الراكدة في رئتيه تخرج من فمِه .

- طفاسة يعني .

- حاجة زي كدة .

- مش أنا رحت الجامعة النهاردة وقابلت سيف .

أسبل حامد جفنيه تجاهه مما دفع مروان ليسأله عن سبب تلك النظرة الطويلة .



- أوعى تكون قلت له إني مستلف منك فلوس يا مروان.

بخبث شديد.

- عيب عليك يا حامد بعدين أنت ناسي أني قولتلك متعرفش حد أني خرجت من المصحة من كام شهر، الكل فاهم أني طول الوقت ده كنت في مصحة الدكتور حازم.

أراح ظهره إلى الوراء وكأن رد مروان جعل نسبة الأدرينالين تنخفض في جسدِه بالشكل الذي يعطيه إريحيه شديدة، سأله مروان عن سبب اتصاله به وعن إصراره الشديد في مقابلته فأجابه حامد بحنجرة بدأ الاكتئاب يتصاعد فيها تدريجيًا، أنه منذُ وفاة والده وهو لا يزال طالبًا في المدرسة الإعدادية وحال أسرته في حالة تدهور نفسي مستمر، لا يوجد شيء جيد، لا يوجد تقريبًا شيء يستطيع أن يُدخل البهجة والسرور على أسرتِهم وذلك بسبب الفراغ الكبير الذي تركه والدهم بالإضافة إلى أن الماديات بدت على حافة الانزلاق، اختلفت الأمور معهم وبات معاش والده لا يكفي حاجة التعليم وأساسيات المعيشة خاصة بعد دخول أخته الصغرى في دوامة الثانوية العامة، تلك الفترة التي تضطر الأسرة فيها بالتنازل عن كل ملذات الحياة من أجل الدروس الخصوصية، سحب مروان نفس كبير من لفافة التبغ وهو ينظر لحامد بطرف عينيه تلك النظرة التي تنُمُ على أن كل خلية في رأسِه الآن تعمل بكامل نشاطها العقلي.

- عاوز فلوس سلف تاني.

طقطق فمه بالرفض.

- عاوز شغل.

- شغل! شغل أيه يا حامد وأنت لسه في جامعة.

- أي حاجة يا مروان، أنا عارف أن والدك معارفه كتير، شغله في الدعايا ومع بتوع الإعلام عمومًا مخلي دائرة علاقاته كبيرة، أي حاجة يا مروان.

زم مروان شفتيه وأخذ يفكر قليلاً في كلام حامد.

- صدقني يا حامد أي شغل من غير شهادة هيبقى بهدلة وأنا مش عاوز بهدلة ليك، أنت أخويا.

بتَوَسُّل و اسْتِعْطاف أجابه حامد.

- يا مروان بجد أنا محتاج الشغل.

- خد الفلوس اللي أنت عاوزها يا حامد هو أنا هقولك لا، دا أنت أخويا يا جدع.

- مروان الموضوع مش موضوع فلوس وخلاص، أنا عاوز أحس أني عايش، أنا من ساعة ما أبويا مات وأنا حاسس أني ميت من غير قبر، الشغل هيوفر لي حياة وهيوفر لي فلوس برضو، أنا اللي خلاني أكلمك أن بجد عارف أن علاقات والدك كتير أوي، وعارف أنك تقدر تساعدني، ساعدني يا مروان الله يخليك.

- طب ما تروح يا بني لحد من أصحاب والدك ينزلك تدريب حتى في البنك.

- محدش هيوافق.

- ليه يعني، أنا على أساس كلامك والدك عامل ليهم خدمات كتير وطبيعي أي حد يخدمك.

- الخيبة ديمًا يا مروان مش بتيجي غير من الناس اللي قدمنا علشانهم كل حاجة، العمل الطيب بقى والخدمات هتاخد جزاءها يوم القيامة بس.



- مش معقول يا حامد الناس كلها هتبقى زفت كدة.

- يا مروان وهما أيه اللي هيخليهم يساعده واحد أبوه كان زميلهم، أحنا ولاد مصالح النهاردة، هما يساعدوا ابن المدير، قريب المدير، صاحب المدير، كلب الباشا باشا يا عم مروان.

- خلاص يا حامد متشلش هم اعتبر نفسك اشتغلت، أنا هسيبك دلوقتي وهطلع على شركة أبويا هشوفلك أي شغلانة هناك، مُسعد مدير الشركة حبيبي.

- مش عارف أقولك أيه ؟؟

- متقولش حاجة، اصبر ربنا يكرم بس

تذكر مروان شيئًا فأردف سريعًا.

- آه صحيح، نسيت أقولك أنا عامل عزومه للشلة كلها قريبًا ولازم تيجي ها.

- أنا أول واحد هكون موجود بإذن الله.

****

لافتة كبيرة تحمل اسم الشركة وتتوسط بناية عملاقة تستطيع رؤيتها بوضوح من أي زاوية عند دخولك ذلك الشارع بحي المهندسين، توقف مروان بسيارته أمام البناية، عبر بوابتها الزجاجية ليصتدم بحارس العقار، شاب صعيدي يرتدي ملابس رياضية، ألقى عليه التحية بحرارة شديدة وكأن مروان هو ولي نعمته في الأساس، صعد عبر المصعد الكهربي إلى شركة والده الموجوده في الدور السادس، بمجرد أن وطأت قدمه الشركة وجد استقبالًا حارًا تملأه الفرحة المصتنعة والوجوه المبتسمة تلك الابتسامات الدبلوماسية التي لا تُقدَم سوى لابن صاحب الشركة التي يعملون بها، خرج الأستاذ «مُسعد» مدير الشركة لاستقباله بنفسِه بعدما

أخبرته تلك السكرتيرة الحسناء التي تطرقع اللبان طوال الوقت أنه قد وصل، يفرد ذراعه للمصافحة منذُ أن خرج من مكتبِه وحتى وصل إلى مروان، نَتأت على وجه مروان ابتسامة صفراء خبيثة حينما وجد أمامه الأستاذ مُسعد مدير شركة والده، صافحه وهو ينحني بجسدِه قليلاً في حين أن مروان ظل واقفًا كما هو وعلى وجهِه تلك الابتسامة السخيفة، طلب منه التحدث في أمرٍ ما شخصي فوافق على الفور بعدما ردد تلك الكلمات التي تنُمُ عن سعادته الشديدة التي تُغمره حتى النخاع وعلى الشرف الذي سيناله من تلك المقابلة، أدوات يستخدمها مُسعد لخداع أي عميل يرغب في التعاقد مع الشركة، زعق في الجميع حتى يذهب كلٌّ منهم إلى عمله أمَّا مروان فترجل إلى مكتب الأستاذ مُسعد وسط كم هائل من كلمات الترحيب التي يلقيها على أُذن مروان.

دلف مروان إلى المكتب، سحب كرسي ووضعه أمام مكتب الأستاذ مُسعد بحيث يجلس في مواجهة المكتب، رفض أن يجلس بتلك الطريقة الاعتيادية التي يجلس بها أي شخص حينما يتحدث إلى أخر يجلس على مكتبه، جلس مروان بأريحيه شديدة وسط دهشة مُسعد المستترة خلف تلك الابتسامة الدبلوماسية التي يجيد رسمها باحترافية عالية، لم يأخذ ما حدث في الاعتبار، فقط جلس بهدوء وهو لا يزال يوزع كلمات الترحيب بطريقة لا تُظهر ما يُبطنُه.

- تشرب أيه بقى يا مروان باشا.

طقطق فمه وهو يغمز بإحدى عينيه وعلى محياه تلك الابتسامة المستفزة.

- مش دلوقتي، في حاجة أهم أنا عاوزها.

- أنت تأمر.



- عاوز أخذ رأيك في حاجة شخصية .

- يا سلام، أنا والشركة كلها تحت أمرك، دا أنت من يوم ......

قاطعة مروان .

- ششششش ، مش عاوز رغي كتير .

مُسعد لا يفهم سر تلك الطريقة التي يتحدث بها مروان ولا سر تلك الثقة الزائدة لكنه قرر أن يتعامل مع الموقف بخبرة طويلة حتى يسكُب هو ما بداخله، ابتسم مجاملاً وهو يرمقه من فوق عويناته الدقيقة، تنهد مروان قبل أن يستأنف حديثه .

- من كام يوم كدة، كنت قاعد بدور وبقلب في الحاجات اللي عندي، لقيت سي دي كدة قديم، قلت أتفرج عليه يمكن يخرجني من حالة الزهق دي، أصل أنت عارف طول عمري غاوي أفلام، المهم بشغل السي دي لقيته متصور بكاميرا ثابتة لمدير شركة كبيرة وهو بيهرج مع السكرتيرة بتاعته بس تهريج قليل الأدب أوي، قولت يمكن أنا مش مركز، معقول ، معقول دا مدير أكبر شركة دعايا وإعلان، عملت زووم، وزوووم تاني، وتالت، لحد ما اكتشفت أنه فعلاً المدير، بس اللي حصل ده فسر حاجة أنا مكنتش قادر أفهمها، سكرتيرة عبيطة لا بتعرف تشتغل ولا تعمل أي حاجة أيه اللي يخلي المدير يتمسك بيها.

ابتسم باستفزاز شديد قبل أن يُضيف .

- بعد ما شفت الفيديو ده فهمت، وبيني وبينك البت كلها حنان .

بدأت قطرات العرق تظهر على جبين مُسعد ، يحاول جاهدًا أن يفرض سيطرته على يده التي بدأت ترتعش، حاول أن يخفي ما يشعر به لكن الموقف الذي فيه أكبر بكثير من تلك الخبرة التي اكتسبها في حياته العملية، أخرج مروان لفافة تبغ أشعلها ببرود أعصاب لا يتناسب مع

حرارة الموقف، نفخ دخانها وثغره يتسع بشكل ضاقت على أثره عيناه فبدت وكأنه ذو أصول أسيوية، نفخ الدخان الكثيف في وجه مُسعد الذي تحول إلى جرز صغير مُبتل داخل مصيدة حديدية.

- رأيك بقى أعمل أيه يا أستاذ مُسعد، أنزله على النت ولا أوزعه على اللي شغالين معاه في الشركة، ولا أختصر وأبعته على بيته وخلاص، بس هكتب عليه من بره فاعل خير زي أفلام عاطف الطيب كدة.

لا تزال تلك الابتسامة التي تشق عن روحه الخبيثة عالقة على وجهه، في الوقت الذي شُلَّ فيه عقل مُسعد، حتى إيماءات السعادة المصتنعة التي كانت تملأ وجهه تبخرت، لم تفلح خبرته الطويلة في مداراة ذلك الشعور الذي ينتابه الآن، ابتلع ريقه مُصدرًا ذلك الصوت المعروف.

- وأنت تاخد رأيي في موضوع زي ده ليه، أنا مالي.

- مالك إزاي يا أستاذ مُسعد، أنت مش كنت كل ما أجيلك بمصيبة أنا عاملها وخايف من أبويا تقولي ما يقع إلا الشاطر، أهو أنت طلعت أشطر واحد أنا شفته في حياتي، فأنا عاوز رأي الشاطر الخبرة.

ضغط على كلمتِه الأخيرة لتظهر فيها السخرية المتعمدة، صوت طرق على الباب يليه صوت المقبض وهو يُفتح، صرير الباب حرك أنظار الجميع إلى تلك السكرتيرة التي بدأت تطرقع بكعب حذائها الرفيع، دخلت إلى الأستاذ مُسعد لأنها تحتاج إلى توقيعه على بعض الأوراق، نهرها بقسوة ثم أمرها بلهجة لا احترام فيها أن تخرج الآن وتغرب عن وجهه، خرجت السكرتيرة وكادت عيناها تدمع مما حدث، ابتسم مروان قبل أن يعاتبه بمكر.

- مكنش يصح أنك تعمل كدة يا مُسعد بيه، حد يعمل كدة مع حد بيدلعه الدلع ده كله، دا أنا شفت ساعة ونص مشفتهاش طول حياتي، الله

يباركك لك متزعلش كوكي، هي مش كان اسمها كوكي برضو في الفيلم ولا أنا نسيت .

خبط بيده على سطح المكتب بقوة جعلت بعض الأوراق تسقط على الأرض .

- مروان ، أنت عاوز أيه بالظبط .

طقطق فمه بنفس الطريقة المثيرة للأعصاب .

- لا لا يا مُسعد أنا عاوزك ريلاكس كدة ومروق ليجيلك سُكر ولا حاجة، الشركة محتاجاك .

- مروان !!!

- في واحد صاحبي طلب مني خدمة ، عاوزني أشغله .

- بعدين .

- أنا هتصل بيه دلوقتي وهقوله يجي يقابلك بكرة .

- خلاص يا مروان لا يقابلني ولا أقابله اعتبره اشتغل من أول الشهر اللي فات .

- على فكرة أنت متسرع أوي ، وتسرعك ده اللي خلا موضوع كوكي يتعرف .

رمقه مُسعد بصبر بدأ ينفذ .

- صاحبي ده مش عاوزه يشتغل، عاوزه يكسر لأنه غالي عليه أوي يمكن في غلاوتك كدة يعني بكرة في المقابلة تحسسه أنه حد فاشل، حد ملوش لزمة، حد كدة لو اتشال من الحياة مش هنحس بأي اختلاف .

الجنون واضح وضوح الشمس في عينيه التي تلمع ذلك اللمعان المعروف وهو يُخبر مُسعد بخطته الخبيثة .

- وليه كل الفيلم الهندي اللي أنت عامله ده، قوله مفيش شغل وخلاص.

- عبيط، أنا عاوز أكسره، عاوز أحبطه، وعلشان يبقى في إحباط لازم يبقي في أمل وعشم كبير، أنا أديته الأمل وأنت اللي هتديله الإحباط والكسرة.

- طب ما كنت تيجي علطول من البداية لازم تلف وتدور.

- غلط يا مُسعد، أنا لو جيت طلبت منك الطلب ده ساعتها هتكون أنت بتخدمني، إنما بوضعنا ده أنا اللي بخدمك وبتستر عليك وعلى فضايحك، من ساعة ما الفيديو ده وقع في أيدي وأنا شايله لوقت زي ده.

أنهى كلامه ثم هب واقفًا، دون استئذان دنا من مقبض الباب وقبل أن يخرج التفت إلى مُسعد في حركة تمثيلية وكأنه ممثل يؤدي دور الشر على خشبة المسرح.

- مُسعد، اكسرُه يا مُسعد، اكسرُه على أد ما تقدر.

خرج وسط نظرات مُسعد المتأرجحة بين الخوف والحزن والقلق الشديد.

****

حامد محتقن الوجه، يمكنك أن تخمن أنه سيموت بنوبة قلبية أو نزيف في المخ في أي لحظة، حالته سيئة جدًا لدرجة أن وجهه بدا ذو لونٍ باهت، بدأ يشعر بآلام في معدتِه بسبب التوتر الذي يضرب قولونه العصبي بلا هوادة، إنه شخص فاشل لا يصلح لعمل أي شيء في الحياة، استقر ذلك اليقين في أحشائِه بعد مقابلة الأستاذ مُسعد، تلك المقابلة التي كانت بمثابة لعنة دمرت كل ذرة ثقة كانت بداخلِه، طاقة نفسية سلبية تحيط به من كل جانب، يجلس مع مروان في ذلك الكافيه الشهير، يقص عليه

ما حدث في مقابلة الأستاذ مُسعد وهو ينظر لجهة أخرى كي لا تلتقي عيناه الشبه دامعة مع عين مروان المحملقة فيه بتركيز تام، يحكي له كيف كانت المقابلة مستفزة لدرجة أنه كان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى أن يضرب رأس مُسعد بتلك المزهرية القريبة من مكتبِه، قاطعه مروان ليمنعه من الانجراف في الغضب.

- خلاص يا حامد ولا يهمك هشوفلك شغل غيره، بس أنا عاوزك تعرف حاجة، مفيش أحسن من العمل الحر، أي حد هتروحله لازم يعمل معاك زي مُسعد وأكتر.

- ليه يعني ؟؟

- أنت لسه طالب يا حامد، يعني لا خبرة ولا كورسات ولا حتى محترف في مجال.

استخدم يديه بتلك الحركة التي تدل على الصِغر المتناهي.

- أنت لسه أد كدة هو.

زفر حامد في ملل.

- طب والعمل يعني يا مروان.

- والله العظيم يا حامد أنا وصيت عليك الأستاذ مُسعد، وهو قالي كدة كدة من غير توصيه لازم يشوف مستواك ودماغك، قولي أعمل أيه بجد وأنا تحت أمرك، لو عاوزني أكلموه تاني هكلموه، أنت أخويا يا حامد، أخويا.

يتحدث إلى حامد ببراءة شديدة.

- لا لا أنا أساسًا كرهت المكان هناك، دا غير أني بجد كرهت نفسي وحسيت أني فعلاً فاشل.

حامد يطأطأ رأسه في حزنٍ وأسى في حين أن مروان بدأ يبتسم تلك الابتسامات الخبيثة وعلى وجهه أمارات السعادة وهو يرى صديقه أمامه يشعر بضيقٍ وحزن، تبدل حال وجهه، تقمص دور المواسي الذي يشعر بآلام الغير قبل أن يرفع حامد رأسه ويتحدث إليه .

- قولي يا مروان أعمل أيه، مفيش غيرك، سيف وملوش غير في المذاكرة، فارس ودماغه مش معانا، يوسف ومن ساعة ما أتعلم التصوير وعمل فيها فوتوغرافر ومحدش عارف يكلمه، مفيش حد أثق فيه غيرك أنت .

- بص يا حامد أنت قدامك أربع طرق علشان تكبر في البلد دي، واحد أن يكون معاك فلوس وتعمل بيزنس خاص بيك، اثنين أن يكون معاك مهارات وخبرات عالية جدًا في مجال معين ودي حاجة محتاجة فلوس علشان الدراسة والكورسات، ثلاثة أن يكون ليك واسطة جامدة تحطك في مجال كويس، أربعة أنك تعمل أنت الفلوس فتقدر تعمل واحد واثنين وثلاثة .

سأله حامد مُكْفَهِرًا .

- وهعمل الفلوس دي إزاي ؟
- شغل غير شرعي طبعًا .
- غير شرعي !!

أماء له برأسِه وهو يزفر دخان لفافة التبغ من أنفه .

- وهو أنت فاكر الفلوس اللي عندنا دي كلها من الدعايا وشغل الإعلام .

ظهرت نادلة حسناء ذات تنورة حمراء قصيرة ومشية راقصة تعمل في ذلك الكافيه الذي اعتاد مروان الجلوس فيه، تشتت حامد قليلاً

حينما وقعت عيناه على جسدها الطري وهو يتمايل بقوة أمامه نتيجة تبخترها الزائد وهي تتقدم تجاههم تحمل في يديها صينية على سطحها أكواب تمتلئ بالعصائر ذوات الألوان المختلفة، تعثرت أحدى قدميها وهي بالقرب من حامد فكادت أن تسقط على الأرض لولا أنها ألقت بنفسِها على حامد لتسقط الصينية على بنطاله وملابسه وتحولها إلى ملابس مُهرج تملاءها الألوان المختلفة، هبَّ واقفًا في تلك اللحظة التي تحولت فيها الفتاة إلى قطة صغيرة خائفة، رجعت خطوة للخلف وهي تضع يدها على وجنتيها في ذهول، مروان يتابع الموقف بصمت وكأنه يشاهد عرضًا سينمائيًا لا يتوقع أحداثه، تتأرجح عيون حامد بين النظر إليها وإلى ملابسه الملطخة بألوان عديدة، بدأت النادلة الحسناء بتوزيع الاعتذار بشكل مبالغ فيه، سحبت من أسفل التنورة القصيرة قطعة قصيرة من القماش واقتربت من حامد وهي على وشك البكاء، انحنت قليلاً وبدأت بتنظيف بنطاله، تُحرك القماشة بهدوء بالقرب من أماكن تُصيبه بالقشعريرة والتوتر المبالغ فيه، فبدأ يدفعها للتخلص من ذلك الموقف بأسرع وقت، تعتذر له تلك الحسناء وهي لا تزال تداعب أعصابه في الوقت الذي بدأ فيه مروان إقناع حامد بأنها لم تكن تقصد ما حدث، بدأت تلك الحسناء بالبكاء خوفًا من أن يقدم ذلك النحيف شكوى إلى إدارة المكان تتسبب في إيقافها عن العمل، طمأنها مروان وكذلك حامد وأخبروها بأنهم لا نية لهم بفعل ذلك ، أعطى مروان مفتاح سيارتِه إلى حامد وطلب منه الانتظار فيها حتى يقوم هو بدفع الحساب ويأتي له ليذهبا سويًا إلى بيتِه ليستبدل ملابسه بملابس نظيفة ، أخذ منه المفتاح وهرع تجاه باب الخروج وهو يطأطأ رأسه حتى يتلاشى أن تلتقي عيناه بعين أي شخص فيُصاب بالإحراج ، خرج من الباب وانطلق إلى السيارة .

بعد عشرة دقائق وصل مروان السيارة، دخل في هدوء قبل أن يسأل حامد في خبث.

- ها يابني قولي عنوانك فين بالظبط في المعادي علشان أوصلك ؟؟

لم يُجيبه حامد، ظل صامتًا ينظر له كأنه كان يخشى ذلك الطلب، مروان لا يفهم ما يحدث ولا يزال في انتظار الإجابة، سأله مرة أخرى ولكن بنبرة صوت أعلى قليلاً هذه المرة، لم يجروء حامد أن يُخبر مروان بأنه نقض اتفاقه معه بأنهما سيذهبا سويًا إلى بيتِه ليستبدل ملابسه بملابس نظيفة، حامد كان لا يملك سوى رفض طلبِه قبل أن يُخبره بأنه سيأخذ سيارة أجره.

- ليه يابني ما العربية معانا أهيه وهوصلك.

- لا يا مروان، خليني على رحتي.

مروان ينظر له بخبث تُكاد الابتسامة تمزق وجهه اتساعها وهو ينظر إلى حامد الملتاع أمامه، طلب منه حامد نقود لأنه لا يمتلك سوى بطاقة البنك الإلكترونية وهو في حالة لن تسمح له بالبحث عن ماكينات ATM الآن، أعطاه مروان ما أراد ثم صافحه قبل أن يخرج من سيارته متجهًا إلى سيارة أجره تقف بالقرب من باب الكافية، بمجرد أن تحركت السيارة الأجره بـ «حامد» ظهرت على وجه مروان تلك الملامح الشيطانية الساخرة، مدَّ يده في جيبه وأخرج محفظة حامد التي سرقتها تلك النادلة الحسناء أثناء تنظيفها لبنطالِه بأمر من مروان مقابل مبلغ مادي يضاهي شهرين عمل داخل الكافية، أخذ يقذفها إلى أعلى ويلتقطها أثناء سقوطها وعلى محياه الابتسامة الشيطانية التي يُجيد رسمها على وجهه، فتح المحفظة وأخرج بطاقة حامد الشخصية، رمق صورته وابتسم بسخرية قبل أن يقلبها في يديه، قرأ عنوانه الذي يقطن فيه، المفاجأة لم يكن له

أي علاقـة بمنطقـة المعـادي، حامـد يكـذب عـلى الجميـع ويعيـش في أحـدى المناطـق الشـعبية في ضواحـي العاصمـة، اسـتكمل البحـث في المحفظـة فلـم يجـد فيهـا أي بطاقـات بنكيـة، فقـط جنيهـات معـدودة ليس إلا .

- يا ابن الكلـب، يعني لا بطاقة بنك ولا ساكن في المعادي، يعني كنت بتضحك علينا الفترة دي كلها، حاضر يا حامد، حاضر جدًا .

قال جملته الأخيرة ساخرًا .







(4)

تتحرك عيناه المُغمضة تلك التحركات التشنجية وكأنه داخل كابوس يحاول الخروج منه، تتحرك على أثر صوت جرس الباب وهو يداعب أذنه أثناء نومه، يتقلب بجسدِه فيولي وجهه شطر ظهر تلك الأريكة التي ينام عليها في صالة الشقة كأنه يحاول الهروب من ذلك الصوت الذي يقتحم نومِه عنوة، يضع وسادة على رأسِه ولكن صوت الجرس مستمر دون هوادة، اعتدل ليجلس نصف جِلسة على الأريكة، يحاول أن يستوعب ما يحدث حوله، أمام تلك الأريكة التي يعتاد النوم عليها هناك منضدة ترتفع عن الأرض قليلاً على سطحها بعض زجاجات البيرة الفارغة ، أطباق صغيرة مليئة بالتبغ وورق « البفرة » الرقيق، بصعوبة بالغة انتصب جسد فارس وراح يترنح كأنه سكران حتى باب الشقة، في طريقه حمل معه مَنْفَضةُ السجاد الرخام التي وجدها أمامه على سطح المنضدة ، يمد يده ويفتح باب الشقة ويده الأخرى يرفع بها المَنْفضة لينزل بها على رأس الطارق لكنه فوجيء أنه مروان الذي ارتعد من هيئة فارس ومنظر المَنْفَضَةُ المرفوعة في وجهِه، اعتذر له فارس قبل أن يصافحه، دلفا إلى الداخل، ألقى فارس المَنْفَضَةُ على الأرض بإهمال شديد فانقسمت إلى نصفين ، جلسا سويًا على الأريكة التي تتوسط الصالة الصغيرة داخل الشقة التي لا تتعدى مساحتها الـ 75 مترًا، مروان ينظر إلى كم زجاجات البيرة الفارغة بذهول، عددها الرهيب سيُسبب له إنفجار في القلب لا

محالـة، يتجـول بعينيـه داخـل الشـقة الـذي يُخـبره كل ركـن فيهـا بأنهـا شـقة شـخص غـير مهنـدم وغـير نظيـف، تصتـدم عينـاه بـ فـارس الجالـس عـلى الأريكـة ومنكـب عـلى سـطح المنضـدة يُعـد لفافـة تبـغ عـلى هيئـة قرطـاس مخروطـي ليُدخنهـا، صَـوَّبَ عينيـه الحمـراء الشـبه ناعسـة إلى مـروان وسـأله عـن مـا طلبُـه منـه منذُ يومـين، زفـر مـروان في ملـل.

- مش هينفع يا فارس أكون بساعدك أنك تشرب السم ده، أنا .....

قاطعة فارس « جبت الحاجة يا مروان»

- آه يـا فـارس مقـدرش أتأخـر عنـك ، أنـت أخويـا ، بـس في نفـس الوقـت..

قاطعه مرة أخرى « هات هات مش ناقصة نصايح هي »

مـدَّ مروان يـده في جيبيـه وأخـرج قطعـة حشـيش ملفوفـة بلفافـة بلاسـتيكية حمـراء، أعطاهـا إلى فـارس وهـو يبتسـم بخبـث شـديد، ملامحـه لا تُعـرب عـن أي قلـق أو ضيـق ممـا يفعلـه، أخـذ فـارس قطعـة الحشـيش ، كسر جـزء منهـا صغـير ثـم وضعـه داخـل لفافـة التبـغ مخروطـة الشـكل، أشـعلها قبـل أن يريـح رأسـه إلى الـوراء، أغمـض عينيـه وزفـر دخانهـا الكثيـف وهـو يُـردد بصـوتٍ تمـلأ ثنايـاه السـعادة .

- ما أجمل الحياة تحت تأثير المخدرات .

- وبعديـن في الـلي أنـت عاملـه في نفسـك ده، أنـا برضـو مـش قـادر أفهـم أنـت إيـه الـلي وصلـك لكـدة، الجامعـة وسـقطت ، السـباحة واتشـطب اسـمك مـن الاتحـاد ، أهلـك وسـبتهم وعايـش لوحـدك، سـجاير ومخـدرات وبتشرب ممكـن أفهـم بقـى ليـه كل ده ؟؟ ، أنـا أكـثر واحـد وقـف جنبـك وسـاعدك ومـن حقـي أعـرف أنـت بتعمـل في نفسـك كـدة ليـه ؟؟

تَخَضَّبَ وجهه بالحمرة قبل أن يُجيب علي مروان بنبرة صوت تحمل رنة غضب .

– الخيانة يا صاحبي، أسوأ حاجة في الدنيا هي الخيانة .

– يا سلام ، يعني أنت حياتك كلها أدمرت علشان الخيانة !!

– أنت مش مقدر إحساس الخيانة علشان يمكن مجربتوش أنما أنا جربته.

– يابني عادي كل واحد فينا اتعرض للخيانة في حياته بس مش كل واحد فينا عمل زيك كدة .

سحب نفس معبأ بالدخان الكثيف قبل أن يُجيبه .

– خيانة عن خيانة تفرق يا صاحبي، أصعب حاجة في الخيانة بتاعتي أنها مجتش من العدو يا مروان، للأسف جت من أقرب ناس ليه، جت من الناس اللي قدمت لهم كل حاجة كويسة ، من اللي ضحيت علشانهم وكان عندك استعداد تضحي تاني وتاني، شوفت بقى أنا عبيط إزاي ؟؟

– فارس أنا مش بحب الكلام بألغاز، حصل إيه يا فارس، أنت مكنتش كدة لما قابلتني أول ما خرجت من مصحة الدكتور حازم وكنت زي الفل وداخل بطولة كمان .

****

قبل عدة شهور

داخل أحد الكافيهات نرى فارس يجلس مع مروان بدون تلك الهالات السوداء وبدون ذلك الوجه الشاحب ، عيناه بيضاء لامعة بدون تلك الحُمرة الكاتمة أو النُعاس الذي يبدو ظاهرًا فيها طوال الوقت، فارس في صحة ومظهر جيد للغاية، يجلس مع مروان وقد نبت شعر ذقنه بشكل يوحي بالكآبه الحتمية، لا يهتم بمظهره على عكس عادته

تمامًا، يُدخن سجائر باهظة الثمن، فارس يجلس بجوارِه يولي جسده بالكامل تجاهه، يبدو أنه يتحدث معه في شيء ما مهم دفعه ليستخدم كل مشاعره وأطرافِه في الحديث.

- يا مروان اللي أنت فيه ده مش هيجيب نتيجة، نادين الله يرحمها وأنت حزنك وزعلك مش هيرجعها، أحنا ما صدقنا أنك خرجت من المصحة يا أخي.

سحب مروان نفس طويل من لفافة التبغ.

- نادين مكنتش وحشة يا فارس ولا قذرة زي ما في ناس قالت.

- متظلمش حد يا مروان.

ابتسم مروان ساخرًا فأردف فارس مُحاولاً توضيح شيئًا ما.

- أي حاجة اتقالت أو حصلت كانت مقصودة لمصلحتك و ده مكنش رأي حد فينا دي وجهة نظر الدكتور حازم.

- ملكش دعوة بالدكتور حازم يا فارس وخليك في اللي حصل وقولي صح ولا غلط.

- بكرة تفهم كل حاجة يا مروان، بقولك أيه سيبك بقى من الصعبنيات دي أنا بطولة الجمهورية بتاعتي كمان كام يوم، طبعًا كل أصحابنا المجتهدين بيذاكروا علشان الامتحانات على الأبواب فمحدش هيجي معايا تعالى أنت أهو منك تشجعني ومنك تغير جو.

- مش عاوز أشوف حد يا فارس، محدش يعرف أني خرجت من المصحة ومش هعرف حد.

- كدة كدة محدش هيجي علشان الامتحانات والله، أسمع مني.

****

داخل إحدى الأندية الكبرى تحديدًا في تلك المساحة المخصصة لحمام السباحة الأولمبي، أعداد كبيرة تجلس على تلك المدرجات المرصوصة حول حمام السباحة على هيئة مربع ينقصه ضلع، الضلع الناقص مُخصص لكراسي أعضاء هيئة التحكيم، فوق تلك الأماكن المخصصة إليهم عُلقت لافتة من القماش كُتِب عليها بخطٍ واضح « بطولة الجمهورية للسباحة »، هناك في غرفة الملابس يقف فارس في حالة توتر وارتباك واضح ، يُجيب تلك المسافة الصغيرة التي يقف فيها مروان عشرات المرات .

- أنا خايف أوي يا مروان، البطولة دي هي اللي هتحدد مستقبلي، الفائز هيترشح الأولمبياد الجاية يا مروان .

اقتحم الغرفة شخص ضخم ذو شارب كث، يرتدي ترنج رياضي أحمر .

- يلا يا فارس اللاعيبة نزلوا على حمام السباحة .

- حاضر يا كوتش أنا جي أهو .

خلع فارس الشنطة التي يرتديها على ظهرِه وأعطاها إلى مروان .

- مروان، خلي معاك الشنطة دي وأدعيلي ونبي، ها، أدعيلي .

بدأت المسابقة وحينما انتهت كان فارس مُصنف بطل الجمهورية لهذا العام لسباق 200 متر حر لكن الغريب أن فارس لم يكن سعيدًا، وجهه كان يَشي بأن هناك أمرًا ما مزعج يُعكر فرحته بتلك البطولة التي كان يتمنى أن يفوز بها، مروان كان يشعر بذلك ولكن حينما سأل فارس كانت الإجابة لا شيء ، لا شيء على الإطلاق .

****

عـاد مـروان مـرة أخـرى إلى المصحـة لأيـام قليلـة وحينـما خـرج وجـد فـارس أصبـح في حالـة يرثـى لهـا، تبدلـت حالتـه و طالـت لحيتـه وشـحب لونـه وعرفـت الهـالات السـوداء طريـق عينيـه، فقـد بعـض الكيلـو جرامـات ممـا جعـل هيئتـه يبـدو عليهـا النحـول، يجلس مـع مـروان داخـل نفـس الكافيـه الـذي أعتـادوا الجلـوس فيـه لكـن هـذه المـرة جلـس مـروان في المكـان الـذي اعتـاد فـارس الجلـوس فيـه، تبـدل الحـال وأصبـح مـروان في حالـة جيـدة أمَّـا فـارس فقـد صـارت حالتـه في غايـة السـوء .

- يابني مالـك فيـه إيـه ، من فترة كنت قاعـد في نفس المكان ده أنا وأنت وكنـت عـمال تقـولي الاكتئـاب مـش بيرجـع حاجـة ولا حـزن هيصحـي ميـت، سمعت كلامك تقوم تتحول أنت !! أيه اللي حصل في أيه ؟؟

- حاجـات كتـير أوي يـا مـروان، حاجـات كتـير بسـببها بقـى الاكتئـاب مـاشي في عروقـي زي الـدم، أنـت مـش متخيـل أنـا بتعـذب إزاي، الـكل بيعذبنـي، محـدش عـاوز يسـبني فرحـان لا العـدو ولا الصديـق ولا الـلي بحبهـم، دا حتـى الـلي بحبهـم بيعذبـوني أكـتر مـن أي حـد تـاني.

- برضو مش فاهم فيه أيه ؟؟!! حصل أيه ؟؟

- كل الـلي أقـدر أقولـه يـا مـروان إن محـدش في الدنيـا دي كلهـا يسـتاهل أنـك تضحـي علشـانه، كل يـوم بقـى يعـدي عـليَّ بيثبـت أن نظريـة أذكـى النـاس أقلهـم تعامـل مـع النـاس دي نظريـة في منتهـى العمـق، علشـان النـاس بقـت كلهـا مـن غـير أصـل أو أحسـاس .

- لا لا لا دا أنت حالتك حالة يا فارس .

أخـرج مـروان سـجارة ملفوفـة عـلى شـكل قرطـاس مخروطـي، أشـعلها بالقداحـة فانتزعهـا فـارس مـن فمِـه .

- يخربيتك دي سجارة حشيش هضيعك .

- أنا عاوز أضيع وأتوه يا مروان، عاوز أعيش في دنيا غير الدنيا بتاعتنا القذرة دي، عاوز أنسى كل حاجة حصلتلي الفترة اللي فاتت .

****

عَاقر فارس شرب ذلك السائل المجفف من المادة الصمغية المستخرجة من أوراق نبات القنب الهندي حتى أصبحت مادة « التترا هيدرو كانابينول » المتواجدة في نبات الحشيش والمسئولة عن ظهور كافة أعراضه تسير في عروقِه وجسده مثل الدماء، أدمن فارس ذلك الشعور الغريب الذي يغمره حتى النخاع حينما يُدخن نبات الحشيش، شعور بالسعادة والفرح دون وجود حتى سبب لذلك، يعيش في حالة شبيهة بالأحلام، حالة يغلب عليها الضحك والمرح الذي يصعب السيطرة عليهم، يشعر وكأن الزمان يتوقف من حولِه، كل شيء يتوقف من حولِه ويصبح تحت سيطرته، شعور بالقوة يوهمُه أنه هو فقط من يعلن عن الشيء الذي يريد أن يتفاعل معه، عن الصوت الذي يريد أن يستمع له، عن الشخص الذي يريد أن يتحدث معه، وهم جعله يشعر بأنه هو من يتحكم في كل شيء، على الرغم من أنه شعور كاذب يغلب عليه الوهم إلا أن فارس أحبُه، أحب النشوة وذلك الإحساس بالاسترخاء التام الذي يُسببه له الحشيش، أَلِفَ شعور تدنى قدرته على التركيز حتى لا يتذكر تلك الأشياء والأحداث التي تُعكر صفوِه ومزاجِه، كان يشعر شعورًا وهميًا بأنه أصبح شخص أكثر أُلْفه مع الأخرين فقد دفعه ذلك النبات المَلْعُون بزيادة حجم معارفِه من أصدقاء السوء الذين كان يجلس معهم بصحبة مروان الذي كان سبب ليتعرف فارس على ذلك النبات الرَجِيم وهو لم يتناوله أو يُدخنه قط !!

****

فارس يجلس مع مروان داخل سيارته المتوقفة في منطقة شبه خاوية من أي مارة أو سكان، عينه محتقنه بسبب تمدد الأوعية الدموية بها وزيادة عدد ضربات القلب، يريح رأسه إلى الوراء، في يده علبة صفيح بها سائل تَنَاوُل الكثير منه يُغيب العقل، يتجرع منها على فترات، مروان ينظر له باستغراب شديد .

– من أمتى بتشرب بيرة يا فارس ؟؟

ابتسم فارس قبل أن يُجيبه .

– من أول ما عرفت قيمتها، وأد أيه هي مهمة لأي حد عنده ذكريات قديمة عاوز يشد عليها السافون .

– أنت بقى كلامك كله ألغاز يا فارس وأنا مش فهمك .

– عادي بقي يا صاحبي، ما كل حاجة في الدنيا بقت ألغاز يعني هي جت عليا .

– ماشي يا عم العميق، ممكن أعرف بقى أنت أيه المكان اللي أنت موقفنا فيه ده .

– مستني حد هيجبلي حاجة .

– حاجة أيه ؟؟

– باعت أشتري حشيش وغالبًا الفلوس اللي معايا مش هتكفي .

– أهلاً، وبعت تشتريه إزاي دليفري .

– من على النت ، Dark Internet يا صديقي

– أيه ده يعني مش فاهم ؟؟

– المكان الأنسب والأمثل لعالم المُخدرات والجرائم، ده أنترنت مختلف تمامًا عن الأنترنت العادي وتقريبًا غير خاضع لأي رقابة أو متابعة من أي جهة حكومية، يعني لا IP ولا بيانات ولا حاجة خالص .



- يخربيتك وأنت وصلت للمعلومات دي أزاي؟؟

- البركة في معارفك يا غالي، واحد من الناس اللي أنت عرفتني عليهم هو اللي وراني السكة وبصراحة تسلم دماغه.

- طب قابل يا عم بقي اللي داخل علينا.

ظهر أمامهم شاب رفيع، يرتدي ملابس كلها سوداء وعلى رأسِه يضع « كابتشو » يُغطي رأسه بالكامل لا يظهر سوى جزء بسيط من وجهه يكون معه تحديد ملامح أمر في حكم المستحيل، اقترب من السيارة تحديدًا من تلك النافذة المجاورة لـ « مروان »، اقتحم ذلك الشاب الملثم السيارة برأسِه ألقى عليهم الحشيش وأخذ النقود واختفى بسرعة فائقة.

- ممكن أفهم بقى ليه اللي أنت بقيت فيه ده.

- مروان، مروان ، الله يباركلك مش هتبقى أنت هنا وأبويا في البيت ، أنا ما بصدق أخرج ، طول النهار خناق معاه ومشاكل وقرف ، أنت مالك بقيت عامل كدة ليه ، مالك بقيت خاسس ليه، مالك مفيش فيك صحة ليه، مش بتروح التمرين ليه !! لما خنق أهلي.

- وأنت مش بتروح التمرين ليه ؟؟

ضَحِك فارس بهستريا لدرجة أن السعال قد اختلط بالضحك.

- يا معلم أنا اسمي اتشطب من الاتحاد كله ، خلاص مفيش سباحة تاني للأبد، بح.

- نعم !!!

- والله زي ما بقولك كدة، خدوني علشان الكشف الطبي علشان المفروض أني مرشح للأولومبيات، لقوا كل دمي حشيش ومخدرات وخمرة

شطبوني من اتحاد اللعبة أصلاً، خلاص يا مروان كل حاجة انتهت، فارس مبقاش فارس، بقى ضيااع .

أنهى كلماته وهو يضحك بجنون .

****

بعد يومين

فارس يجلس في غرفته يدخن الحشيش قبل أن يعود والده من الخارج ليُكشف النقاب عن كل شيء أمام عين والده فيقرر أن يطرده من المنزل دون حتى الاستماع إليه وهو يُحاول جاهدًا أن يُخبره بأنه يعاني من أضرار نفسية دفعته للسير عنوة في ذلك الاتجاه السيء، في نفس اللحظة التي عادت فيها أخته من المدرسة لتشاهد كل شيء بعيون دامعة باكية .

وجد فارس نفسه بين عشية وضحاها أنه بلا مأوى، بلا منزل، بلا نقود، لم يخطر في باله شيء سوى أصدقائه، لحسن الحظ أن هاتفه الخلوي كان يرقد في جيب البنطال الذي يرتديه، أخرجه وحاول الاتصال بـ « مروان » لكن صدمه صوت تلك الفتاة ذات الدم البارد التي تُخبرك ببرود متناهي أن الهاتف مغلق وعليك الاتصال في وقتٍ لاحق، لا يوجد وقتٍ أخر فارس يقف في الشارع بملابس نومه ولا يرتدي حتى حذاء، سيف سيحل الآن المركز التالي، هاتفه فأجابه فأخبره بقصتِه مع والده، لم يعطه وقت كافٍ للدهشة والاستغراب والتأنيب على ما أصابه فقد قاطعه فارس بأن عليه أن يتصرف لأنه لا يمتلك حتى نقود للانتقال لكن سيف كعادته أخبره أنه في الجامعة وهناك الكثير من المحاضرات المهمة التي لو تركها ستكون بمثابة التخلي عن المركز الأول الذي تعود عليه منذُ أن وطئت قدمِه الحرم الجامعي ، أغلق الهاتف وكل خلية في كيانه تعانقها خيبة الأمل، هاتفه يئن، هناك رسالة ، شركة المحمول تخبره بأن هاتف

مروان أصبح الآن متاحًا ويمكنه الاتصال به إن أرد ذلك، على الفور اتصل به فارس، قص عليه سريعًا ما حدث ليجده في زمن قياسي يقف أمامه بسيارته.

داخل السيارة كان مروان يستمع إلى ما حدث بالتفصيل دون رد فعل يذكر وكأنه أراد أن يركز في كل تفصيلة حدثت، حاول أن يُخفف على فارس ما حدث فأخبره أنه أمر طبيعي سيفعله أي أب يجد ابنه الوحيد في ذلك الموقف، أخذه إلى بيته ليقيم معه هذه الليلة وفي الصباح انتقلوا سويًا إلى الهرم حيث السمسار الذي يعرفه مروان ليمضي عقد إيجار لتلك الشقة الصغيرة الذي سيقيم بها فارس حتى مرور هذه الأزمة، فارس لا يجد ما يقول أو يفعل سوى أن مروان هو أجدى شخص عَرِفَهُ طوال حياته، مروان يعطي العقد إلى فارس وهو يُخبره أن الشقة من الآن أصبحت تحت تصرفه.

- اللي بتعمله معايا ده كتير أوي يا مروان.

- بلاش عبط مفيش حاجة كتيرة عليك، أنت أخويا يا فارس، أخويا، عارف يعني أيه أخويا.

****

الحالة التي وصل إليها فارس جعلته يرسب في امتحانات السنة الثالثة بل إن هناك بعض المواد لم يحضر فيها الامتحان من الأساس مما جعل كل من سيف ويوسف وحامد يتصلون به ويأتون لزيارته في شقة الهرم، استقبلهم فارس لكنه لم يكن فارس الذي اعتادوا عليه، إنه شخص أخر نحيف، شاحب اللون والوجه، الهالات السوداء تتخذ من تحت عينيه مأوى لها، لاحظ الجميع زجاجات البيرة الفارغة وأطباق التبغ الصغيرة التي تملأ سطح المنضدة، رائحة الكحول التي تعبأ المكان، تتزايد علامات

الاستفهام عند كل أصدقائه مع مرور الوقت خاصة حينما قص عليهم قصته وكيف طرده والده من المنزل شر طرده لكنه لم يخبر أي شخص منهم أن مروان هو من يساعده لأنها كانت رغبة مروان نفسه، كان دائمًا يشدد عليه ألا يخبر أحدًا بأي مساعدة يقدمها له خاصة أنه لم يخبر أحد من أصدقاء الجامعة أنه لم يخرج من المصحة حتى الآن .

****

ظل مروان يتردد على فارس كل حين، يبتاع له كل ما يريد من حشيش ومخدرات وشرابًا يُغيب العقل دون أن يسأله حتى عن السبب الذي دفعه وحوله إلى ذلك الشخص ، في تلك الفترة كان فارس يتحدث إلى والدته أو أخته هاتفيًا كل حين ليطمئن عليهم وليخبرهم أنه بخير.

في بداية العام الدراسي ذهب مروان إلى الجامعة وكأنه خرج لتوه من المصحة ليتقابل مع سيف ثم أفتعل ردود أفعال باحترافية شديدة حينما أخبره سيف بأن فارس طُرِد من منزله وبات يتعاطى المخدرات !!

****

مروان يستكمل حديثه مع فارس داخل صالة الشقة بعد ما تذكر معه كل الأحداث العصيبة التي مرت عليه دون أن يفهم مروان سبب ذلك التغير، فارس يستمع له وهو يدخن لفافة التبغ المُزود بالحشيش والتي قاربت على الانتهاء تقريبًا.

- أنت عمال تفكرني بالماضي ليه يا مروان .

- مستغرب يا فارس إزاي كنت بساعدك من غير ما أفهم حتى أيه اللي وصلك لكدة .

- قولتلك الخيانة يا مروان، الخيانة .

- أنهي خيانة بالظبط، مين اللي خانك وبسببه وصلت لكدة .

- مروان، أنا عارف كويس جدًا أنت وقفت جنبي أد أيه بس بجد لو بتحبني أنا مش عاوز أكلم في الموضوع ده تاني، ممكن ولا صعب .

زفر مروان في ملل شديد .

- طول عمرك كتوم، الواحد بيعرف منك المعلومة بالعافية .

- معلش يا مروان سبني براحتي .

- ماشي يا سيدي أنا جي أقولك إني عازمكم كلكم يوم الخميس اللي جي في مطعم كدة يعني بمناسبة خروجي من المصحة .

- هو أنت ليه ليه مكنتش عاوز تعرف حد أنك خرجت من المصحة.

ابتسم مروان حتى لاحت أسنانه .

- مش أنت بس اللي عندك صندوق أسود يا فارس، لما أعرف بقى مين اللي خانك أبقى أقولك أنا بعمل كدة ليه، هقوم أنا بقى علشان عندي مقابلة رومانسية وأنت كدة هتعطلني .

- رومانسية !!

- آه ، أخوك احتمال يخطب قريبًا .

اِفْتَرَّ فارس بسخرية وكأن ما سَمِعه مجرد قرار غبي.

- بص يا مروان، أنت ذكي ومعاملاتك وعلاقاتك الكتير تخليك ميتخفش عليك، بس نصيحة مني خلي بالك، أوعى تثق في أي واحدة تقولك بحبك، أي واحدة هتخذلك بلا استثناء، الاهتمام والاتصالات والحب كل ده هيتغير بعد كدة، الحب والارتباط ده فخ بيقع فيه أي حد مهما كان ذكي، خلي بالك يا مروان ، خلي بالك علشان أنت حد كويس مش عاوز ألاقيك قاعد بتشرب وبتضرب جنبي هنا وبتشتكي من الخيانة.





(5)

مروان يتابع صعود درجات ذلك الدرج الواسع داخل تلك البناية متوسطة الطول التي تقع في منتصف أحد الشوارع بوسط البلد، السقف مرتفع جدًا فتشعر وكأنك داخل أحد متاحف فينيسيا وليس داخل بناية متوسطة، الشقة فيها لا يتعدى إيجارها الشهري جنيهات معدودة، يخشى ركوب ذلك المصعد شبه المكشوف الذي يتحرك في وسط البناية والذي يُشعرك من صَرِيفه المُرَوِّع أنه على وشك السقوط الحتمي.

وصل إلى الطابق الثالث في الوقت الذي وصل فيه قلبه وعضلاته إلى أقصى جهد ممكن، وصل حيث مقر الجمعية الخيرية التي لها نشاطات كثيرة ومهمة في مجال مساعدة الغير، بمجرد أن وَطِئت قدميه الجمعية بدأ الاستقبال الحافل من كل العاملين فيها؛ لأن مروان يعتبر من أهم المتبرعين للجمعية منذُ أن عَرِف طريقها من أشهر قليلة وهو يتبرع شهريًا بمبلغ كبير لمساعدة الغير، دلف إلى داخل الشركة ليتلقى تحية من كل شخص يقابله حتى وصل إلى مبتغاه ، مكتب أماني، طالبة جامعية في كلية صيدلة، تبتر ساعات قليلة جدًا من وقتها المزدحم دائمًا طوال فترة الدراسة لتهبها إلى تلك الجمعية الخيرية التي على علم بنشاطها السليم وحبها في عمل الخير، تجلس أماني على مكتب صغير يُجبرك على الجلوس بوضعية معينة إذا أردت بقاء ذراعيك داخل إطار سطحِه، منكبة على تلك الأوراق التي أمامها ، تحاول أن تنهي ما بدأته في أسرع وقت ممكن، يقترب مروان من

مكتبها وعلى محياه ابتسامة رضا وحب لم تعرف طريق وجهه إلا حينما قابل أماني ورق قلبه لها، انعكاس صورة مروان يظهر في زجاج ذلك البرواز الذي يحفظ بداخله آيه قرآنية « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه» .

بصوت هادئ وحنون ألقى عليها السلام، رفعت رأسها ونظرت له ليتسع بؤبؤ عينه بمجرد أن التقى مع عينيها الواسعة ذات البريق اللامع، ابتسمت تلك الابتسامة الملائكية التي تشف عن روحها الطاهرة، ألقت عليه السلام قبل أن يجلس على الكرسي المقابل لمكتبها المتواضع، جلس هادئًا ساكنًا يستمع إلى كلمات الترحيب الصادقة التي تُلقيها على مسامعِه بصوتها الأقرب إلى قلبِه، مزيج غامض من الامتنان والسعادة تحيط بمروان فـ « أماني » هي آية الحب المقدس بالنسبة له، اكتشف أنها تسري في دمائِه كالخمر والمُسكِرات، لا يمكنه منعها وإلا كان الهلاك، بدأ يختلق حديث معها فسألها هل يحتاجون أي مساعدة أو دعم يقدمه إليها أم كل شيء على ما يرام فكان جوابها أن كل شيء على ما يرام بفضل مجهود مُحِبي الخير كأمثاله الذين باتوا عملة نادرة في زمنٍ كثُر فيه الأَوَابِد .

- يا أستاذة أماني أنا مش بعمل حاجة دي فلوس ربنا وأنا برجعها تاني لربنا ولكن بشكل حلو ومُهذب .

- ربنا يباركلك يا أستاذ مروان والله .

نظر بطرف عينيه إلى ساعة الحائط .

- أنا مش عاوز أعطلك، أنا عارف أنك بتمشي دلوقتي .

- فعلاً أنا بمشي دلوقتي واضح أنك حفظت مواعيدي، بس عمومًا يعني أنت مش معطلني ولا حاجة، مفيش في الدنيا كلها حاجة أحسن من عمل الخير .

أخرج ظرف أبيض مُحكم الغلق، أعطاه إليها وهو ينظر في الأرض خجلاً.

- ده المبلغ الشهري اللي بدفعه للجمعية.

أخذته منه وهي تبتسم.

- إحنا مش عارفين نقولك أيه والله يا أستاذ مروان، محدش في الدنيا كلها بيعمل اللي أنت بتعمله ده.

اكتفى مروان برسم تلك الابتسامة على وجهه، اقتحم رجل صعيدي أسمر، جففـ جسده كثرة تناول الجبن القديم وحرارة الشمس الحارقة في صعيد مصر، قطع خيط المحادثة حينما تحدث إلى أماني بلهجته الصعيدية بأن إطارات سيارتها أفرغت كل الهواء الذي يختزن في بطنها ولن تستطيع السيارة التحرك مترًا واحدًا، الخبر نزل على أماني كالصاعقة، نهضت أماني من مقامها وهرعت تجاه باب الشركة، انتهز مروان فرصة انشغال الجميع بـ « أماني » ومدَّ يده وأخذ ظرف النقود الأبيض الذي أعطاها إياه سلفًا، دفسه في جيبِه قبل أن يتحدث للجميع بأن يعود كل منهم إلى عملِه وهو سوف يتولى حل تلك المشكلة.

****

يقف كل من مروان وأماني التي تضع يدها على رأسِها في حزنَ وحسرة شديدة أمام إطارات السيارة فارغة الهواء بصحبة حارس العقار الصعيدي، أماني لا تدري ماذا تفعل أمام تلك الكارثة، بدأت عيناها تلمع وهي على وشك البكاء، من أصعب اللحظات في حياتك أن ترى دموع من تحب، مروان تدخل سريعًا مُحاولاً أنهاء الأزمة ولكنه فوجيء بها تنفجر في وجه حارس العقار الصعيدي، تنهره على تقصيره ورعونته في الحفاظ على ممتلكاتهم، حاول مروان تهدئتها قبل أن يعطي الحارس مبلغ

مالي ليحضر أحدًا يصلح الإطارات، أعطاه مبلغ مالي كبير جدًا وكأنه يُحاول أن يعتذر عن تصرفات أماني التي صدرت منها تحت ضغط عصبي كبير، أخذ منه النقود وهو يُسدد له نظرات غيظ مبالغ فيها بعدها انطلق وهو يستمع إلى أمر مروان بأن إطارات السيارة يجب أن تكون جاهزة في خلال ساعة من الآن.

- أنا ممكن أوصلك الجامعة.

- حتى لو وصلت أنا أعصابي خلاص باظط وأتوترت، مش هعرف أركز خالص، كان عندي محاضرات مهمة.

- مش مهم يا أستاذة أماني مجتش على يوم واحد.

زفرت في ملل شديد.

- الحمد الله، عمومًا متشكرة، هطلع أجبلك الفلوس و....

قاطعها مروان.

- أنا مش عاوز فلوس.

- لا هتاخدها.

قالتها بعصبية مفرطة قبل أن تنتبه لما فعلته فتحاول تصحيح ذلك.

- أستاذ مروان أنا آسفة بس أنت شايف اللي أنا فيه.

- مفيش مشكلة يا أماني أنا مش زعلان أصلًا.

قالها بابتسامة ودم بارد.

- عن أذنك هطلع أجبلك الفلوس.

- مش هينفع تطلعي وأنتِ متعصبة وشكلك كدة، مش كل اللي حواليكي بيحبك متفرحيش حد فيكي لو سمحت.

رمقته بدهشة وتعجب شديد فهذا الرد لم يكن متوقع بالمرة، أردف مروان.

- أنا هطلع أجبلك الشنطة وهوصلك الجامعة هتاخدي محاضراتك وتروحي ولما العربية تخلص أنا هجبهالك لحد البيت.

****

ضوء كشافات سيارة أماني يقطع ظلام ذلك الشارع الساكن ذي الإضاءة الخافتة، تقترب السيارة ببطء شديد، يقودها مروان الذي يتلفت حوله يمينًا ويسارًا كأنه يبحث عن شيء ما، يتنقل ببصره بين اللوحات الزرقاء المنقوش عليها أرقام الشوارع باللون الأبيض، الشوارع كلها تشبه بعضها داخل منطقة المعادي، وصل إلى شارع 9 بعدما تعدى عقرب الساعة الكبير نصف ساعة كاملة من البحث، ها هي رقم البناية التي أخبرته به التي هبطت درجات الدرج وهي تبتسم وسعيدة استعدادًا للقاء مروان الذي شعرت أنه على استعداد أن يفعل أي شيء وكل شيء فقط من أجلها، مروان يقف بجوار سيارتها يُشعل لفافة تبغ تمهيدًا الضخِه في عروقِه وعلى وجهِه يتجسد ذلك العذاب الذي وجده في منطقة المعادي، اقتربت منه في خجل طفلة صغيرة كسرت تلك المزهرية باهظة الثمن وعليها الآن مواجهة والدتها بالحقيقة، اقتربت منه فتهللت أساريره حينما وجدها، فضحت ملامحه حبه الشديد لها منذُ أن رآها، سألها عن أحوالها وهو يرى حمرة الخجل ظاهرة على وجنتيها فأماءت له برأسها أنها بخير قبل أن تسأله بصوت بالكاد يُسمع عن أحواله فأجابها أنه بخير وسيكون بخير مدام ابتعد عن متاهة المعادي، ابتسمت قبل أن تصدر صوت ضحك مسموع.

- ما أصل بصراحة مش عارف أيه متاهة جحا اللي أنتِ ساكنة فيها دي، كلها شبه بعضها.

- المعادي فعلاً أي حد لازم يتوه فيها، أنا لحد فترة قريبة أوي كنت بتوه فيها أصلاً بعدين أتصل ببابا يجي ياخودني .

- الله يسمحك يا شيخة بس يلا كله يهون علشان خاطر عيونك .

كلماته الأخيرة كانت سببًا في سماع صوت ضربات قلبها بعدما أحمر وجهها الأبيض وشعر برجفة حقيقية في يدها، تلعثمت وبدأت تُتمتم بكلام غريب ليس مفهوم، ابتسم مروان في ثقة فقد أدرك الآن أن أماني قد رق قلبها له .

حاول مروان أن يُغير دفة الحديث حتى لا يصيبها بالتوتر أكثر من ذلك فأخبرها أنهم في حاجة ماسة إلى تغير حارس العقار المسئول عن البناية التي يقع بها مقر الجمعيية الخيرية لأنه شخص غبي، يفضل المال بشكل مبالغ فيه يؤثر بشدة على بصيرته، تذكرت أماني أن عليها تسديد تلك المبالغ التي دفعها مروان لإصلاح إطارات السيارة، طلبت من مروان معرفة المبلغ الذي دفعه في البداية رفض ولكن مع كثرة الإلحاح أخبرها أنه مبلغ كبير قد يتخطى الثلاثة ألاف جنية، تباعد فكيها في بلاها ولولا أنها فتاة مهذبة لكان مروان استمع إلى ما لا يرضية .

- ليه يعني هو أنت اشتريت إطارات جديدة ؟!

ابتسم مروان قبل أن تنفجر هي فيه كي يخبرها بما حدث وكيف لحارس العقار الجشع أن يأخذ منه كل هذه النقود وهل هو شخص ساذج ليعطيه إياها، بدأ مروان يقص عليها ما حدث .

****

وصل مروان إلى تلك البناية التي يقع بها مقر الجمعية، مروان معروف جدًا لدى حارس العقار الصعيدي الذي اقترب منه ليسير الموقف كما هو مخطط له، مروان لا يبروم اتفاقًا مع أحد إلا وهو يعرف الكثير والكثير

عنه، هو يعلم أن ذلك الصعيدي لا يُقدس شيء أكثر من المال، قبل أن يبدأ الكلام أخرج ورقة من فئة المائتين جنيه وأعطاها إلي حارس العقار لتتلقى بعدها أذنه وابل من الشكر والثناء.

عاوز أطلب منك خدمة يا عبد الصمد.

- أأمرني يا مروان بيه.

- أستاذة أماني اللي شغالة في الجمعية الخيرية.

- ملها يا باشا.

- العربية الصغيرة الزرقة اللي هناك دي بتاعتها مش كدة.

أشار مروان إلى سيارة صغيرة زرقاء اللون تقف بالقرب من البناية، نظر إليها حارس العقار قبل أن يخبره بهدوء.

- آه يا باشا هي.

- طيب خلي بالك بقى علشان الكوتشات كلها على الأرض.

اتسعت حدقته عن أخرها قبل أن يتصلب الشعر على مؤخرة عنقه من هول المفاجأة، أردف مروان في برود وبلهجة شبيهة بإنسان آلي يتكلم.

- وأنت مخضوض كدة ليه يا عم أنت هو أنت اللي عملتها.

- لا بس لما الأربعة يحصل فيهم كدة مرة واحدة يبقى بفعل فاعل.

- أيوه طبعًا ما أنا الفاعل.

عبد الصمد ثابت لا يتكلم، تدخل مروان سريعًا لأنه يعلم أنه سيُكشر حتمًا عن أنيابه ويبرز له جناحين وطواط.

أنا كل اللي طلبه منك أنك كمان نص ساعة كدة أو أقل تطلع الجمعية هتلاقيني قاعد معاها على المكتب هتدخل تقولها ألحقي كوتشات العربية على الأرض، هتنزل هي جري، هتبقي زعلانة جدًا وغالبًا عقلها هيبقى

رافض يفكر من شدة الصدمة، أنا هديلك فلوس تروح تجيب جد يصلحها فده دور مهم أنا هعمله وبسببه هيبقى في كلام بنا غير الشغل.

- لا يا أستاذ مروان ضميري ميسمحليش أعمل حاجة زي دي أساسًا.

مروان يُدركُ جيدًا أن عبد الصمد يريد التلاعب به ليحصل على مبلغ مالي أكثر احترامًا.

- طيب نقول تاخد ثلاثة تلاف مثلاً على القصة دي.

ابتلع ريقه بصوتٍ مسموع.

- كام !!!

- ثلاثة وجبها ثلاثة أصفار، ها ضميرك هيسمح ولا أشوف حد تاني.

- ضميري مش موجود أساسًا، هات الفلوس.

****

مروان يستند على السيارة يدخن لفافة تبغ أمَّا أماني فقد بدا عليها ملامح البلاهة لدرجة أن فكها السفلي قد تدلى بغباء واضح لا يشوبه الشك.

- يعني أنت اللي مألف السيناريو اللي حصل ده كله ؟؟!!

أماء وجهه في برود، أماني لا تزال تحت تأثير الصدمة لا تجد ما تقوله أو تفعله.

- وأنا المفروض أعمل أيه بقى دلوقتي ؟

- المفروض أن أنتِ تسمعيني، أول على الأقل تفهمي أنا عملت كذة ليه، أصل أنا لا عبيط ولا فاضي علشان أعمل الكلام ده من فراغ أكيد في سبب هو اللي خلاني أعمل الكلام ده.

- وأيه بقي هو السبب اللي يخليك تعمل التصرفات الغريبة دي ؟؟!!

جملتها الأخير تحمل بعض القسوة والقوة فأجابها مروان بصوت هادىء رصين.

- السبب أني بحبك يا أماني، السبب أني بحبك بجد.

لا تعرف هي كيف استحوزت تلك الجملة الأخيرة عليها، كيف نزلت عليها بردًا وسلامًا علمًا بأن أماني كانت ترفض أي محاولة لأي شخص يحاول الاقتراب منها، كانت تؤجل كل شيء حتى تنهي دراستها لكن مروان استطاع أن ينفذ من ذلك الثقب الصغير الذي سهت هي عنه، شعرت بارتياح شديد وكأنها كانت تتمني سماع تلك الجملة منذُ أن رأته، لم تستطع كبح مشاعرها، لم تستطع أن تصرخ في وجهه وتقول له من الذي أعطى لك الحق في فعل هذا التصرف الأحمق، بل وجدت نفسها تهوى بلا توقف دون أي مقاومة، أردف مروان بنبرة صوت ناعمة يحاول بها الاقتراب أكثر من أماني وقلبها.

- على فكرة أنا عمري ما كان ليه في جو الجمعيات الخيرية ده ولا في التبرعات، أنا شفتك مرة صدفة وكنت مع واحد صاحبي في الجامعة فحبيت أتبرع أوي ولقيت أن هي الوسيلة الوحيدة اللي هتخليني أشوفك مرة على الأقل كل شهر.

- بس لازم تكون بتحب الخير.

- بموت فيه والله هو واللي في الجمعية.

بدأت أماني تذوب ببطء في عالمه كأن روحها تخرج من جسدها لتسيل في دمائه.

- مالك يا أماني مش بتتكلمي ليه ؟؟

بدأت ترتبك وعلى وجنتيها حمره الخجل المعروفة.



- أنا مش عارفة أتكلم ومش عارفة أقول أيه .

- عمومًا أنا كنت متوقع، رقمي أهو .

انتزع من يدها الهاتف الخلوي، كتب رقم هاتفه قبل أن يضغط على زر الاتصال .

- كدة معاكي رقمي وأنا معايا رقمك، مش عاوز منك أي كلام أو رد دلوقتي، هتصل بيكي ونرتب مكان نقعد نتكلم فيه، دا لو مكنش عندك مانع طبعًا .

ضوء كشافات سيارة يضرب المكان بقسوة، أنها سيارة تقترب منهم ببطء حتى توقفت أمامهم مباشرة، فتح الباب وظهر الدكتور مصطفى والد أماني، اقترب منهم بثقة، صافح مروان فصافحه بجدية .

- دكتور مصطفي بابا ، ده بقى مروان اللي قولت لحضرتك عليه .

ابتسم له الدكتور بهدوء قبل أن يتحدث معه بوقار شديد يتناسب مع سنه ومكانته .

- أنت مثال للشباب المحترم يا مروان يابني .

ابتسم مروان مجاملاً .

- أتمنى أني أفضل عند حسن ظنك للنهاية يا دكتور .

- أكيد يابني كلك ذوق، أماني أركني العربية وأبقي أطلعي أنا هطلع أنام لأني تعبان جدًا .

أنهى الدكتور مصطفى كلماته وانصرف .

- مسألتنيش يعني أنا ليه قولت على البواب اللي عندكم غبي .

- آه صحيح ليه ؟؟

- علشان الغبي قدملي خدمة كبيرة أوي بفلوس قليلة أوي لأنه لو كان طلب فلوس أكثر من كدة كنت أديته .

- أصلاً أنا مش فاهمه أنت ليه عملت كل ده ، كان ممكن تقول كل اللي أنت عاوز تقوله من غير التمثيلية دي .

أجابها بهدوء شديد ورصانة .

- أول مرة الولد بيعترف فيها للبنت أنه بيحبها وعاوز يرتبط بيها الحدث ده بيتحفر في عقلها وفي ذاكرتها ومش بتنساه، فأنا حبيت أني أقولك بحبك بشكل مختلف ففكرت في الفكرة دي اللي تخليني أقف تحت بيتك وقدام أبوكي اللي عدى علينا من شوية وشكرني وأقول اللي أنا عاوزه من غير ما أحس أني حرامي بيعمل حاجة غلط ، عرفتي بقى ليه الغبي خدمني خدمة كبيرة أوي بفلوس قليلة أوي .

****

تَوَطَّدَت العلاقة سريعًا بين مروان وأماني التي وجدت نفسها تنجذب ناحيتُه دون إرادة منها ، صوته الرخيم المليء بالحنان بات من الأشياء الأساسية التي تشعر حتمًا بوجود شيء ينقصها إذا لم تستمع إليه، وجدته يطلب لقاءها ليتحدث معها في أمرٍ ما يخصهما، في البداية كانت مترددة لكنها مع مرور الوقت وإلحاح مروان المستمر لم تستطع المقاومة، لا تدري كيف استطاع التسلل إليها بغتة من حيث لا تدري ولا تحتسب، كيف تحولت بين يديه إلى ذلك الكائن الواهن الضعيف الذي لا يقوى على أن يرفض له أي شيء، ربما لأنها أحست أنه صادق لا يراوغها مثل هؤلاء اللذين حاولوا أخذ مكانته سلفًا، ملامحه الطاهره وهيئته التي تنُمُ عن بيئة صالحة لا يمكن أن تكذب .

أماني تجلس أمام مروان داخل ذلك الكازينو الذي يطل مباشرةً على نهرنا الخالد، الشمس أذنت بالمغيب فصبغت السماء بذلك اللون البرتقالي الجذاب، أماني تجلس بتلك الوضعية التي يظهر بين ثناياها أنها المرة الأولى التي تجلس مع شاب في مكان عام، تنكمش على نفسها قدر المستطاع، يختنق صوتها رافضًا النطق، لا تتحدث مع مروان إلا في أضيق الحدود غير ذلك لا تستخدم سوى إيماءات معروفة، على عكس مروان الذي كان يتعامل معها وكأنه يعرفها منذُ نعومة أظافرها، كان يحاول أن ينتزع منها الكلمات كأنه في حالة ماسة إلى أخذ جرعات إضافية من صوتها، لكنها كانت كعود ثقاب رطب يحتاج إلى مجهود مضاعف للاشتعال، ليس أمام مروان سوى أن يسلك أزقة الكلام عن نفسه حتى يستقطبها ويجعلها تذوب فيه وفي حياته، تصير جزءًا منه، لا حل سوى الكلام عن نادين ذلك الصندوق الأسود الذي لا يعرف عنه الكثير لكن لن يكون الكلام عنها مباشرةً حتى لا تشعر أنه يريد أن يكسب تعاطفها فسألها عن أسرتها.

- لا يامروان أنا مليش أخوات ، أنا وحيدة .

ظهر على وجهه شيء من الشفقة ولكن أراد ألا يطيل ذلك حتى لا يُسبب لها أي نوع من الانزعاج.

- بصي هي حاجة ممكن تكون صعبة، بس تلاقيكي وخده الدلع كله.

ابتسمت ابتسامة واهنة لا تنمُ عن أي سعادة وإنما تدل على سخرية من كلام مروان الذي لا يعلم شيئًا عن مأساتها.

- اللي قاعدة قدامك دي عايشة حياة صعبة جدًا ومش أي حد يستحملها علشان كدة أنا كنت رافضة فكرة الارتباط إلا من راجل يكون أد المسئولية .

- ليه يا أماني حصل أيه ؟؟

- أنا بابا انفصل عن ماما وأنا عندي عشر سنين بالظبط، كنت عايشة ما بين هنا وهنا، شوية مع ماما وشوية مع بابا، بس الأيام اللي كانت مع بابا دي كانت أسوأ أيام لأني مش بحبه علشان هو كان بيعامل ماما قدامي بطريقة مفيش فيها أي احترام لحد ما ماتت وسابتني كان ساعتها عندي 13 سنة تقريبًا فطبعًا رحت عشت مع بابا خصوصًا أن تيتا كانت متوفية، عيشت معاه في شقته اللي في المعادي ومن ساعتها وأنا هناك، عرفت ليه بقى بقولك أنا عايشة حياة صعبة جدًّا.

قطب جبهته مفكرًا قبل أن يسألها بصوتٍ بدا فيه مترددًا.

- علشان كدة أنتِ بتحبي الأعمال الخيرية.

هزت رأسها بنعم بعد أن أغمضت عينيها.

- أيوة وجودي في جمعية خيرية بتساعد الناس المحتاجة سواء في جواز يتيمات أو مساعدة حد هيتسجن علشان كام ألف جنيه أو أي مساعدة بشكل عام، متعة اللي كان محتاجلها بس هو اللي هيحس بيها.

أماء مروان برأسِه دون أن يتكلم، أردات هي تغير دفة الحديث حتى لا يمل منها مروان ويشعر أنها كائن كئيب.

- مروان ممكن بقي تكلمني عن نفسك، عاوزة أعرف عنك أكتر.

- عاوزة تعرفي أيه ؟؟

رفعت كتفيها إلى أعلى فقد جاءها رد غير متوقع من مروان.

- كل حاجة عنك يا مروان، محتاجة أعرف أنت مين، وعرفت الجمعية إزاي وأشمعنى أنا بالذات اللي اتشدتلي.

- وأشمعنى أنا بالذات اللي وافقتي تخرجي معاه؟ المعلومة اللي أنا أعرفها عن شخصيتك أنها صعبة جدًا في التعاملات الشخصية وأنك من

المستحيل تخرجي مع شباب لوحدكم، أشمعنى أنا بقي معايا بالذات ضربتي بالقاعدة دي عرض الحائط .

بُهِتت أماني ولم تجد ما تقوله، مروان يجيب على أسئلتها بتساؤلات من العسير أن تجد لها إجابة، أصبحت أماني في نهاية زقاق ضيق للغاية، تقف ظهرها للحائط وجهًا لوجه مع أفعوان ماكر شرس، يجيد المراوغة، يعرف كيف يهرب من الإجابات وكيف يطرح الأسئلة وكيف يستدرجها إلى نهاية الزقاق حيث هي الآن .

- علشان بتحب أعمال الخير، بسبب أعمال الخير أنا اتشديت ليك ووافقت لما قولتلي أنك معجب بيه ومترددتش أن أقعد معاك في مكان عام لوحدنا، علشان اللي بيحب فعل الخير لا يمكن يكون بيحب الضرر لحد .

ابتسم مروان وكأنه وصل لمبتغاه .

- دي تقريبًا نفس أسبابي بس أنا هقولها بشكل مختلف شوية، أنتِ في كلية صعبة وفي نفس الوقت متطوعة في جمعية خيرية مش علشان أنتِ عندك وقت فاضي مش عارفة تمليه لا علشان بتحبي الخير وفوق كل ده حلوة وزي القمر وطلع باباكي كمان دكتور مصطفى منتدب عندي في الكلية .

- بتهزر .

- لا والله، أنا عرفت صدفه أساسًا .

ضاقت عيناها وهي تنظر له « أوعى تكون حبتني علشان كدة » .

- والله أبدًا أصلاً هو مش بيديني أنا علشان أنا ضاع مني سنتين، هو بيدي الناس اللي في آخر سنة .

- خلاص سماح، لا هو مش سماح أوي، أنت ذكي وده كان واضح من تصرفاتك في موضوع العربية بتاعتي وده يدل أن عندك جزء لئيم شوية من الأخر أنت مش سهل أوي يعني.

أسبل مروان جفنيه عليها بعدما نفث سحابة من الدخان.

- أنا عمري ما كنت كدة غير في الفترة الأخيرة بس، تحديدًا بعد ما عرفت أد أيه أحنا بقينا عايشين في عالم قذر مبقاش في رحمة أو إنسانية، عالم بقى كل الناس فيه من غير قواعد ولا ضمير.

ملامح وجهها بدا عليها التأثر الشديد وهي تنقب عن تلك الأسباب التي دفعته لذلك الكلام المخيف.

- ليه بتقول كدة يا مروان، الدنيا فيها حاجات كتير حلوة ومش كل حاجة تشوفها بالمنظور ده.

- اللي اتحرق بالنار يا أماني إحساسه مختلف غير اللي واقف يساعده أو يتفرج عليه، محدش بيحس بالجزمة الضيقة غير اللي لابسها، مفيش أصعب من أن الواحد يشوف أخته الوحيدة بتموت قدامه بسبب واحد كنت فاكره صاحبي

****

اليوم هو زفاف أحد أقارب مروان، سيكون حفلاً مختلفًا لأن العروسة ابنة خالته الوحيدة وهو يحبها ويعتبرها أخته الثانية بعد نادين التي لم يحب أحد شقيقته مثلما يحب مروان نادين، بديهيًا سيتواجد اليوم في حفلة الزفاف أصدقاء مروان «سيف، يوسف، فارس، حامد» للرقص والسعادة، فرصة خصبة ليصرخ الجميع ويرقص ليُخرج تكتلات اليأس والإحباط التي يشعرون بها، أنت وسط زحام شديد وهناك أصوات يرتفع ترددها بشكل من الممكن أن يصيبك بالصمم، لن يشعر بك أحد،

افعل ما شئت حتى تخرج من هناك وقد خف وزنك بعدما تتخلص من كل الأعباء التي تحملها بداخلك، لا تهتم بأحد فقط اهتم بإخراج كل شيء بداخلك، هكذا يتحدث الجميع مع أنفسهم.

بدأ الحفل وبدأت معه المعازيم بإخراج كل الأحاسيس السلبية التي يشعرون بها، هؤلاء لا يرقصون فرحًا هؤلاء يرقصون للتخفيف من الضغط النفسي والتخلص من تلك الأعباء التي أثقلت كاهلهم، الجميع مشغولون بالرقص على عكس سيف، فهو وقور، راهب علم وفي اعتقاده لا يجوز لراهب العلم أن يفعل تلك الأفعال الصبيانية المراهقة، يجلس على كرسيه في إِتِّزان، يتابع بعينيه كل ما يدور حوله في رَصَانَة وتَعَقْل، وقعت عيناه أثناء تجولها على فتاة جميلة، لا تنخرط مع الباقين في التواء جسدها وإظهار مفاتنها، عيناها واسعة جميلة كأن المها أخذت منها جمال العيون، ملامحها البسيطة غاية في الروعة والجمال، شعرها أسود طويل كأشجار السنديان، شعر سيف أنها كوكب مضيء وسط ذلك الظلام الذي يعم المكان، هو كان يحلم بفتاة مثلها وها هي تقف أمامه، نهض تدريجيًا وعيناه تتعلق بها، أخذ كمية كبيرة من الأكسجين وهو يفكر كيف سيبدأ الحديث معها، شيئاً ما بداخله أوقفه، لماذا يبحث عن الطريق، لماذا يفكر وهنا يوجد صديقًا له سيسهل عليه كل شيء، بحث عنه بنظرات من يبحث عن فريسة ليُخرِس آلام جوعِه، ها هو هناك يرقص مع باقي الأصدقاء، هرع صوبِه، انتزعه من داخل الدائرة التي يصنعها الأصدقاء حوله وهو يرقص باندماج شديد، انزوى به بعيدًا عن الزحام، أخبره مروان وهو يُجفف العرق عن السبب الهام الذي جعله يُخرجه من لذة الاستمتاع والنشوة، فأجابه سيف بلهجته الصعيدية الخفيفة أنه يريد أن يسأل عن فتاة تلاعبت به وبمشاعره بمجرد أن وقعت عيناه عليها، سأله

من تكون فأشار إليها ، مروان لا يجد ما يُقال، انتظر قليلاً قبل أن يسأله ماذا بعد أن يعرف من تكون .

– هروح أتقدملها يا سيدي .

– خلاص هاخد رأيها وأقولك .

زفر سيف في ملل شديد .

– أنت بارد صحيح ، أنا بسألك سؤال، أنت مالك بقى تسألها ولا متسألهاش هو أنت أخوها.

– آه يا سيف أخوها، دي نادين أختي .

تيبس سيف وشعر أنه بات في موقف حرج، تلعثم وهو يُحاول الاعتذار لـ «مروان» الذي لم يكف عن الضحك .

– متعتذرش يابني أنت مقولتش حاجة غلط، أنت طلبت حاجة صح جدًا وكمان حلال وعلى العموم يا سيدي أنا لو لفيت الدنيا كلها مش هلاقي عريس لأختي أحسن منك، واحد ملوش في أي حاجة غير المذاكرة والحضور، لا سجاير ولا خروج ولا سهر، ولا بيعاكس معانا النسوان .

قال جملته الأخيرة مازحًا وهو يغمز بعينه اليسرى .

****

تحدث مروان مع نادين، في البداية كان الأمر في غاية الإحراج ولكنها تقبلت الارتباط به بسبب كلام مروان عن سيف بأنه شخص طيب ذو طابع أخلاقي نادر فهو لا ينخرط معهم في أي شيء ولا يميل لتلك الأفعال الصبيانية التي يميل لها مروان وأصدقاؤه، وصلت لنادين فكرة أن سيف هو أفضل شخص قابله مروان في حياته بل هو أفضل منه بكثير

وإلا كيف له أن يرشح لها شخص هناك اتساع مادي شاسع بينهم، لابد أن يكون شخصًا مميزًا، لابد أنه يمتلك شيئًا لا يمتلكه كل أصدقائهم الأغنياء.

****

مروان يجلس داخل الكافية الذي يعتاد الجلوس فيه بصحبتِه نادين وسيف، رَتَب مروان ذلك اللقاء ليُتيح لهما فرصة الكلام والتعارف خارج نطاق اللقاءات الرسمية التي تُحدد وتُحجم كل شيء، بعد ربع ساعة تقريبًا استأذن مروان بحجة أن هناك اتصال هام لابد أن يقوم به، حُجة قديمة لكنها لا تزال هي الأشهر في مثل هذه المواقف.

سيف يجلس أمام نادين بوضعية تشف ذلك الإحراج الذي يغمره حتى النخاع، اصطبغ وجهه باللون الأصفر في حين أن العرق كان يكسوه بالكامل، ملامح وجهه فضحت ذلك التوتر الشديد الذي يقع تحت تأثيره، سقطت منه كل الكلمات وتبخرت كل الجُمل والأسئلة التي كان ينوي طرحها، كان سيف يواجه تحديًا كبيرًا من نفسِه التي تُعاني من داء الحياء المبالغ فيه، كل هذه التصرفات جعلت نادين تعلم لماذا رشح لها أخوها سيف الأشبه بالفتاة البِكر التي تتدثر بثوب الحياء والخجل.

ظَفَر سيف في اللقاء الأول ببعض المعلومات الطفيفة عن نادين عن طريق تلك الأسئلة التي عاونهُ جهازُه العصبي على تكوينها أمَّا نادين فقد شعرت أنه شخص لا غبار عليه على الرغم من تلك الطريقة التقريرية المريعة التي يتحدث بها وعلى الرغم من كلامه الذي لم يستطع النجاة من تلك اللهجة الصعيدية الخفيفة إلا أنها شعرت أنه إنسان صادق، جيد، باطنه يبدو كظاهره، يتميز بطهارة نفس غريبة تجعله يتلعثم حينما

يتحدث مع الفتيات على عكس الشباب الذين يجيدون عزف الكلام، شعرت بالفعل أنها محظوظة بحب شاب بتلك المواصفات في هذا الزمان الموحش.

****

تعددت اللقاءات بينهم وفي كل مرة كان سيف يحصل على بعض المعلومات التي تخص نادين، تَوَطَّدَتْ العلاقة بينهم سريعًا، نادين كانت تشعر أن سيف هو الأنسب لها في زمنٍ الكل فيه أصبح منافقًا بدلاً من أن يكون صادقًا وماهرًا، أدمنت نادين الكلام معه، أحبت قلبه الخالي تمامًا من التجعايد، أدركت كم يحبها ويهبها من كنوز الحياة ما لم تعيشه أي صديقة لها، شكلت هي وسيف انسجامًا غير مسبق كأنهما آلتان لا يصلحان سوى للعزف المشترك، كانت نادين مبتهجة سعيدة، فرحة كالفراشة التي تتنقل على الأزهار داخل الحقول، سيف لم يتوقف معها عند هذا الحد بل وعدها أنها ستكون ملكة داخل مملكته المتواضعة الفقيرة إلى حد ما، مروان كان سعيدًا وهو يشاهد أخته الوحيدة أمامه مسرورة، فَرِحة بتلك الحياة الجديدة التي تعيشها الآن، هو يعلم جيدًا أنه سيواجه مشكلة عَسِرة في إقناع والدهم بـ «سيف» بسبب ذلك الاتساع المادي الشاهق الذي لن يراه سوى والدهما الأرستقراطي.

****

مرَّ الوقت وجاء وقت إعلان خطبتهم، نادين كانت تخشى مواجهة والدها صاحب المال والنفوذ، فتركت الأمر إلى مروان الذي لا يهمه سوى أن يرها في غاية السعادة.

تَوْبِيخ وتَأْنِيب وتَقْرِيع هو ناتج حديث مروان مع والده الذي رفض الأمر تمامًا بعدما وصفه بأنه شحص أَخْرَق وأَرْعَن لا يعرف أي شيء عن

مصلحة شقيقته الوحيدة، فكيف سيُزوجها من ذلك الشاب المعدوم لمجرد أنه صاحب قلب أبيض وضمير مستيقظ، وما الدليل القاطع على أنه ذلك الشخص من الأساس، هو لم يضعه في اختبار حقيقي ليعرف هل هو كذلك أم أنه يصطنع تلك الأمور فالجوع لا ضمير له من الأساس، ومن جائع جشع، في وجهة نظر أبيهم سيف ينتظر فقط الوقت المناسب لينقض عليهم ويلتهمهم كالذئب.

مروان لا يرى ذلك، سيف شخص أُمْلود( )، دمث الخُلق، طيب الأعراق، يتنزه على تلك الصفات الآسِنه التي وصفها به والده، هؤلاء هم الأغنياء يرتابون في كل شخص أقل منهم ماديًا، نادين لم تستطع أن تحبس دموعها حينما علمت بقرار والدها العنصري، هي كانت تتوقع أن يخمش والدها بأظافره تلك الحياة السعيدة التي كانت ترسمها في خيالها ولكنه في النهاية كان مجرد توقع من الممكن أن يُصيب أو يخيب أمّا الآن فقد بات واقعًا ملموسًا، «لن أترك سيف مهما حدث» هذا كان قرارها التي أخبرت به مروان بصوتها الذي اختنق من شدة البكاء، قطب مروان جبهته وهو يُفكر فيما يجب عليه فعله، هو لن يسلمها إلى تلك الحياة البائسة الحزينة التي لا مصلحة فيها إلا لوالده وأعماله، لن يتركها قُربانًا لأحد أصدقاء والده الذي يريد أن يُزيد أمواله ونفوذه من خلاله، لا حل سوى الزواج، لا حل سوى أن يضع الجميع أمام الأمر الواقع، المهم أن يكون سيف مستعد أن يحارب من أجلها، عليه أن يتأكد أولاً.

****

- سيف أنا اللي هعمله ده عمري ما فكرت أنه هيحصل، أنا هعمل ده علشان بس أنا واثق فيك وعارف أنت أيه.

- وأنا أد المسئولية دي يا مروان.

- سيف علشان خاطر ربنا، وعلشان خاطر نادين، أنا مليش غيرها في الدنيا .

- أنا كمان يا مروان مليش غيرها في الدنيا .

اِسْتَأجَر مروان شقة صغيرة لأتمام هذه الزيجة بطريقة رسمية حيث سيكون هناك مأذون وشهود وكل شيء سيتم على سنة الله ورسوله، كان التوتر يحرق أعصاب نادين، يلتهم كل جزء في جسدِها لدرجة أنها أخطأت عدة مرات في اسم مروان وسيف، الأمر ليس بسيط بالنسبة لها حتى ولو كان في وجود أخيها، الأب هو الأب بالنسبة للعروس، من سيصتحبها إلى مكان الزفاف، من سيسير بجانبها ليُسلمها إلى زوجها، لا أحد .

قلبها يدق بطريقة هستيرية كأنه على وشك أن يثب من فمها، أطرافها ترتعش وبشرتها صُبغت باللون الأصفر، مروان كان يدرك ذلك جيدًا لذلك كان يُحاول أن يُهدئ من روعِها قدر المستطاع، نادين لم تستطع التماسك أكثر من ذلك فبدأت تدخل سريعًا في نوبة بكاء .

- أيه يا نادين حصل أيه يا حبيبتي .

- مش قادرة يا مروان، مش قادرة أتخيل أني ممكن أجوز من غير بابا.

- يا نادين ما أنتِ عارفة أبو كي بيفكر أزاي ، كل تفكيره مادي، عمره ما كان هيوافق على جوازة زي دي، بعدين أنا وافقت لما لقيتك متمسكة بـ « سيف » وأنا عارف أنه طيب وهيسعدك بعدين أنا عاوز أطمئن عليكي يا نادين، متنسيش أني مُهدد بالموت في أي وقت .

- متقولش كدة يا مروان، إن شاء الله هتخف يا حبيبي، أحنا بعتنا التحاليل كلها لمستشفى كبيرة في ألمانيا وهتاخد المصل وإن شاء الله هتخف.

ابتسم مروان حتى يبدد ذلك الشعور الكئيب الذي بدأ ينتشر في المكان .

- جرى أيه بقى يا ست نادين عاوز أفرح أنا و أنسى المشاكل والمرض ولا أنتِ غاوية نكد .

أتاهم صوت طرق على الباب قبل أن تتسع فرجته ليظهر سيف يرتدي بذلة أنيقة تجعل مظهره مختلفًا .

- الله الله يا عم مروان حضرتك هنا وأنا قاعد مع المأذون بره .

- لا يا سيف جي أهو والله، اسبقني أنت وأنا هجيب نادين وهاجي .

- حاضر .

خرج سيف ثم عاد سريعًا إلى الداخل .

- وكفاية بوس سبلي حبة لو سمحت .

- أطلع بره يا حيوان .

قالها مروان مازحًا فانفجرت نادين بالضحك، خرج سيف فنظر لها مروان بملامح وجه تحمل الكثير من الجدية .

- نادين مش عاوز حد يعرف حاجة عن حقيقة مرضي حتى سيف، ممكن ؟؟

أماءت برأسِها والحزن الممزوج بالخوف يتمكن منها تمامًا .

****

سيف يجلس بجوار المأذون بجواره كل من حامد وفارس أمَّا يوسف صديقهم كان يمارس هوايته بحرق وجوههم بفلاش كاميرته فائقة الجودة، يوسف يعمل مصورًا بجوار دراسته، يحب التصوير بشكل يجعله يتعامل مع العدسة والكاميرا على أنها ابنته الوحيدة، نعود إلى سيف الذي ينظر إلى نادين بشغف شديد، يتسع بؤبؤ عينه كلما اقتربت منهم بفستانها

الجميل بصحبة أخيها الوحيد، نادين تجاهد حتى لا يظهر على وجهها ذلك الإحساس المقيت بأن والدها ليس بجانبها في هذه اللحظة علاوة على الضغط النفسي الذي يسببه لها ما يحدث الآن، بالإضافة إلى مرض أخيها الوحيد، كلها صراعات مميتة جعلتها تسقط على الأرض مغشية عليها قبل الوصول إلى سيف والمأذون.

****

مرت ثلاثة أيام ونادين حبيسة غرفة العناية المركزة، نائمة على السرير ترتدي ذلك اللباس الأخضر وسط كم هائل من الأجهزة والأسلاك المتداخلة.

دكتور بدين يرتدي بلطو أبيض ويجلس على مكتبه في الغرفة المخصصة له، يقرأ مجموعة من التحاليل من خلف عويناته الطبية، على وجهِه يبدو التأثير الشديد.

- أنتم أزاي معرفتوش كل الفترة دي أن أختك بتموت وحالتها في منتهى الخطورة، أختك عندها كانسر في الرَحِم ولازم يستأصل في أسرع وقت لأن الورم اللي عندها خبيث ولو خرج من الرحم هتبقي كارثة.

الخبر نزل كالصاعقة على مروان وعلى سيف الذي كان يقف بجوارِه دون حِراك.

****

مروان يجلس وحيدًا أمام باب غرفة العمليات على كرسي بلاستيكي من تلك الكراسي البرتقالية المشهورة بها المستشفيات، بجواره أربعة كراسي فارغة في حالة يرثى لها، تتجمع فوق رأسه سحابات الاغتمام وكأنها تستعد لتُمطر عليه مطر الأحزان الأسود، أطرافه ترتعش وضربات قلبه تتعالى بشكل هستيري، فُتِح الباب وخرجت أخته نائمة على الترولي

وبطنها ملفوفة بالكامل، اللون الأحمر يصبغ تقريبًا كل شيء، في تلك اللحظة ظهر والدها، يبدو عليه التأثير الشديد فقد بدا هشًا منكسرًا على غير عادته، ذهبت عنه الكاريزما، ذهبت عنه الشخصية القوية الصلبة، تمكن الإعياء الشديد منه بعدما عَلِم بما حدث، اقترب من مروان بهدوء شديد، لم يتمالك نفسه مروان، لن يستطيع الصمود أكثر من ذلك، فقط وجد نفسه يرتمي في حضن أبيه وهو يبكي بكاء هستيريًا.

****

مروان لا يزال يجلس مع أماني في الكازينو الذي يطل على نهر النيل، يقص عليها ما حدث له ولأخته الوحيدة نادين، أماني لا تتمالك نفسها فبدأت دموعها تتساقط دون إرادة منها، أخرج مروان منديلاً ورقيًا ومد يده به إليها، أخذته وبدأت تُجفف الدموع المنهمرة منها، سألته بصوتٍ يختنق من شدة الدموع.

- وبعدين يا مروان، بعدين أيه اللي حصل ؟؟

- سيف سبها بعد كل اللي عملناه علشانه بحجة أنها مش هتعرف تخلف بعد استقصال الرَحِم، قالي أهله صعايدة وهو كان مستعد يحاربهم علشان أي حاجة إلا الخلفة، الغريب مش في كدة، الغريب أن كل أصحبنا قالوا إنه عنده الحق في كدة.

- أصحابك دول أندال وسيف ده بني آدام قذر، والله حرام، حرام اللي حصل ده، بس أنت أزاي مقدرتش تكتشف أنه كدة طول الفترة دي.

سحب مروان نفس من لفافة التبغ التي أشعلها منذُ دقائق.

- الشر والسوء ليهم أقنعة كتير أوي، أخطر قناع فيهم هو قناع الفضيلة والتقوى وللأسف هو ده اللي كان لابسه سيف طول الوقت ولسه لابسه ومقتنع بيه لحد النهاردة.

قالت أماني بلهجة هجومية عنيفة إنه إنسان حقير لا يستحق أي شيء ويجب على مروان أن يقطع علاقته معه لأنه تخلى عنها ببساطة رغم كل ما قدمته إليه ، هدأت قليلاً ثم سألته ماذا حدث بعد ذلك لـ « نادين » .

****

سافر مروان للعلاج بعد إلحاح شديد من والده الذي بات لا يتحمل صدمات أخرى وحينما عاد اكتشف أن حالة نادين قد تحولت بشكل غريب وسريع على الرغم من قِصر الفترة الزمنية، مروان كان لا يعلم سبب ذلك التغير لكنه بات يرتاب في نومها الكثير، عدم ذهابها إلى الجامعة مثلما اعتادت سلفًا، طلبها الزائد على النقود، فمهما أخذت من نقود لا يُكفي حاجتها، ليست هذه هي الأسباب الوحيدة التي جعلته يشك في أمرِها بل اضطراب ساعات نومها وساعتها البيلوجية التي اختلفت تمامًا، عيناها التي اتسعت حدقتها فجأة دون سابق إنذار علاوة على اللون الأحمر الذي بدأ يصبغ قرنيتها معظم الوقت، يزول ثم يعود في دورة لا تتوقف أبدًا، هبوط نشاطها بشكل ملحوظ حتى إن النوم بدأ يلتهم معظم أوقاتها وحينما تستيقظ لا تجلس معهم في المنزل بل تهرع إلى خارج البيت بحجة أن هناك مجموعة من الأصدقاء في انتظارها، إذا حاول أحد التدخل ومنعها انهارت وصرخت في وجهِه بشكل هستيري لم يعاهده أحد من أسرتها قبل ذلك، كل هذه الأسباب السابقة من الممكن أن تكون بسبب حالتها النفسية السيئة لما حدث معها ومرت به الفترة السابقة ولكن ما جعل الشك يعرف طريقه إلى قلب مروان أنه لاحظ اتساع ملحوظ وتضخم مفاجيء في جلد فتحتي أنفها مع ظهور احمرار واضح عليهما علاوة على أنها بدأت تهمل نظافتها الشخصية ولا تعتني بها، هذه الأسباب جعلت ناقوس الخطر يدق في رأس مروان الذي قرر أن يتبع خطواتها ليعلم أين تتوقف سفينتها كل ليلة.

نادين داخل غرفتها منذُ أن استيقظت من نومِها إذاً هي على شفى الخروج الآن، مروان يستعد، يجلس داخل غرفته تاركًا نفسه وجسده فريسة للقلق والتوتر، صرير باب غرفتها يرتفع، مروان يخرج من غرفته سريعًا ليلحق بها بعدما سَمِع صوت محرك سيارتها وهو يزأر قبل أن تنطلق بها، بالتأكيد سيحافظ على تلك المسافة التي لا تجعله في مجال رؤيتها، البارحة طلبت نقود فلم يعطيها والدها بناء على رغبة مروان الذي لم يعطها شيئًا أيضًا، خرجت نادين وفي يدها شنطة سودا ، إنها شنطة « اللاب توب » الخاص بها، الشك بدأ يزداد في صدر مروان ويتلاعب به مثلما يتلاعب الهواء بقطعة قماش مُعلقة .

نادين تسير بسيارتها في طرق تتلوى بين البنايات كالثعبان، مرت عشرون دقيقة وهي مستمرة في السير دون توقف، البنايات بدأت تشح من حولنا ليحتل مكانها أراضي جرداء تتسع بمساحات شاهقة على جانبي الطريق، بعد مسافة ليست بقليلة انحرفت بالسيارة ناحية اليمين حيث طريق مائل ينحدر للأسفل ليجد مروان نفسه داخل منطقة أشبه بعزبة معظم بيوتها من الصفيح، أطفال عارية تجري وتلهو دون أي قيود، ازدحام الشارع وتكدث المارة بهذا الشكل المبالغ فيه سيجعل السيارة تسير ببطء شديد سيُمكن نادين من رؤية مروان وسيارته خاصة أن نادين صاحبة السيارة الوحيدة هنا، لا حل سوى التوقف، انحدر مروان بالسيارة وتوقف بها على مشارف العزبة من الخارج، هناك شاب رفيع في سمك القلم الرصاص تقريبًا، يجلس على الرصيف، هيئته تُخبرك دون أن يتكلم أنه على استعداد لفعل أي شيء مقابل النقود، أشار إليه فأتاه مسرعًا، أعطاه مروان مبلغًا ماليًا لن يستطيع الحصول عليه في سنة كاملة من العمل، أمره بأن يحرس السيارة وحينما يعود سيعطيه أضعافه، هرع مروان خلف سيارة نادين التي تسير ببطء شديد كأنها طفلة صغيرة

في بدايات تعليمها للسير، الطريق ضيق جدًّا كأنها شرايين تتلوى وسط مئات العشش والبيوت المُكونة من طابق واحد، نادين تتعرض لتحرشات لفظية قد تتخطى حاجز المسموح به بشكل كبير لكن لا تبالي بأي شيء كأنها اعتادت على ذلك، مروان تغلي الدماء في عروقِه لكن لا يستطيع الاقتراب فقط يحاول أن يكظم عيظه قدر المستطاع، وصلت إلى مبنى كبير مُكون من ثلاثة طوابق، هو المبنى الأعلى في تلك العزبة، يحيط به سور من السلك الشائك، في واجهة المبنى قبل الوصول إلى السلك الشائك هناك أفراد يصطفون كأنهم يستعدون لحرب طاحنة، يقفون في أتم استعداد للاشتباك، بحوزة كل فرد منهم سلاح أبيض أو ناري، توقفت بالسيارة على مسافة بعيدة، هكذا كانت التعليمات، اقتربت دون خوف من حاملين الأسلحة كأنها اعتادت على فعل ذلك، اتجهت نحو رجل نحيف ذي شارب كث، يرتدي الجلباب ويُدخن الأرجيلة، اقتربت منه، مدت يدها بشنطة اللاب توب، فتحتها أمام عينيه، ألقى عليها نظرة خاطفه وهو يسحب دخان الأرجيلة إلى صدرِه ثم عاود النظر إليها، ابتسم بخبث وهو يزفر الدخان الكثيف فقد تأكد أنها باتت على مشارف الإفلاس، ستأتيه بعد ذلك رغبة في المخدرات وهي على استعداد للتنازل عن أي شيء، لن يمر الأمر هكذا لأبد أن يتلاعب بها قليلاً.

- حد قالك يا سنيورة إنك جايه تشتري مخدرات من مول البستان.

- مش معايا فلوس دلوقتي خليه عندك ولما أجيب فلوس أبقي أخده.

سحب نفس من الأرجيلة وهو يشير إلى شاب صغير أعطاه كيس بلاستيكي أسود، مد يده به إليها.

- البودرة يا برنسيسة.

مدت يدها لتأخذه فراوغها حتى بدت قريبة منه جداً فصفعها على مؤخرتها فضحك الجميع، نهرته نادين وأخذت الكيس البلاستيكي وانصرفت وسط ضحكات الجميع وصوت ذلك النحيف الذي ارتفع.

- خلاص قربت تفلس يا جميل وهتجيلي راكع.

****

وصلت نادين إلى بناية تقع في حي المهندسين، أوقفت سيارتها وترجلت حتى باب البناية، مرت من البوابة التي يقبع بجوارها حارس العقار الذي ألقت عليه السلام فأجابها بأسلوب ركيك لا احترام فيه كأنها فتاة ليل لا كرامة لها، وصلت إلى الأسانسير فأَعْرَضَ حارس العقار واختفى لم يلاحظ مروان أين ذهب لأنه كان يركز على نادين، لا يهم فحارس العقار لا يعنيه من الأساس، وصلت إلى شقة تقع في الدور السادس، إنها شقة إحدى أصدقائها، قرعت الجرس ففتحت لها صديقتها، دلفت للداخل وهي تزفر بضجر شديد، أغلقت الباب في اللحظة التي وصل فيها، بخطوات بطيئة اقترب من باب الشقة، انحنى ووضع رأسه على الباب ليستمع إلى الشجار الذي نشب بين نادين وأصدقائها، تخبرهم بلهجة لا مزاح فيها بأنها لن تذهب إلى تلك العزبة مرة أخرى، لن تبتاع البودرة ثانية، فيكفي ما حدث لها علاوة على أنها تحتاج إلى نقود فهي باتت في مأزق حقيقي وغير مستعدة لتُنفق على أحد.

- خلاص يا ست نادين أنا اللي هروح المرة الجاية وأنا اللي هدفع كمان، ورينا بقي جايبه أيه معاكي.

- هكون جايبه أيه يعني بودرة طبعًا.

- مالك يا نادين سخنة علينا ليه كدة، ما تهدي كدة.

هـذه كانـت صديقـة أخرى لـ «ناديـن » لكنهـا كانـت تكرههـا وتحقـد عليهـا بشـدة كونهـا كانـت دائـمًا الأفضـل والأنقـى بينهـم .

– بقولـك أيـه أنـا مـش ناقصـة أسـلوبك المسـتفز ده، أنـا شـوفت يـوم النهاردة ربنا وحده اللي يعلـم بيه دا غير الأرف اللي عماله أشيله من يوم زفت العمليـة، كل واحـدة تحـط لسـنها في بوقهـا بـدل مـا وديني مـا ليهـا عندي غير الجزمة، وأنتِ يـا حبيبتي اهـدى خـلاص ملهـاش لزمة الغيرة بقينـا وسـخين زي بعض .

كلمتهـا الأخيرة موجهـة لتلـك التـي تكرههـا بشـدة فأجابتهـا بأسـلوب بـارد مستفز .

– لا يـا حبيبتي أحنـا مش زي بعض، أنـا كاملة وممكن أخلـف إنما أنتِ نقـص منك حته.

– آه يا واطية يابنت الكلب .

نشـب شـجار وتشـابك بالأيـدي بـين ناديـن وتلـك الحقـودة المستفزة، ارتفـع صـوت الشـجار والصِراخ وبـدا مسـموعًا ، صاحبـة الشـقة تـصرخ في الجميـع حتـى لا ينكشـف أمرهـم وسـط الجيران، مـروان لا يسـتطيع الانتظـار فقـد انكشـف كل شيء أمـام عينيـه، لابـد أن يتدخـل، اسـتمع إلى وقـع أقـدام تتابـع الخطـى عـلى درجـات السـلم، إنهـا أصـوات أقـدام كثـيرة تصعـد مـن أسـفل إلى أعـلى بسرعـة فائقـة، الأسـانسير أيضًـا يصعـد، مـروان لا يعلـم لمـاذا هـرع بعيـدًا، لمـاذا قـرر دون تفكـير أن يتـوارى، صعـد درجـات السـلم حيـث الطابـق الأعـلى، انكمـش بجـوار ذلـك السـور القصـير الـذي يفصـل السـلم عـن الهاويـة ، ارتفـع قليـلاً برأسِـه ليُشـاهد مـا يحـدث، إنهـم رجـال المباحـث يتجمعـون أمـام بـاب الشـقة بصحبـة حـارس العقـار، ارتفعـت أصـوات الطـرق عـلى البـاب بصـورة جنونيـة قبـل أن يأمـر شـخص ذو كاريزمـا وهيبـة

شـديدة الجميع بكسر الباب ، احتاج الباب إلى ثلاثة خبطات متتالية من كتِف ذلك المخبر ذى الجسد العملاق حتى ينفسخ الحلّق وتتسع فرجة الباب، دخلوا جميعًا كالتتار، ارتفع صوت البكاء والعويل، جف حلق مروان ولمعت عيناه، تجمد في تلك الوضعية التي يجلس بها وهو يشاهد مستقبل أخته الوحيدة ينهار أمام عينيه، لا يستطيع أن يفعل لها شيئًا، لم يستمر هذا طويلاً بعدما أطلقت إحدى الفتيات صرخة جنونية بعدما شاهدت نادين وهي تلقي بنفسها من النافذة لتسقط على الأرض جثة هامدة تقبع داخل بقعة دماء حمراء تتسع من تحتها، لم تتحمل ما حدث ولن تتحمل ما سيحدث بعد أخبار الجرائد التي ستُذيع للجميع عن تفاصيل القبض علي مجموعة بنات مدمنات في شقة بالمهندسين ليتحول الخبر إلى انتحار فتاة لحظة القبض عليها .

****

مروان لا يزال يقص على أماني ما حدث، انطوى على نفسِه وتقوقع في جلستِه، انحنى ظهره وهو يتحدث عن بشاعة وفاة أخته الوحيدة، أماني لم تستطع حبس دموعها أكثر من ذلك فأطلقت لها العنان لتتخذ من عينيها إلى وجنتيها طريقًا لها، ارتفع نَّحِيبها وبدا مسموعًا فلم يتمالك مروان نفسه هو الآخر فتساقطت دموعه وبدأ جسده بالاهتزاز، أماني وجدت نفسها تدق على ظهره دقًا خفيفًا بحنان بالغ دون إرادة منها، تُحاول أن تواسيه و تؤازره في ذلك الموقف الصعب الذي لا يُحتمل على الإطلاق .

- بجد يا مروان أنا مش عارفة أقولك أيه، أنت كويس جدًا أنك لسه واقف على رجلك، بس أحب أقولك إن صاحبك سيف ده يستاهل الحرق حي، حرام يموت موتة طبيعية .

مسح دموعه قبل أن تتسع عيناه بقوة ويتمكن منها الشر لتصبح عين قوية ثاقبة قادرة على الإطاحة بقارات كاملة .

- تفتكري أنا هسيبهم كدة من غير ما انتقم منهم، لازم كلهم يشربوا من نفس الكأس اللي أنا شربت منه ، لازم يتعذبوا زي ما نادين اتعذبت .

- مش كلهم يا مروان، أنت لو عاوز تنتقم بجد تنتقم من سيف هو السبب في كل ده .

- وباقي الناس شايفة أنهم ملهمش ذنب .

- مش زي الكلب سيف ده .

- ولو عرفتي أنهم شوهوا صورتها وقالوا عليها كلام مش كويس وحكموا عليها بأنها بنت مدمنة ومش كويسة في الوقت اللي هما عارفين كويس أوي هي أدمنت ليه .

- يعني اتكلموا عليها .

- بأوسخ كلام ممكن تسمعيه .

- لا عيب أوي طبعًا هما مش واخدين بالهم هما بيكلموا على أخت صاحبهم .

- ربنا يكفيكي شر شغل النسوان لما يطلع من رجالة، ومش أي رجالة، المفروض أنهم صحابي .

- وأنت ناوي تعمل معاهم أيه ؟؟

صمت قليلاً قبل أن يُخبرها برصانة .

- أنتِ أيه رأيك في قصة قابيل وهابيل .

- أزاي يعني ؟؟ مش فاهمة !!

- قصة قابيل وهابيل يا أماني، إيه مش عرفاها؟!

- عارفاها طبعًا يا مروان بس أيه علاقتها بموضوعنا دلوقتي ؟؟!!

- دي هي أساس موضوعنا، كلنا حكمنا على قابيل بأنه شخص سيء علشان قتل أخوه بس عمر ما حد فينا سأل نفسه يا ترى لو هابيل اتحط في نفس ظروف قابيل كان برضو هيفضل الشخص الطيب الودود ولا كان هيتصرف زي قابيل ، ولا كان هيتصرف بشكل أسوء منه ؟؟

تتابعه أماني بعينين كستها حالة من الذهول بمجرد أن تناولت أذنيها الضئيلة هذا السؤال الذي لم يخطر أبدًا على تفكيرها قبل ذلك، أردف مروان .

- حكم أصدقائي على أختي هو نفس حكمنا على قابيل بالظبط فأنا قررت أني أنصب ميزان العدل وأحط كل واحد في ظروف نادين بس بطريقته هو ونشوف بقى هيفضل هو الشخص الطيب الجميل الودود ولا هيقلب قابيل مع أول ضغطه .

أجابته أماني بصوتٍ ضعيف .

- على فكرة القرآن مجاوب علي السؤال اللي أنت سألته في الأول لو كان هابيل مكان قابيل كان هيعمل أيه .

- فين الأجابة ؟؟

- بسم الله الرحمن الرحيم « لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ » صدق الله العظيم ، ده كان رد هابيل على قابيل .

- وبرضو كان هيبقى رد قابيل على هابيل لو كان القربان بتاعه هو اللي تقبل، الحالة النفسية والبيئية والعقلية للشخص اللي كسب بتختلف تمامًا عن الشخص اللي خسر فرد الفعل لازم يبقى كدة، أنتِ لو عاوزة تعرفي وتفهمي الشخص اللي قدامك شوفيه ديمًا وهو خسران مش كسبان .

أماني تنصت إليه بإمعان شديد، لا تجد ما تقوله، أردف مروان.

- أنا مش عاوز أوجع دماغك بالعك والمشاكل دي، الفكرة كلها أني حبيتك بجد وعاوز أرتبط بيكي فمينفعش أبدأ حياتي معاك وأنا مخبي عليكي أي حاجة.

أماءت أماني برأسِها دون أن تتكلم وكأن هول ما تسمعه منذُ لقاءها مع مروان قد جعلها في حالة صدمة شديدة.

- كدة تقريبًا قولتلك على كل حاجة ماعدا موضوع واحد.

- موضوع أيه ؟؟

- مرضي، التسمم السُجُقّي.

****

بدأ مروان يشعر بانسدال وارتخاء في أجفانِه، تشوُّش في رؤيته وضعف شديد في عضلات جسدِه، في البداية ظن أنها أعراض أنفلونزا خاصة وهو يجلس مع أصدقائه « سيف، يوسف، فارس، حامد » في المقطم، يتناولون وجبة العشاء هناك في ذلك المكان الذي اختاره فارس، لم يبالِ مروان بما يشعر خاصة أن مذاق الطعام كان غير جيد مما أدى إلى وجود رغبة شديدة في التقيء، لا حل سوى النوم، خلد إلى الفراش ليستيقظ بعد ساعات قليلة وهو يتقيء بشدة كما لو كان يعاني من حالة تسمم شديدة، إعياءه الشديد وقيء مستمر جعل والده ونادين يهرعون به إلى المستشفى، هناك جاء تشخيص حالته بأنه مُصاب بالتسمم السُجُقِّيّ أو التَّسَمُّم الوثيقي نتيجة الغذاء الملوث وهو حالة نادرة لكنها تمثل خطرًا شديدا جدًا على حياة المُصاب، يعد هذا التسمم من أقوى السموم التي يعرفها العلم على الإطلاق لأنه يهاجم الجهاز العصبي والنخاع الشوكي مما يؤدي إلى ضمور العضلات وتوقف الرئة بشكل نهائي ليُسبب الوفاة،

التَّسَمُّم الوثيقي تتطلب رعاية طبية فورية لأنها تستطيع إنتاج ذيفانات شديدة السومية داخل جسم الإنسان، أخبره هناك الطبيب المعالج أنه سيتعامل مع الفيرس قدر المستطاع ليضمن له الشفاء التام لأبد أن يتم معالجته بحقن ترياقات ومضادات للسم غير متوفرة إلا في دول أوربا وأمريكا علاوة على وجود علاج لدعم وظائف الجسم مثل الرئة حتى لا تتوقف فجأة، رفض والده فكرة استراد العلاج من الخارج وأصر على سفر مروان للعلاج هناك، جاء ذلك القرار في الوقت الذي كان يخطط فيه مروان لزيجة أخته من سيف دون علم والده.

بعد عملية استقصال رَحِم نادين بسبب مرض السرطان الخبيث الذي ربما نشط بشدة بسبب الأحداث الصعبة المتتالية، ساءت حالة مروان لدرجة أنه شعر فعلاً بسكرات الموت أكثر من مرة وهو يشعر برئتيه تتوقف تدريجيًا عن العمل، مروان كان يرفض السفر والعلاج وأخته الوحيدة تعاني ما تعانيه الآن بعدما تخلى عنها سيف وحُرِمت من نعمة الإنجاب إلى الأبد لكنه في النهاية استجاب لرغبة والده الذي لم يتحمل جهازه العصبي أي صدمات أخرى، سافر للعلاج ليعود ويجد أن نادين صارت مدمنة.

****

مروان لا يزال يوجه الأخبار والقصص القاسية إلى أماني التي تعاطفت بشكل كبير جدًّا مع مروان وشعرت أنه شخص بائس ذو حظ سيء في كل شيء.

- فعلاً يا أماني، أنا إنسان بائس بس حاسس أني هبدأ معاكي بداية مختلفة، بداية ممكن تنسيني كل اللي حصل فعلاً.

أحمرت وجنتيها خجلاً.

- أنتِ الحاجة الجميلة اللي أنا اخترتها، أوعديني أنك هتفضلي معايا ومش هتسبيني مهما حصل.

- أوعدك يا مروان والله.

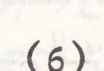
- بس تحبيني يا أماني، تحبيني مش تشفقي عليا، في فرق كبير بين الاثنين.

- أبدًا والله يا مروان، أنت بجد راجل ويعتمد عليه واللي حصلك ده أثبت ليه أنك راجل بجد، بس أنا عاوزة أعرف أنت ناوي على أيه مع أصحابك لأني مش عاوزة أخسرك، أنا خايفة عليك.

نظر لها بعينيه التي امتلاءت شراراً بمجرد أن ذكرتهم له، رأت في ملامحه القاسية الكيد والمكر الذي يمكره مروان لهم.

- أنا عازمهم أخر الأسبوع، هنتجمع كلنا في مطعم علشان أكمل المسيرة اللي بدأتها معاهم من فترة، عاوزك تلبسي بقى النظاره ال3 وتتفرجي على اللي هيحصل.





يجلس الأصدقاء جميعًا عدا يوسف داخل أحدى المطاعم الشهيرة ذات الأسعار الباهظة ، إضاءة المكان الخافتة إلى حد ما وديكور المكان المُختار بعناية فائقة يعطي ذلك المطعم هيبة رهيبة ورونقًا خاصًا، رائحة العطر الفرنسي الممتاز السارحة في المكان تختلط مع تلك الموسيقي الهادئة وصوت المطرب الرخيم الذي يغني بلغته الأعجمية كلامًا غير مفهوم لكنه يصل إلى القلب فيعطيك ذلك الإحساس الذي تشعر به حينما تلمس يد فتاة للمرة الأولى، يتجمع كل الأصدقاء عدا يوسف الذي لم يصل بعد على تلك الترابيزة الكبيرة نسبيًا، يجلس مروان وحيدًا على مقدمة الترابيزة بثبات كأنه زعيم يجتمع بكل مساعديه لاتخاذ بعض القرارات المصيرية الهامة، على يمينه يجلس سيف و على يساره يجلس حامد بملامح ذاهله وبعين واسعة تحاول أن تستوعب المكان من حولِه بجوارِه يجلس فارس بنصف وعي تقريبًا، عيناه الشبه ناعسة تعطي لك إحساس بأنه سيسقط مغشيًا عليه لا محالة، مروان يلقى الثناء على الجميع، يرحب بهم ويشكرهم بحرارة زائدة على تلبيتهم دعوته للعشاء، في تلك اللحظات ظهر النادل بزيه الأنيق للغاية، أغرق الجميع بالاحترام الزائد خاصة مروان الزبون الدائم للمكان، أخرج قوائم الطعام الموجودة في إطار أنيق جدًا من الجلد الأسود مُوزِّعًا إياها على كافة الأصدقاء قبل أن يتركهم حتى يختاروا ما يشتهون، مروان يدس وجهه داخل قائمته ولكن عينيه تتجول في وجوه

الأصدقاء، سيف يبدو أنه متورط في تلك القائمة التي لا يعلم أي نوع طعام بها، تعمد مروان بالاتفاق مع النادل أن تكون قائمة الطعام كلها أكلات إيطالية بحته، سيف يتأرجح بعينيه ذهابًا وإيابًا يحاول التعرف على أي نوع أمامه على عكس حامد الذي أتسع بؤبؤه وسال لعابه وهو يتنقل بين رسومات الأكلات بنظراته الداهشة، عاد النادل إليهم سريعًا وفي يده تلك المفكرة الصغيرة وراح يسأل الجميع عن نوعية الطعام الذي يفضل كل منهم تناوله، نظر سيف إلى حامد وراحوا يتبادلون النظرات المبهمة، لم يتكلم أي منهم كأنه أمر رِجْسٌ خادش للحياء، مد حامد يده بقائمة الطعام تجاه النادل وأخبره بصوت شخص معدته خاوية تمامًا.

- أنا عاوز من ده.

نظر مروان بخبث تجاه ما أشار حامد فوجده يُشير تجاه صورة طعام ليست موجوده ضمن القائمة أساسًا، مجرد صورة للدعايا على جانب الصفحة، ابتسم ابتسامة صفراء لا راحة فيها، ابتسامة تملاءها الغُلُول والمكر، انتظر حتى تأكد أن الجميع لاحظ ابتسامته الساخرة ثم طلب نوع طعام معين للجميع بحجة أن يريد أن يرفع عنهم الحرج، أماء له النادل برأسِه وانصرف وهو يوزع عليهم تلك الابتسامات التي يراها البعض مثيرة للأعصاب.

بعد حوالي ربع ساعة كانت أطباق الطعام الغير معروف مكونتها بالنسبة للجميع تستقر على سطح الترابيزة، ينظر الجميع إلى بعضهم البعض، الكل ينتظر أن يمد الشخص الفدائي يده ويأكل من ذلك الطعام، الكل يخشاه كأنه الطاعون حتى فارس الشبه واعي، مروان يُدرك ذلك جيدًا ولكنه كان ينتظر هو الأخر، حامد سيكون أول من يبدأ بالتأكيد فهو لن يستطيع عليه صبرًا، بدأ يلتهم ذلك الطعام المصنوع من

العجين بيده ابتسم مروان قبل أن يمسك الشوكة والسكينة ويأكل الطعام دون أن تتسخ يده بذلك « السوس » الذي يملاءها من الداخل، شعر حامد أنه بات في موقف محرج جدًّا، بدأ الأصدقاء بالتهام الطعام بنفس تلك الطريقة التي يأكل بها مروان الذي شرع في الحديث مع حامد دون أن ينظر إليه.

– قولي صحيح يا حامد أنت ساكن فين في المعادي ؟؟

السؤال نزل عليه كالصاعقة، توقفت يداه وهي تقتاد ذلك الطعام الغريب الغير مفهوم في رحلة الذهاب به إلى فمِه، هبطت يده الناحلة المرتجفة، سؤال مروان ظاهره بريء لا تشوبه شائبة لكن توقيته الغريب والغير مفهوم جعل حامد يرتبك.

– أشمعنى السؤال ده يعني ؟؟

مروان يجيبه بهدوء أعصاب وهو يتناول طعامه.

– أنت ارتبكت كدة ليه !! أنا بس كنت هطلب منك حاجة مش أكتر.

تردد في البداية قبل أن يُخبره بتَلَجْلُج « المعادي شارع 9 ».

– بجد فين في شارع 9 دا أنا كنت لسه هناك من كام يوم، أصلي صاحبت واحدة وطلعت ساكنة هناك، أنت فين بقى بالظبط ؟؟

أنهى سؤاله ودفس الطعام في فمه تاركاً أعصاب حامد تحترق وهو يستمع لتلك الأسئلة بتلك الطريقة الملتوية.

– ساكن في شارع 9 عند مؤمن كدة.

– يااااه دا البت قريبة منك جدًّا كويس علشان لو احتاجت حاجة بقي أخليها تعدي عليك.



- أكيد يا مروان، أكيد .

قال جملته الأخيرة بارتباك غريب، التفت مروان إلى سيف المتورط في ذلك الطعام الذي يقبع أمامه، سأله بخبث إذا كان الطعام لا يروق له يأتى له بغيره .

- والله يا مروان أنا فعلًا مش عارف أنا باكل أيه .

ضحك مروان بشدة وهو يشعر بجهلهم الشديد .

- أنا مش فاهم أنت أيه الأكل اللي أنت جايبه ده، ما كنت تجيب كشري وخلاص

ذلك كان فارس يتحدث إليه بما تبقي له من وعي، ضحك مروان ثانية وهو يرشقه بكلمات وجمل ساخرة، نظر إلى حامد السارح تمامًا، عقله مشغول في شيء ما منعه عن التهام الأكل، سأله مروان وهو يعلم جيدًا ما أصابه .

- مفيش يا مروان، بقولك أيه، هي محفظتي وقعت في عربيتك ؟؟

- محفظتك !!! لا .

- أصلها وقعت مني يوم ما كنا في الكافيه والبت اللي هناك وقعت العصير على بنطلوني .

- يومها أنت أساسًا قولتلي أن معاك فيزا ومفيش مكن ATM وأخدت مني فلوس علشان تروح، أنت مطلعتش المحفظة أساسًا .

- مش عارف .

استعار نبرة السخرية الملتوية .

- يا نهار أبيض شكلها ضاعت دي فيها الفيزا بتاعت البنك، طب قفلتها طيب لتقع في إيد حد ابن حلال .



- آه آه طبعًا يا معلم روحت البنك و قفلتها .

قال جملته الأخيرة بارتباك شديد .

- ما كفاية كلام فارغ بقى، شغلنا حل يا مروان في الأكل اللي عاوز كتالوج ده، أنا الحشيش مخليني جعان يا جدع .

ذلك كان فارس لا يزال يتحدث إليه بعصبية مفرطة ليتفاجيء بعدها بنظرات سيف التي ارتاب فيها بشدة لدرجة أنه استرد جزء من وعيه على أثرها .

- أنت بتبصلي كدة ليه يا سيف ؟؟

- أصلك وحشتني أوي يا فارس .

- وحشتك !! وحشتك إزاي يعني .

- عارف يا فارس مرة من فترة كبيرة بعد ما أتعرفنا على بعض في أولى جامعة كنت بحضر معاك بطولة سباحة وكنت قاعد وسط الجمهور عمال أشجع زي المجنون وأسقف لحد ما أيدي كانت هتورم ولما كسبت وطلعت علشان تستلم المادلية كنت فخور بيك أوي لدرجة أن كان في واحد قاعد جنبي سمعته بودني بيقول لابنه عاوزك لما تكبر يا محمود ترفع راسي زي ما فارس رافع رأس أبوه وأمه كدة، فارس ده بقى هو اللي وحشني، إنما فارس اللي قاعد قدامي ده معرفوش، غريب عليه .

مروان يتابعهم وهو يدخن لفافة تبغ في الوقت الذي احتد فيه وجه فارس وبات أكثر شراسة .

- شوف مين اللي بيكلم وبينصح، ما تشوف نفسك يا عم القديس

- فارس

قالها مروان بعصبية أخرسته، استكمل مروان حديثه بنبرة صوت أهدى قليلاً.

- خلاص يا فارس ملوش لزمة الكلام ده، كمان ينفع يوسف يجي يلاقي الناس هتتخانق مع بعض كدة.

- تحدث حامد بلسان ونبرة صوت تحمل كمًّا هائلاً من الحقد والغل.

- عم زفت ده مش هيجي غير لما يكون في بنات والقاعدة النهاردة ناشفة مش هيلاقي حد يصوره ويظبته.

- ليه كدة يا حامد يا أخي الله يباركله، بعدين عيب عليك أوي ده مهما كان صاحبك.

- يا مروان أنت عارف أنه طول عمره بتاع حريم، بعدين اللي زي يوسف ده ميتخفش عليه حياته ماشية زي الفل، شغل وفلوس وحريم، كل حاجة معاه شغالة بكفاءة، حتى لما فكر يصور الموضوع مشي معاه حلاوة.

- يا حامد قول الله أكبر.

- وهو ده حاجة بتأثر فيه يا مروان دا قطر ماشي علطول، ياريت أنا عندي نص حظ عم زفت ده.

- يا حامد عيب كدة يوسف برضو جدع.

- هو جدع، بس مع الحريم واللي ليه معاه مصلحة غير كدة زبالة.

موقع مروان على منضدة العشاء تمكنه من رؤية باب المطعم لذلك استطاع أن يبصر لحظة دخول يوسف إلى المطعم واقترابه منهم، أراد مروان مزيد من الإثارة فحاول استفزاز حامد حتى يكشف ما بصدرِه تجاه يوسف الذي وقف يستمع إلى رد حامد لأنه في الأساس يعلم جيدًا

أنه يكرهه، اقتحم يوسف الحديث، ظهر أمام الجميع وهو يوبخ حامد وينعته على أفعاله الحمقاء وكلامه الذي يملئه البُغض والكراهية.

- والله ما حد زبالة إلا أنت يا حامد، ياض أنت مش هتنظف بقى وتبقى محترم.

الْتَجَمَ حامد ولم يستطع الكلام فقد خُفي عنه وجود يوسف خلفه وهو يتقيء بذلك الكلام الهجومي الشرس، مروان هو من أراد ذلك ولكنهم عجزوا عن إدراك ذلك الأمر، جلس يوسف بجوار فارس المتحفز حتى الآن، يوسف يمقت حامد لأنه كان يرى فيه الشاب الحقود الذي يتمني زوال النعم من الجميع، حامد أيضًا كان يبغضُه لأنه يرى فيه الشاب اللعوب الذي يدخل في علاقات عاطفية متقطعة لم يرد لها الاكتمال، يواعد الفتيات بالزواج لكنه يفر في الوقت المناسب، دائمًا يحكي لهنّ في البدايات بأن جميع الفتايات من حولِه يُرَدْنَ الزواج منه حتى تصاب من معه بالغيرة فتقترب منه أكثر وأكثر فيحبونه لدرجة الجنون علاوة على أنه مغرور جدًا بنفسه وثقته في قدراتِه لا حد لها، لذلك حامد كان يكرهه ويعتقد أنه شاب مستهتر لا يستحق أن يمتلك ثلث ذلك الحظ الذي يحالفه في كل شيء فمثل هذا اليوسف يجب ألا يجني سوى الشقاء، مروان على دراية بوجهة نظر كل منهما، لذلك كان يجب أن يعزف على ذلك الوتر الحساس حينما يجتمع الاثنان في مكانٍ واحد، يوسف يعلق عينيه الخضراء الملونة على حامد الذي يسترق النظرات الخافتة تجاهه.

- أيه يا عم حامد أنت ويوسف هتفضلوا طول عمركم محسسني أنكم توم وجيري.

- قول الكلام ده للأستاذ حامد الحقود يا مروان مش ليه أنا.

- الراجل مقلش حاجة يا يوسف الراجل كان بيفضفض.

- بيفضفض !! واللي بيفضفض ده لازم يبين عقدة النقص اللي عنده.

خرج حامد عن صمته وانفجر في وجه يوسف زاعقًا.

- هو أنا لازم أعرف بنات زيك وتبقي حياتي شمال علشان أبقي سوي، أنت ربنا هياخد من وشك كل حاجة وهتبقي أفقر واحد فينا.

- هقولك أيه أنا مش هرد عليك وهسيبك كدة تغلي من جواك وبرضو أنا أحسن منك.

تدخل مروان في الحديث بدبلوماسية مصتنعة.

- خلاص بقى يا حامد أنت زوتها برضو، وأنت يا يوسف برضوا عيب تقول كدة.

- أنت عجبك اللي اتقال يعني يا مروان ؟؟

- الصراحة لا هي قلة أدب وغيبة، بس أنت برضو مستفز يا جو ومش عارف حامد ساكتلك ليه ؟؟

احتقن وجه الاثنين وراح كل منهم ينظر إلى الأخر بتوعد شديد.

- أيه يابني أنت وهو أنا بهزر في أيه، هي دي العزومة اللي أنا عاملها علشنكم، بطلوا شغل عيال صغيرة وأنت يا عم يوسف فك كدة وقولي أخبار التصوير أيه، الصراحة أنا شوفت حبة صور ليك على الفيس بوك على الصفحة بتاعتك بس أيه حكاية، شغل عالمي يعني، أيه يا جدع الحلاوة دي.

مروان يعلم جيدًا أن أكثر شيء من الممكن أن يستفذ حامد هو أن يستمع إلى يوسف وهو يقص على الجميع بصوته الذي يتضح بين ثناياه العظمة والغرور آخر مغامراته النسائية في جلسات التصوير التي يقوم بها مع الحسناوات، يوسف يعتبر كيان هش من السهل وكزه فيسكب كل

ما بداخله، استغل مروان تلك النقاط وأراد أن يقدم للجميع فقرة مُسلية فيحتقن حامد أكثر ويزداد كرهه له، ابتسم يوسف بفخر قبل أن يعتدل في جلسته، تنحنح بحكمة القرون قبل أن يُجيب.

- ولسه يا مروان الشغل الكبير قدام، أنا لسه جايب حتة عدسة بخمس بواكي.

تعمد النظر تجاه حامد وهو يخبر الجميع بالمبلغ الكبير الذي ابتاع به العدسة ليرى نظر الغيظ الشديد في وجهه وملامحه.

- شكلها عدسة شديدة بقى.

- عدسة فعلًا ولا كلمة أول يوم أستخدمها كان أمبارح.

- فعلاً أكيد صورت بيها مزة ؟؟

- يا هوووي، مش أي مزة دي من الشعبي اللي متغذي على البلدي، سبت العريس والعروسة وفضلت أصور فيها طول النهار.

- يابن اللذين وبعدين.

- أخدت مني معاد بعد 3 أيام هتكلمني علشان أقابلها وأديها الصور.

- لا ثواني كدة بالراحة علشان أنت شكلك ظبتها، احكي اللي حصل بهدوء كدة واحدة واحدة.

****

كان حفل زفاف أصحابه ينتمون لتلك الطبقة التي تعتقد بأن مطربين الأغاني الشعبية هم الأحق بالجوائز العالمية، هذا كان استنتاج يوسف من كارت الدعوة الذي سقط في يديه قبل بدأ الحفل، يضم اسم العريس وشهرته « أوطه » بجواره أسماء مستعارة لأصدقائه المقربين، كُتب على الدعوة من الخارج بخط واضح وكبير « فرحة الأصدقاء »، ما يراه

يوسف حوله من أجواء ستدفع بلاشك رجل « الدي جي » لاختيار ما يسمى بأغاني المهرجانات، هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها يوسف أجواء كهذه لكنه بلاشك لا يفكر في شيء سوى ذلك المبلغ الكبير الذي عرضه عليه شقيق العريس حينما هاتفه تلفونيًا ليتفق معه، يوسف لا يهتم بأي شيء سوى النقود التي سيتقاضها من أهل العريس وأن يكون هناك وسط الحضور فتيات يستطيع مغازلتهن ومرافقتهن لفترة لا بأس بها بعد الزفاف، ها هو يقف بجوار ذلك البلون الكبير المنتفخ ذو الوجه المرعب، في انتظار وصول الزفة، بالقرب منه يقف شخص عصبي لم يتوقف عن الانفعال والغضب منذُ أن وقعت عليه عين يوسف، يحمل على كتِفه كاميرا مُسنه كبيرة الحجم، يبدو أنه مصور الفيديو .

هجوم جيش بالكامل من الدراجات البخارية ذوات الماركات الصينية ، صواريخ وألعاب نارية لا حصر لها تُطلق أمام بوابة القاعة مُصدره صوت أحتكاكها بالهواء قبل أن تضيء ألوانها ظلمة السماء، هبط العريس من السيارة المُزينة بالورد والزينة، يتلقى التحيات والقبلات من الجميع كأنه عاد لتوه من هجرة دامت لسنوات، علمًا بأن كل من يُقبله ويحتضنه حتى يسمع صوت استغاثة ضلوعه بين ذراعيه لم يتركه منذُ ثلاثة أيام !! ساعد العروسة المتورطة في فستانها الكبير في هبوط السيارة ليسيروا بعدها في مشية كلاسيكية مفتعلة، حاول يوسف الوصول إلى العروسين ليلتقط لهم صورًا تذكارية ولكن مؤخرة ذلك المصور العملاقة منعته من العبور وهو ينحني محاولًا ضبط كادر صحيح يُظهر إمكانياته المدفونة تحت غطاء صالات الأفراح، مساعده النحيف يحاول أن يُبعد كل طفل يتواجد داخل الكادر ليظل خاليًا لتلك المؤثرات السخيفة التي يصنعها المُصور للعروسين، بدأ الحفل على تلك الأنغام الشعبية التي دفعت أصدقاء العريس للرقص بطريقة غريبة تنمُ عن أنهم يعانون من كريزة

الـكُلى المؤلمة، مجموعـة مـن البنـات النحيفـات يحاولـن لفـت أنظار الشباب قبل أن تقتحم الدائرة الصغيرة صديقة العروسة البدينة التي قررت فجأة أن تعلن عن نفسها بهز دهونها المتجمعة في كافة أركان جسدها الممتلىء ، تدعى الرقص فتبدو كالقربة التي يُخض بها اللبن خاصتاً أنها ترتدي فستان ضيق من الستان !!

العصب البصري ليوسف بات لا يتحمل تلك المناظر لكنه مُرغم على تصويرها لأنك ببساطة شديدة لا تختار زبائنك، علاوة على أنهم دفعوا له ما يتقاضاه هو في ثلاثة حفلات، هذا الزفاف المقزز أشبع رغبة يوسف الأولى « المال » ، لم يتبقَ له سوى الفتاة الحسناء التي سيظفر بها بعد انتهاء الزفاف، يمر بين كل المدعين يبحث عنها وهو يوزع فلاش الكاميرا على الجميع بعدم رضا، فقط ابتسامات دبلوماسية مصتنعه حتى وقعت عيناه على فتاة تمتلك تناغم غريب بين ملامحها الفاتنة ، عين واسعة، حواجب منمقة بعناية، شعر أصفر جذاب، مثيرة وهي تقلب تلك العلكة الصغيرة بين أسنانها البيضاء المرصوصة بعناية، هذا ما استطاع يوسف أن يحصره في النظرة الأولى، ولى وجهه بعيد عنها ليعطي لنفسِه فرصة للتفكير، كيف سيُحاور تلك الأنوثة الصارخة، كيف سيتحدث مع تلك المهرة التي دابت ملامحها في نكهة الجمال، التفت إليها مرة أخرى فلم يجدها، لم تكن هناك في ذلك المكان الذي رأها فيه ، ربما هي ليست حقيقة، ربما هو الإرهاق صور له تلك الفاتنة حتى لا يصاب بحالة عصبية من تلك المناظر التي تراها عيناه منذُ بداية الزفاف، يوسف يسمع من ينادي عليه بصوتٍ أجش « يا مصوراتي » إنها تلك البدينة صذيقة العروسة صاحبة الفستان الستان تريده أن يلتقط لها الصور .

بعد مرور نصف ساعة من الشقاء والعمل الروتيني الممل وجد تلك المهرة التي داعبت عينيه ومشاعره سلفًا تقترب منه بهدوء شرس،

منحنياتها القياسية تتمايل بشكل أصبح لا يستطيع عليه صبرًا، اقتربت منه حتى باتت المسافة بينهم تسمح بأن تصافحه، طلبت منه بصوتها اللين المثير الذي يحرك شهوته رغمًا عنه أن يلتقط لها مجموعة من الصور على سبيل الذكرى، أومأ برأسِه دون أن يتكلم فقد كَبَحَت تلك المَليحَة لسانِه بجمالها الفائض، اختارت ركن يبعد عن تلك الغوغائية والعشوائية التي تملأ القاعة، رفعت شعرها لأعلى وغمزت بأحدى عينيها بأنوثة بالغة، مدت شفتيها وكأنها ستُقبله قبل أن تميل بكتفها ناصع البياض العاري تمامًا إلى الأمام، ما هذا التناغم الغريب فقد تكاتلت ملامحها كلها من أجل إثارة يوسف الذي بدأت جبهته تبرز العرق، التقط لها صور عديدة في أوضاع مختلفة نتأت في رأسِه فجأة مُستغلاً أنوثتها الطاغية.

****

يوسف يستأنف حديثه مع مروان وباقي الأصدقاء وهو يوزع النظرات كل فترة على حامد الذي يستشيط غيظًا.

- يابن اللذينة يا جو وقعت البت.

- وحياتك هي اللي وقعت يا مروان.

- ماشي ياعم ناوي معاها على أيه.

- هتاخد وقتها وخلاص هي المفروض هتقابلني بكرة.

- برنس يا يوسف والله.

حامد يُسدد نظرات في غاية الخبث إلى يوسف المتباهي بما يفعله، نظرات توحي إلينا بأن هناك شيئًا ما على وشك الحدوث، أذكى حامد تلك النظرات بشبح ابتسامة حينما استمع إلى يوسف وهو يتحدث عن لقاء الفتاة غدًا.





(7)

التحم صوت رنين الهاتف بذلك الحلم الجميل الذي ينتمي إلى تلك الأحلام التي يخطط لها عقله الباطن منذُ أن التقى بتلك الفتاة الجميلة في حفل الزفاف الأخير الذي قام بتصويره منذُ أيام، ها هو صوت رنين الهاتف يتتالى وكأنه يتعمد إيقاظه من النوم، يوسف يتقلب على جانبيه مُحاولاً الهروب من صوت الرنين السخيف، لكن لا حل سوى الرد وإلا ستنفجر رأسه من ذلك الصداع الشنيع، مدَّ يدُه والتقط الهاتف القابع على سطح الكومود المجاور له، إنها هي تلك الحسناء الذي تركها لتوه في حلمِه الجميل، انتفض من مرقدِه وأجاب عليها مُسرعًا ليسمح لموجات صوتها العذب بالتسلل إلى أذنيه فتذوب روحه مثلما تذوب حبات السكر في شربة ماء، اعتذرت له في البداية عن إزعاجها له في تلك الساعة الباكرة، ثم طلبت منه مقابلته في إحدى الأماكن العامة لتأخذ منه تلك الصور التي سبق والتقطها لها في حفل الزفاف كما اتفقت معه من قبل ثم طلبت منه أن يأتي بصحبة كاميرته ليلتقط لها صورة على نهر النيل داخل ذلك « الكازينو » الذي سيتقابلان فيه، طلبت منه أيضًا أن يحضر اللاب توب الخاص به لأنها ستعطي له بعض الصور التي تحتاج إلى تعديل عن طريق برنامج « الفوتوشوب »، في البداية شعر يوسف أنها فتاة استغلالية جدًا تنتمي إلى ذلك الطراز الذي إذا صادف وقابل طبيب

على مقهي يطلب منه أن يتفحصه حتى ولو لم يكن يشعر بشيء لكن لا يهم في النهاية هي مثيرة وهذا يكفي.

ارتدى أفضل ملابسه ثم أغرقها بكميات هائلة من ذلك العطر أملاً في اللا يتلاشى كعادته لأنها صفة أساسية لكل عطر يُصنع تحت شعار «تركيب كافة أنواع العطور»، صفف شعره وهذبه بتلك الطريقة التي اتفق عليها الجميع بأنها الأفضل، نظر في ساعة يده، اقترب الموعد المتفق عليه، يوسف لا يعلم لماذا أصرت أن يكون بالصباح، هذا يُعد عقاب بالنسبة له، حمل شنطة اللاب توب على كتفه بعدما دس بها القرص الصلب الذي يحمل صور الفاتنة، حمل الكاميرا على الكتف الآخر وانطلق.

وقع الاختيار على ترابيزة تطل مباشرة على النهر الخالد، مكان إستراتجي سيُمكنه حتمًا من التقاط أفضل الصور، علبة مشروب غازي كانت مطلبُه حينما جاءه ذلك النادل مبتسمًا بملابسه الكلاسيكية، تناول منها على فترات متباعدة حتى ظهرت فتاته المثيرة وهي تهبط درجات السُلم برشاقة ونعومة مبالغ فيها، الكازينو يحتاج إلى هبوط عدد من درجات السلم حتى تدركه، ترتدي عباءة سوداء ضيقة للغاية ذات لمعان غريب يظهر بوضوح مع أشعة الشمس، ترفع العباءة قليلاً لتتمكن من هبوط درجات السلم فتظهر قدمها التي تنُمُ عن امتلاكها لجسد ناصع البياض، يحتفظ بتلك العلامات الحمراء الخاصة بأصابعك إذا داعبتُه يداك، ترتدي حجاب أسود يظهر من مقدمته خصلات شعرها الأصفر فيبدو كالحجاب الإيراني الذي يحافظ على الانضباط والتفلت في آنٍ واحد.

نظرت حولها فوجدته يشير إليها من موقعه بالقرب من نهر النيل، ابتسمت وتقدمت ناحيته بدلال زائد، لا يوجد مكان في جسدها إلا

وذهب إليه بعينيه يتأمله وهي تتبختر بأنوثة بالغة، وقف يوسف احترامًا لها ولأنوثتها الطاغية، صافحته فلامس يدها وجلدها الناعم، رفعت عينيها ونظرت له نظرة لا تراها إلا في عين شخص ماكر يعلم قدراته جيدًا، بدأت نعمة بالحديث معه.

- بتبصلي كدة ليه ؟؟

- لا أبدًا يا نعمة مفيش حاجة بس أنتِ النهاردة ما شاء الله عليكي مستوية على الآخر وتتاكلي أكل.

تمضغ نعمة العلكة بين أسنانها ببطء شديد وهي تنظر إليه تلك النظرات الواثقة التي تكشف الخبرة الطويلة التي تمتلكها، تتابع نظراته الغير بريئة التي يسددها تجاهها، سألته وهي لا تزال تمضغ العلكة.

- أنت باين عليك مش سهل.

- أنا غلبان خالص والله.

- طيب هات الصور يا عم الغلبان.

- حاضر.

مدّ يده بالقرص الصلب بعدما أخرجه من شنطة اللاب توب.

- ده CD عليه كل صورك وصور الفرح كمان عملتلك نسخة جايز تحتاجيها، سمي في سرك وأنتِ بتمسكي.

مدت يدها لتأخذ القرص الصلب فراوغها يوسف ولم يعطيها إياه، نظرت له بعينيها الثاقبة.

- مش تستني لما أحط عليها صور النهاردة اللي هخدهالك.

رمقته بطرف عينيها وهي لا تزال تمضغ العلكة بهدوء مثير.

- ماشي يا يوسف لما أشوف أخرتها معاك أيه.

نهضت نعمة فجأة دون سابق إنذار مما دفع يوسف للظن بأنها سخطت من تصرفاته وكلماته المبالغ فيها لكنه وجدها تبسط يدها وتحفزه كي يثب ويلتقط لها الصور.

– علطول كدة.

– آه صورني بعد كدة نقعد براحتنا، أنت متعرفش أنا نفسي أتصور على النيل أد أيه والفرصة خلاص جتلي.

كم هي فتاة استغلالية هذا ما تردد في ذهن يوسف وهو ينهض استعدادًا لالتقاط الصور، قام بتركيب العدسة قبل أن يأمرها بالوقوف في ذلك المكان المناسب تفاديًا لأشعة الشمس، نزعت الحجاب ليظهر شعرها الأصفر الطويل، رفعته إلى أعلى ومدت شفتيها إلى الأمام ثم بدأ يوسف بالتقاط الصور، في الوقت الذي بدأت فيه حالة من الهرج تجتاح المكان على الرغم من عدد الزبائن الطفيف جدًا، ذلك الضجيج العالي جعل يوسف يذهب بعينيه حيث مصدره بعدما توقف عن التقاط الصور، إنهم أربعة شباب يبدو على وجوههم الإجرام يقتحمون الكازينو، لا أحد من رجال الأمن يملك الجراءة الكافية لمنعهم بعدما حاول ذلك الضخم أصلع الرأس فانتهى به الأمر متكومًا على نفسه بعدما سدد له أحدهم ضربة غاشمة برأسِه في أنفِه أسقطته أرضًا، يتزعمهم شاب نحيف، قصير، ذو شارب إِزْب، تتلفّع رقبته بشال الانتفاضة الفلسطينية، في يده عصا معدنية متوسطة الطول تبث الرعب في قلب كل ما يراه، باقي أفراد المجموعة يحملون الجنازير والأسلحة التي لا قبل لأحد من الزبائن بها، اقتحموا المكان وكأنهم شرطة مكافحة المخدرات أثناء مداهمتهم لبيوت أحد التجار المعروفين، يوسف يتابعهم باستغراب شديد على عكس نعمة التي بدأت تلطم صدْغها بقوة وهي تشهق بعنف غير

مبرر كأنها رأت مسخ مشوه الملامح، انتابتها حالة من الارتباك وجسدها ينتفض، انكمشت ملامحها وأصبحت أقرب لملامح طفلة على وشك البكاء، حاول يوسف أن يهدئ من روعها فأخبرها أنهم مجموعة منحرفة من البلطجية يبحثون بكل تأكيد عن شخص مثلهم بينهم خلافات على أموال أو مخدرات، أخبرها أيضًا أن طريقتهم في البحث تبدو غريبة لكنها عادية جدًا بين أولي الإجرام، هربت الدماء من عروقِه وسرت رعشة غريبة باردة في ظهرِه حينما أخبرته وهي ترتجف أن ذلك الشخص الذي يرتدي شال الانتفاضة هو «خوليو» أخيها!!

فقد يوسف السيطرة التامة على جهازِه العصبي، حاول أن يتحرك فلم تستمع إليه أطرافه، الخوف المفاجيء مزق تركيزه بالكامل، فقط ظل يتفرس أشكالهم وهم يقتربون منه بعدما وقعت عين خوليو على نعمة أخته وهي بصحبته، دون مقدمات ضربه خوليو فسقط على الأرض قبل أن يصرخ في وجهِه.

- أنت بقى الدنجوان اللي بتقابل أختي في السر.

أجاب يوسف بخيفة زائدة وهو راقد على الأرض في وضع استسلام تام.

- لا دونجوان أيه !! دا شغل حضرتك أنا.....

لم يُكمل كلماته فقد فاجأه أحد البلطجية المتواجدين بصحبة خوليو بركلِه في صدرِه جعله يفترش الأرض وهو يصرخ من شدة الألم، أنهضه خوليو وعضلات وجهه لم تتهاون في التجهم وسط متابعة لما تبقى من زبائن المكان، حاول أحد العاملين في الكازينو بالتدخل لإنهاء ما يحدث لكنه فوجيء بخوليو يصرخ في وجهِه كالمجنون.

- البيه بيقابل أختي في السر بقاله فترة والنهاردة واقف عمال يصور فيها وهي قلعة الحجاب تفتكر هعمل أيه أطبطب عليه مثلاً.

صُعق العامل قبل أن يُسدد نظرة اشمئزاز شديدة إلى يوسف الذي بات كالمجنون يصرخ.

- أنت بتقول أيه، أنا مصور أفراح افهم بس ، أنا مصور أفراح وكنت جايب صور أختك على CD معايا في الشنطة، كانت طلباها في آخر فرح كنت فيه من كام يوم.

- فرح !! فرح أيه يا بت اللي كنتي فيه من ورانا ؟؟!!

سألها خوليو بطريقة جامدة جعلتها تتلجلج قبل أن تخبره أنها لم تذهب إلى أي أفراح، أنبأتهم أيضًا أن يوسف شخص كاذب يختلق المواضيع مما أدي لانفجار يوسف كأسطوانة الغاز وهو يحاول التملص من قبضة خوليو القابضة بقوة على ملابسه لينتفض عليها لكن قوة ذلك القصير جعلته تحت سيطرته.

- دي كدابة، والله العظيم كدابة.

استلمت وجنتيه عدد صفعات متتالية من خوليو وهو ينهره بأقذر الألفاظ حتى خارت قواه تمامًا وأصبح غير قادر حتى على تحريك أطرافه، سحبه كالخروف المُقتاد إلى ساحة الذبح صبيحة العيد في حين أن باقي المجموعة وزعوا أنفسهم فمنهم من حمل شنطة الكاميرا واللاب توب وآخر اهتم بـ « نعمة » وآخر وجد شاب وحيد خرج من بين ما تبقى من زبائن داخل المكان أراد توثيق ما يحدث باستخدام كاميرة هاتفه الجوال الذي تحول إلى أشلاء بمجرد أن وقع في يد من كان يتقدم تجاهه من مجموعة خوليو.

خرج الجميع وزجَ خوليو بـ « يوسف" داخل سيارة أجره

«ميكروباص» كانت تنتظرهم أمام بوابة الكازينو لينطلق سائقها بأقصى سرعة ممكنة ليقطع شوارع القاهرة بسرعته الفائقة، خوليو يسدد اللكمات إلى يوسف كلما شعر أنه بدأ يلتقط أنفاسه .

وصل الميكروباص بعد نصف ساعة تقريبًا إلى منطقة شعبية، شوارعها ضيقة جدًا لا يتعدى عرضها الأمتار القليلة، تتلوى كالثعبان بين بنايات متوسطة ذات وجهة واحدة من الطوب الأحمر الحراري فتشعر أنها بناية واحدة وتم تكرارها، توقف الميكروباص على أطراف شارع يطل على قناة جفت مياهها أو ربما كانت مُخصصة لتتجمع بها مياه الأمطار فمتلئت بالقمامة، توقفوا أمام مبنى مكون من طابقين، يبدو أنه منزل من الوهلة الأولى، هبط خوليو من الباب بعدما فتحه بعنفٍ زائد فأصدر صريرًا كأنما يصرخ، أنزلوا يوسف ويداه مُقيدة خلف ظهره كأسرى الحرب، سحبوه تجاه المبنى، وقعت عيناه على لافتة صغيرة زرقاء منقوش عليها باللون الأبيض « عزبة الدِروي » ، سحبوه تجاه بوابة حديد منقوش عليها « مندرة عائلة الدِروي » إذن هو الآن تحت قبضة تلك العائلة التي سُميت العزبة على اسمها، دخلوا عبر رواق طويل على جانبيه وُضِع الزرع البلاستيك، صعدوا ثلاثة درجات من الرخام في نهاية الرواق، مروا عبر بوابة خشبية تبدو كبوابة البيوت العتيقة ليجد يوسف نفسه وسط صالة كبيرة مُجهزة بمقاعد خشبية تبدو كدكك الكنائس، مرصوصة على شكل مربع ينقصه ضلع، يتوسط ذلك الضلع الناقص كرسي كبير ، هناك أرجيله تقبع أمام الكرسي في استسلام تام، على رأسها الملفوفة بورق « الفويل » تتوهج جمرات من الفحم المشتعل، رفس خوليو فخذ يوسف من الخلف فأجثاه على ركبتيه رغمًا عنه .

وقع أقدام تتابع الخطى تهبط درجات سلم شبه دائري يقودك إلى الدور العلوي، رفع يوسف رأسه بصحبة وجهه ذات الملامح المرتجفة

ليجد رجلًا في الخمسينات ذو لحية وشعر أبيض، يمتلك نظرات ماكرة كالثعلب، من الممكن أن تشم منه رائحة الغدر بسهولة بأنف ليس لها أي خبرة في اكتشاف ذلك، يرتدي جلبابًا وعباءة سوداء تعطي له هيبة ووقارًا شديدًا، هبط درجات السلم والشر يتطاير من عينيه الماكرة، في يده مسبحة يداعبها بين أصابعه المُزينة بخواتم ذات أحجار كريمة، اقترب من يوسف ونظر له في عينيه لوهلة قبل أن يترجل برصانة شديدة تجاه الكرسي الوثير المُذهب، جلس في أريحية بعدما هذب العباءة التي تبعثرت من أثر الجلوس، أمسك ب «لي» الشيشة ولا تزال المسبحة في يده الأخرى، بدأ يسحب دخانها بهدوء، هذا الرجل الذي يتمتع بكاريزما عالية قادرة على ضخ الأدرينالين في جسدك لا إراديًا هو كبير عائلة «الدِروي» وزعيم تلك العزبة المُسماة على اسم عائلتِه، يلجأ إليه الجميع لحل الخلافات والمنازعات بينهم، يوسف لا يزال يجثو على ركبتِيه في هدوء، لا صوت يعلو فوق صوت «كركرة» الأرجيلة، زم شفتيه في دهاء شديد وهو يخرج من أنفِه الدخان الكثيف الذي أخفى وجهه قبل أن يتلاشى تدريجيًا تأمل يوسف بثبات مدة لا تقل عن دقيقة كاملة بعينيه التي لا يخلو منها الدهاء قبل أن يتحدث برشاد ورزانة.

- بسم الله الرحمن الرحيم «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» صدق الله العظيم، أيه مشكلة الجدع ده يا خوليو.

خوليو بدأ يتحدث إليه بغضب يتصاعد تدريجيًا.

- البت نعمة أختي بقالها فترة مش مظبوطة ومش على طبيعتها، متغيره كدة وعايشة في دنيا غير الدنيا، حاولت أكلم معاها أكثر من مرة بس مقدرتش أوصل لحاجة بس طبعًا هي مش غريبة عني فكنت متأكد

أنها بتعمل حاجة مش مظبوطة بس مردتش أضغط عليها وقولت بلاش أحسسها بحاجة لحد ما أمبارح سمعتها بتتكلم مع واحدة صاحبتها وأنا بعدي قدام باب أوضتها وبتقولها إنها راحه تقابل حبيب القلب بكرة في كازينو على النيل.

كادت عين الكبير تخرج من محجرهما وهو يستمع إلى كلام خوليو الذي أردف دون توقف.

- في الأول فكرتها غيرة بنات لحد ما لقيت الست هانم لابسة وخارجة الظهر، قولتلها راحه فين قالتلي مشوار هنا لوحدة صاحبتي في العزبة، قطرتها أنا والرجالة لحد ما دخلت كازينو علشان تقابل الواد الملزق ده، المشكلة مش في كدة كمان، المصيبة أني لقيت البيه ماسك كاميرا وعمال يصور فيها الله أعلم بقى ناوي يعمل بالصور دي أيه ولا مين اللي زقه على بنات عيلة الدِروي علشان يجبهم الأرض.

أنهى خوليو كلماته ثم سدد ضربة بركبتِه في ظهر يوسف جعلته يسقط على وجهه ويداه مقيدة خلف ظهره، أنهضه بقوة ليعاود الجلوس على ركبتيه مرة أخرى أمام كبير عائلة الدِروي الذي يداعب ذقنه وهو يوزع عليه النظرات الخبيثة الماكرة، لم ينتظر يوسف أن يتحدث معه كبير العائلة بل بادر هو بشرح ما حدث.

- يا حج أقسم بالله الموضوع فيه غلط، أنا مصور أفراح وهي حضرت فرح من كام يوم كنت أنا بصوره وطلبت مني أصورها لوحدها بعد كدة اتصلت بيه وطلبت مني أجبلها الصور على أسطوانة وطلبت مني كمان أجيب معايا الكاميرا علشان أصورها كام صورة على النيل ولو مش مصدقني الأسطوانة معايا في شنطة اللاب.

ثار خوليو لدرجة أنه صفعة على «قفاه» فأسقطه على وجهِه مرة أخرى وهو يصرخ فيه بغضبٍ عارم.

- كمان معاك صور ليها يا ابن الكلب، ورحمة أبويا ما هرحمك.

أشار له الرجل الأشِر أن يقترب منه، حاول يوسف النهوض فزعق فيه بصوتِه الغليظ الأجش.

- زاحف، تجيلي زاحف.

رمقه يوسف في دهشة شديدة قبل أن يبدأ بالزحف بتلك الوضعية المهينة حتى اقترب من قدم الرجل الأشِر الذي أنهضه من ملابسه بعنفٍ زائد قبل أن يتفحص قماش قميصه الذي يرتديه وكأنه خبير أقمشة ثم أردف بسخرية.

- لا قماش حلو وقميص نضيف.

اقترب منه برأسِه العملاقة فارتعد يوسف، استنشقه بقوة مُصدرًا ذلك الصوت المرتفع الذي يوحي إليك أنه مدمن يسحب عبر أنفه جرعة من البودره.

- الله، جميلة أوي الريحة اللي أنت حاطيتها دي، اسمها أيه بقى علشان أبقى أجيب زيها.

تلعثم يوسف وكأنه لا يجد ما يقول، جحظت عيناه لتنُم عن جنون الشر القابع بداخِله، ربط على كتف يوسف بعنفٍ جعل ملامح وجهه تتلوى ألمًا.

- الحاجة الوحيدة اللي تخليني أصدق أنك تقنعني أن كل زبون أو زبونة بتصورها في فرح، دا لو اعتبرنا أن نعمة راحت أفراح، بتروح تقابلها في كازينو وأنت حاطط الريحة الحلوة اللي تتشم من على بعد كيلو دي وتلبس لها القميص الشياكة أبو قماشة فخمة ده وتقعد معاها وتصورها في كازينو على النيل.

- يا حج أنا ...

صفعة بقوة أدت إلى استماعِه إلى صفير طويل ينُمُ عن فقدان مؤقت لحاسة السمع على أثر الصفعه الغاشمة قبل أن يتحدث إليه بقسمات وجه حادة وبصوت غليظ اختلط بنبرات الجنون .

- اخرس يا واطي يا وسخ، أنت فاكر أنك يوم ما تحب تلغوص هتلغوص مع واحدة من بنات عيلة الدِروي ، دا أنا أدفنك حي هنا .

- يا حج والله ما في لغوصة ولا حاجة ، الأسطوانة معايا فيها الصور كلها .

رّجْهُ الرجل الأشِر كما تُرج علبة الدواء قبل الاستخدام وهو يتحدث إليه بعنف .

- أنت كداب يلا، كداب وابن كلب كمان، مفيش بنت في عيلة الدِروي تجرؤ أنها تروح فرح لوحدها، مش في عيلة الدِروي بس ، لا في عزبة الدِروي كلها، ثم أن كل أفراحنا بتبقى هنا في العزبة عمرنا ما رحنا قاعات، يبقى هي راحت الفرح لمين .

- طيب ده اللي حصل يا حج أنا أعمل أيه .

- متعملش حاجة ، أنا اللي هعمل .

جذبه الرجل الأشِر بعنف زائد ناحيته ثم أردف بجَهَامَة .

- من سوء حظك المنيل أن عم البت اللي أنت لغوصت معاها دي راجل سادي علشان كدة هعملك عملية بسيطة هتخليك تبص في الأرض كل ما تعجبك واحدة ست .

اتسعت عين يوسف قبل أن يتلقى ضربة على مؤخرة رأسه تفقده الوعي .

****

الوعي يعود إليه تدريجيًا، يحاول أن يفتح عينيه مقاومًا ارتخاء أعصاب جفونه، يفتحها فتغلق نفسها قبل أن يُجاهد لفتحها مرة أخرى بسرعة فائقة كوميض لمبة نيون تُحاول استجماع طاقتها في بداية تشغيلها، يُحرك رأسه يمينًا ويسارًا وكأنه يُجاهد للخروج من كابوس يفترسُه في منامِه، لا يملك وعيًا كافيًا ليُدرك أين هو، بعد محاولات عديدة ابتعدت جفونه عن ذلك العصيان التام لأوامره، فُتحت عيناه ببطء فلم يجد أمامه سوى بياضًا لامعًا، دقائق قليلة مرت عليه حتى استعادت نشاطها الطبيعي، إنه يقبع الآن في مكان موحش كالموت، جسدُه مثبت على طاولة خشبية موضوعة على الأرض، تكسو سطحها نتوءات بارزة تضغط بقسوة على ظهرِه الذي بات يصرخ ألمًا، ذراعاه مشدودان عن آخرهما على الطاولة في وضعية النسر المُحلق، نصفه السفلي يرتفع عن تلك الطاولة بواسطة حبلان خشِنان يتدليان من السقف، يلتف كل منهما حول كاحل قدمه في صرامة فيبتعد ساقاه عن بعضهما مسافة تصنع زاوية منفرجة على شكل حرف « V »، الحبال مشدودة عن آخرها فلا تترك لقدميه أي إمكانية للحركة، يوسف عاري الجسد تمامًا إلا من سروال صغير بالكاد يُغطي أعضائه التناسليه، من بين قدميه المُعلقة على شكل حرف « V » يرى ذلك الْأَشِر بصحبة خوليو وباقي المشرفين على عملية خطفِه، انضم إليهم رجل قصير، بدين، يرتدي نظارة طبية صغيرة لا تليق بوجهه العملاق المُزين بلُغْد سمين، يرتدي بلطو أبيض ضيق لا يستطيع إحكام غلق أزرارِه بسبب كرشُه البارز أمامه، يحمل في يديه شنطة « سمسونايت » تبدو أثريه بسبب التراب الذي يغطي سطحها والتشوهات التي تملؤها، بصوت ضعيف مبحوح لا تستطيع فهمِه إلا بعد تركيز شديد سأل يوسف « أنتم هتعملوه أيه بالظبط ؟؟ » فأجابه الرجل الأشِر كبير عائلة الدِروي بثبات وبرود شديد.

- مفيش يابني، دكتور بسيوني هيعملك عملية جراحية بسيطة كدة.

يشير بيديه تجاه ذلك البدين الذي ليس فيه من الأطباء سوى البلطو الأبيض الضيق الذي يرتديه، رفع يوسف رأسه قدر المستطاع ليلقى نظره أخرى على الجميع من خلال الزاوية المنفرجة التي تصنعها قدماه.

- عملية !! عملية أيه !!؟؟

- عملية صغيرة كدة هتعملك أن بنات عيلة الدِروي مبتتخدش في كازينو على النيل.

صرخ يوسف وأخذ جسده يهتز بعدما فهِم ما يرمي إليه ذلك الرجل الأشِر، زعق فيه بقوة زائدة.

- اخرس يلا مش عاوز أسمع صوتك، وأنت يا دكتور البهايم هتنفذ ولا أعلقك مكانه.

- هنفذ يا حج، أهدى بس أنت علشان السكر ممكن .....

قاطعه الرجل الأشِر بغضبٍ زائد «أخلص أنت هتديني محاضرة»

تحرك ذلك البدين بسرعة تحترم جيدًا حجمه الضخم، فتح شنطته القديمة وأخرج مشرطًا صغيرًا لامعًا، مسحه بمنديل ورقي ومادة مُطهرة، عكست شفرته المعدنية ضوء اللمبة الساقط على سطحها في مشهد مُهيب، أخرج حُقنه بلاستيكية حررها من غلافها الشفاف قبل أن يُخرج زجاجة صغيرة لا يتعدى طولها الـ 5 سنتيمتر، سأل الرجل الأَشِر عن تلك المادة فأخبره الدكتور بعدما أزاح نظارته الطبية التي أنزلقت لمقدمة أنفه أنها جرعة بنج.

- لا ، أنا عاوز العملية من غير بنج ، عاوز أستمتع بصريخ الدونجوان.

صرخ يوسف وتشنج جسده وكأنه مُصاب بنوبة صرع، يُجاهد عازمًا

النهوض لكن الحبال المشدودة عن أخرها مازالت تُسجل تألُقها في منع أطرافِه من الحركة نهائيًا.

- لا، أنا معملتش حاجة، أنا مظلوم، والله العظيم مظلوم.

- اخرس يلا وسيب الدكتور يشوف شغله.

تقدم الطبيب البدين صوب محمود في بطيءٍ شديد وهو يُشهر مشرطه الحاد في وجه يوسف الذي بَهتَ لونه تمامًا، ترتعش أطرافه رغمًا عنه وهو يصرخ بلا هوادة بكلمات غير مرتبه يُحاول فيها استعطاف الرجل الأشِر وعائلة الدِروي كلها، وضع خوليو قماشة صغيرة على ثغرِه ليحد من صوته وصراخه، سدَدَ لهُ الطبيب البدين نظرات مستفزة من فوق نظارته الطبية راسمًا على وجهِه ابتسامة لزجة تُشبهه تمامًا، مازال يوسف يُحاول التوسل إليهم بنظراتِه وتعبيرات وجهِه بعدما منع خوليو خروج صوته نهائيًا، رفع الطبيب جزءًا من سرواله بالساق المعدنية قبل أن يُمرر المشرط على جلدِه، جسدُه يهتز وكأنه يحتضن كبل كهرباء عالي الفولت، يبكي بحرقة طفل صغير فقد والدته في زحمة السوق، طلب الطبيب من خوليو أن يأتي لمساعدته، فتقدم ووجهه يحمل ملامح من اكتشف خيانة زوجته بعدما حشر القماشة داخل ثغر يوسف بطريقة لن يتمكن هو من بصقها نهائيًا، ساعد الدكتور بسيوني في تثبيت يوسف، رفع الدكتور المشرط بطريقة لا تمت للطب بصلة من قريب أو بعيد، فقط تشعر أنه جزار يحمل ساطور ويشرع في تقطيع اللحم، يوسف لا يزال يُحاول التوسل إليهم بوجه اختلط فيه المخاط المتساقط منه لا إراديًا مع الدموع التي تنهال من عينيه، خرج الرجل الأشِر عن صمته مُتمثلاً في طوق نجاة قُذف لشخص على وشك الغرق.

- أنا ممكن أمنع اللي بيحصل ده بس ليه شرط.

أومأ برأسه في هستريا ومازال المخاط والدموع تملأ وجهه، توقف الطبيب عن متابعة عمله انتظارًا لظهور إشعار أخر، غمغم الرجل الْأَشِر ثم أردف في وقار شديد.

- هتمضيلي شيكات على بياض.

تيبس يوسف عندما تناولت أُذُنه ذلك الكلام الغريب الذي أخرسَ جسده بالكامل، توقف عن التشنج وفرط المقاومة وكأنه لم يكن مُهيئًا جينيًا لسماع عرض مثل هذا، طلب الرجل الْأَشِر من خوليو نزع القماشة المحشورة في ثغرِه حتى يتمكن من سماع رأيه في ذلك العرض، نزع خوليو القماشة ليجدوه متلعثم الكلام وثقيل اللسان.

- ها قلت أيه يا عم الدنجوان، موافق ولا أخلى دكتور البهايم ده يشوف شغلُه.

- بس ..... بس ... أنا مظلوم يا حج، تلاتة بالله العظيم مظلوم.

- يووووووووه، أنت غلباوي أوي، اقطع يا بسيوني.

جرحهُ الطبيب جرح سطحي برز منه بعض قطرات الدماء فصرخ يوسف « خلاص، موافق، موافق، والله العظيم موافق » ابتسم الرجل الْأَشِر ابتسامة خبث تنُم على أن الموافقة تعني لهُ الكثير، ستُحقق لهُ غاية أعمق بكثير من فكرة الحفاظ على بنات عزبة وعائلة الدِروي.

****

مرَّ ثلاثة أيام ويوسف حبيس تلك الغرفة التي تخلو من كل شيء عدا تلك الأشياء القديمة التي تتكاثر عليه ذرات التراب منذُ زمن بعيد، إضاءة المكان خافتة ومخيفة، يوسف يتجسد على وجهِه كل شيء الخوف، القلق، التوتر، وحتى سوء التغذية، طالت المدة ويوسف حبيس لا يعلم المصير الذي ينتظره، يجلس على السرير الرديء، يدفس وجهِه في كفيه،

يفكر بعمق فيما حدث وفي هذه النعمة التي جلبت له كل سوء وقلبت حياته كلها رأسًا على عقب.

هناك صوت مفتاح يولج في الباب، صرير ثقيل يرتفع على أثر اتساع فرجة الباب، ليس معاد تقديم وجبة الطعام سيء المذاق الذي لا يكفي حتى لسد جوعه، إنه خوليو وبصحبتِه رجل أفنى عمره في صالات الحديد، ارتفع صوت وقع أقدامهم وهم يترجلون صوبه، جذبه بعنف ذلك العملاق ذو العضلات البارزة فأنهضه بقوة كادت أن تسقطه أرضًا، أخبره بصوتٍ أجش لا تظهر أي رحمة بين ثناياه بأن كبير العائلة يريد التحدث معه، سحبه لكن استوقفه خوليو ووضع يده على كتِفه.

– عارف، أنا عمي هو اللي بيني وبين أني أفصل رقبتك عن جسمك، أدعي بقى ربنا يطول في عمره لحد ما المشكلة دي تخلص.

****

يوسف يجلس القرفصاء أمام كرسي كبير العائلة الوثير الذي يدخن الأرجيلة في برود شديد، يرمق يوسف بملامح وجه قاسية قبل أن يتحدث معه بوقار شديد.

– الكام يوم اللي فاته دول إحنا كنا بندور وراك، كنا عاوزين نعرف بالظبط أيه حكايتك، أبوك وأمك شغالين في الخليج وبيبعتولك فلوس كثير، عايش لوحدك وتقريبًا محدش بيسأل عليك ولا أنت بتسأل على حد، طالب في الجامعة وشغال مصوراتي، بتستغل الموضوع ده وبتمشي مع البنات.

– محصلش والله.

قاطعه كبير العائلة بصوتٍ غَليظ.

– لما أكلم مبحبش حد يقاطعني.

أخرسته تلك الطريقة القاسية، نظر الكبير إلى خوليو قائلاً « هات الحاجة » ، أماء خوليو برأسِه قبل أن ينصرف، أردف كبير العائلة .

- يوسف أنت من مصلحتك أنك تسمع كل كلمة إحنا بنقول عليها علشان أنت روحك في أيدي، التعليقة اللي جيه مش هيبقى فيها عروض فياريت زي ما الجماعة بتوع الإعلانات بيقولوا اغتنم الفرصة .

يوسف لا يفهم إلى أي شيء يرمي ذلك الرجل الأشِر، عاد خوليو ومعه ورقة وقلم، وضعوا ترابيزة خشبية قبل أن يُنهضُه ذلك الرجل صاحب العضلات القوية ويجلسه على كرسي مقابل لها، وضع خوليو أمامه ورقة مطبوعة وقلم وبطاقة يوسف الشخصية .

- امضي يا يوسف و اكتب بياناتك كاملة .

ذلك كان الرجل الأشِر مما دفع يوسف لقراءة الورقة ، اتسعت عيناه كلما مرَّ على عدد كلمات أكثر .

- ده عقد .

- بس مزور ، هيوديك في 60 داهيه .

- أنا لا يمكن أمضي على حاجة زي كدة .

سحب الرجل الأشِر نفس من الأرجيلة .

- أمضي يا يوسف وأفدي نفسك أحسن .

- أنا عملت أيه لكل ده، مكنتش قاعدة على النيل.

صفعه خوليو على قفاه بقوة جعلت نظره يتعذر لدقائق .

- أمضي يا يوسف علشان التعليقة الجاية مفهاش عروض .

أمسك يوسف بالقلم وبيده الأخرى يفرك بها مكان الصفعة، أغلق عينيه وفتحها عدة مرات حتى يرتد إليه بصره بكامل قواه، نقش اسمه

ورقم بطاقته قبل أن يأخذ خوليو العقد وينصرف نظر يوسف تجاه الرجل الأشِر الذي يدخن الأرجيلة بلا هوادة .

- كدة يا يوسف أنت ماضي شيكات على بياض حتى لو فكرت الست الوالدة تسددهم أنت ماضي على عقد بيع مزور بايع بيه حاجات أنت متملكهاش، يعني أقل حاجة 3 سنين سجن، كدة بقى نبدأ نتفاوض.

- نتفاوض على أيه ؟؟

- أوعي تكون فاكر أننا سمحنا ليك تاخد نفسك علشان أنت فعلاً فديت نفسك بالشيكات والعقد، لا طبعًا اللي حصل مع نعمة ده ميكفناش فيه عمر عيلتك كلها، أنت فديت نفسك بشغلك، أنا فتحت الكمبيوتر اللي كان معاك وعرفت أنك واد أيده تتلف في حرير ودماغك نظيفة وعاوز أستغلك .

- تستغلني في أيه ؟؟!!

- خدمة صغيرة عاوز أطلبها منك لو تمت على خير هديلك الشيكات والعقد وهسيبك تخرج كمان مع نعمة .

- أخرج مع نعمة !!

- في الحلال ، ده لو كانت عينك منها يعني .

- خدمة أيه دي ؟؟

سحب نفس من الأرجيلة وزفره بهدوء .

- فيه راجل كدة بنا وبينه مشاكل، حكاية قديمة يعني فعاوزين نكسر نفسه ونجيب مناخيره الأرض .

- أزاي يعني، بعدين أنا أفيدك أزاي في حاجة زي كدة .

- أنت هتدخل تصوره بكامرتك الحلوة دي وهو لمؤخذة في بيت شمال بيتردد عليه كل شهر .

- آه هي الحكاية بقى كدة .

نظر له الرجل الأشِر شَزرًا .

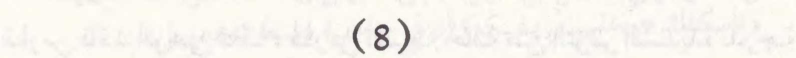
- تقصد أيه يا يوسف .

- أقصد أني بقيت شاكك في قصة نعمة دي وحاسس أنها فخ .

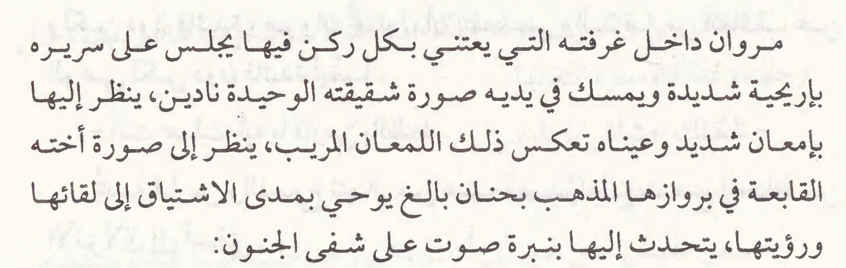
ابتسم الرجل الأشِر بثبات .

- شكك ده تخليه لنفسك ميخصنيش، أنا اللي يخصني أن المهمة تخلص بدل ما أخلص أنا عليك والدليل ناصب عليه في شيكات وعقد مزور .





(8)



مروان داخل غرفته التي يعتني بكل ركن فيها يجلس على سريره بأريحية شديدة ويمسك في يديه صورة شقيقته الوحيدة نادين، ينظر إليها بإمعان شديد وعيناه تعكس ذلك اللمعان المريب، ينظر إلى صورة أخته القابعة في بروازها المذهب بحنان بالغ يوحي بمدى الاشتياق إلى لقائها ورؤيتها، يتحدث إليها بنبرة صوت على شفى الجنون:

– أيه يا نادين مالك يا حبيبتي زعلانة ليه، ها، قوليلي أنا أخوكي الوحيد اللي بيحبك، قولي يلا.

يقترب بالصورة على أذنيه اليسرى كأنه يريد أن يستمع إليها .

– بتقولي أيه، حاضر هنتقم منهم واحد واحد، مش هسيب حد منهم غير لما أجيبه الأرض.

صمت لثوانٍ وكأنه يستمع إليها ثم أردف « طبعًا كل واحد تكلم عليكي لازم يدفع الثمن، كل واحد شوه صورتك لازم أنتقم منه » ارتفع رنين هاتفه الخلوي، إنه فارس ، نظر إلى شاشة الهاتف ثم تحدث إلى الصورة.

– فارس أهو يا نادين بيكلمني أصل عملت فيه حتت مقلب النهاردة هيخلي الحشيش اللي بيشربه يروح لفترة كبيرة أوي، ثواني بقى علشان هرد عليه يا حبيبتي .



أجاب على اتصاله ليجده يصرخ مستنجدًا به .

****

مروان داخل شقة فارس يجلس بجوار سريرِه الذي يفترشه والد فارس فاقد الوعي تمامًا ، فارس تضربه حالة من التوتر الشديدة لدرجة أن جسده يرتجف كأنه مُصاب بحمى، يحاول أن يسيطر على أعصابه ولكن دون فائدة ، مروان يُحاول أن يتفحص والد فارس الغائب عن الوعي لكن دون فائدة أيضًا .

- أنت عملت أيه يا فارس بالظبط .

يُجيبه فارس والدموع تنهال من عينيه مُصدرًا صوت منع المخاط من الأنزلاق إلى أسفل .

- معملتش حاجة، مكنتش في وعي لما زقيته ووقع على الطرابيزة ودماغه اتخبطت.

- أبوك في غيبوبة يا فارس ولازم يروح مستشفى .

- طب يلا نوديه .

هَم فارس لحمل والده على كتفِه والدموع تنهال من عينيه ، دفعه مروان بقوة .

- ولما يعرفوا أن اللي حصل ده جه نتيجة خبطة هتقولهم أيه .

- هقول أي حاجة المهم أنقذ أبويا .

- فاااااارس ، يا تتقل وتفكر معايا من غير عواطف يا أمَّا تتصرف بدماغك وفي الحالة دي متجيش تقولي الحقني تاني .

أخرسته تلك اللهجة القوية والانفعال الزائد، أردف مروان بنبرة صوت اهدى قليلاً .

- فارس أنا معنديش استعداد أني أدخل في مشاكل و « س ، ج » كفاية اللي أنا شايله، أنا شايف أننا لو طلعنا على مستشفى الحل هيبقى أنه اتزحلق وقع في الحمام بس أنت لازم تكون موجود، بس وشك ده وشكلك هيخليهم يشكوا أن في حاجة غلط بتحصل .

- ماله شكلي .

قالها فارس والعرق يغرقه بالكامل، الهالات السوداء ظاهره بقوة على وجهِه وكذلك سوء التغذية .

- شكلك حشاش يا فارس .

- طيب هنعمل أيه طيب .

- بص مفيش حل غير أني أكلم دكتور صاحب أبويا عنده مستشفى خاصة وهو هيتصرف .

****

فارس يجلس في حالة حزن شديدة داخل سُرادِق عذاء والده بعدما توفى نتيجة نزيف داخلي أودى بحياتِه، بجوارِه مروان وباقي الأصدقاء عدا يوسف الذي سأل عليه الجميع حتى حامد الذي على خلاف دائم معه لكن النتيجة كانت مقلقة بالنسبة لهم ، لا أحد يعرف عنه شيئًا .

بعد انتهاء العزاء وانصراف معظم الناس و الأصدقاء انزوى مروان عن ما تبقى بصحبة فارس الذي بات هشًا بعدما وُضِع في موقفٍ أكبر منه بكثير جعله يعود إلى صوابِه .

- فارس الموقف دلوقتي مش متحمل أي تكبُر ، أمسك دول .

أعطى له مبلغًا ماليًا كبيرًا .

- أيه ده يا مروان ؟؟

- شششش مش عاوز كلام كتير، أنت دلوقتي محتاج كل قرش.

- ماشي يا مروان مش هقولك لا بس عاوز أطلب منك خدمة.

- أأمرني يا فارس أنت أخويا.

- مش عاوزك تساعدني أشرب حشيش تاني ولا مخدرات كفاية أوي اللي حصل.

أومأ مروان برأسِه بتأثر شديد.

- كمان عاوزك تشوفلي شغل.

- شغل !! والجامعة ؟؟

- يا عم جامعة أيه وهو أنا كنت مهتم بيها أصلاً بعدين دلوقتي أنا بقيت شايل المسئولية كلها على كتفي.

- حاضر يا فارس.

- كمان مش عاوز حد يعرف اللي حصل، أنا قولتلهم أن أبويا خبطته عربية قدام العمارة.

- حاضر، بس عرفت مين اللي قاله على مكانك.

- يا أمي يا أختي ما أنت عارف أنهم كانوا عندي قبلها بيومين.

- فارس هو أيه اللي حصل بالظبط.

- بعد أنت ما جتلي الصبح وجبتلي الحشيش اللي لقيت الباب بيخبط تقريبًا بعد ساعتين.

****

ارتفع صوت جرس الباب بجنون في الوقت الذي يجلس فيه فارس باشتياق شديد مع لفافات التبغ المزوده بالحشيش الذي أصبح غذاء لعقلِه وخلاياه، الدخان يعبيء المكان عن أخره فتشعر أن هناك حريق

قد نشب منذُ دقائق، الجرس لا يتوقف أبدًا عن الصراخ، زفر فارس بملل قبل أن يقوم من مقامِه بثقل شديد، يترنح وعيناه شبه مقفولتان وفي يدِه لفافة التبغ، اقترب من باب الشقة، أدرك مقبض الباب وبمجرد أن سمح للسان الكالون بتراجع قليلاً اتسعت فرجة الباب عن أخرها بسبب اندفاع والده في الدخول، سقط فارس على الأرض على أثر تلك الدفعة ليجد والده أمامه يقف والشر ينطلق من عينيه.

– طبعًا قاعد تحشش وتشرب في مخدرات ما في حمار شغال ليل نهار علشان يجبلك الفلوس اللي بتشرب بيها الزفت ده، أنا قولت من الأول أنك ابن أمك، أنا مخلفتش راجل.

أنهضه والده بقوة وصفعه على وجهِه مما جعل فارس يخرج عن شعورِه.

– يا عم بطل ضرب بقى، أنت كدة فاكر نفسك أب وبتعرف تحل مشاكل، أنت فاشل فاهم يعني أيه فاشل، أنت لما شفتني بغرق في الأول سبتني، طردتني وأنا بقولك أنا تعبان وفي حاجة مضايقاني.

– هيكون أيه اللي مضايقك، بتاكل وبتشرب وبتتعلم من غير ما تدفع ولا مليم.

صرخ فارس في وجهِه.

– الدنيا مش فلوس وبس، في حاجة اسمها نفسية، في حاجة اسمها ظروف حياة، قولتلك أنا تعبان، تعبان وأنت محولتش حتى تعرف في أيه، حرام عليك بقى، حرام.

– حرام يابن الكلب.

صفعه على وجهِه ودفعه تجاه الأريكة، انقض عليه وهو يصفعه بلا هواده، صعد بقدميه على الأريكة ليمتلك زمام الأمور ولتحتد قوة

الضربات والصفعات أكثر، دفعه فارس فسقط على المنضدة بكامل جسده، تهشم زجاجها واصتدمت مؤخرة رأسِه بالكامل في إطار المنضدة الخشبي السميك وجسده لا يزال في الهواء، الارتطام بهذه الوضعية يوازي قوة السقوط من طابق مرتفع، سقط والده فاقد الوعي لا يتحرك، صرخ فارس وهرع إلى الهاتف ليتصل بـ « مروان » يستنجد به .

****

مروان يستمع إلى حديث فارس، تضيق عيناه وهو يستنتج شيئًا هامًا مما حدث .

– فارس حد يعرف تاني موضوع التدخين والحشيش ده .

– أختي وأمي عارفين أني بدخن وشافوني بس معتقدش حد منهم دماغه تجيبه للحشيش .

– أصل دخلت أبوك دي بتقول أن حد مفهمه أنك بتحشش مش بدخن .

– يا مروان الله يرحمه مكنش في بقه غير الكلمة دي من ساعة ما دخل عليه الأوضة لقى معايا السجارة الملفوفة وطردني، عمومًا اللي حصل حصل بقى وأنا ليه كلام مع أختي وأمي علشان عرفوه مكاني بس مش وقت الكلام، المهم أنت متنساش موضوع الشغل علشان مهم أوي بالنسبة ليه .

– عيب يا فارس أنت أخويا اعتبر الموضوع خلص .

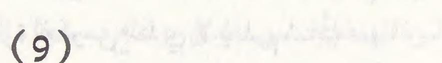
تأخر عدة أيام في إحضار الحشيش إليه ليجعله في اشتياق شديد له ويضمن أنه سيتناوله بمجرد أن يقع في يديه، في صباح ذلك اليوم المشئوم ذهب إليه صباحًا وأعطى له الحشيش مع كم من الاعتذارات لأنه أصبح يعتمد عليه بعدما تم القبض على ذلك الشخص الذي كان يبتاع

منه فارس، اتصل بوالده بمجرد أن عاد إلى السيارة وأخبره ماذا يفعل ابنه فارس في شقة الهرم، أعطى له العنوان ولم يخبره عن اسمه وهو على يقين أنه سيذهب يجده يُدخن الحشيش بعد اشتياق شديد، مروان هو من رتب كل شيء وحفر تلك الحفرة لفارس الذي لا يعلم شيئًا عنها.

طبطب مروان على كتفه وملامحه تحمل خبثًا شديدًا، هم مروان بالانصراف بعدما تهلل وجهه عن تلك الابتسامة المعهودة وتحول إلى وجه شيطان لا يعرف قلبه الرحمة.







(9)

تجلس « ولاء » أو سلمى كما أطلقت هي على نفسها أمام سيف في أحد الأماكن العامة، ينتابها حالة من الارتباك والفوضى الشديدة، تشعر بغثيان شديد وبتقلصات عضلية في معدتها، هذه الأعراض قد اعتادت عليها منذُ أن أُصيبت بالقولون العصبي ذلك المرض المُزمن الذي يجعل معدتك تصرخ ألمًا إذا ارتفع منسوب التوتر لديك، « ولاء » تقع تحت ضغط شديد باتت لا تتحمله منذُ أن أمرها مروان بإرهاق سيف فكريًا وتحويله إلى شخص مُشتت لا يستطيع التركيز في دراستِه ليمحو اسمه بسهولة من كشوف الأوائل والمتفوقين التي اعتاد الجميع إِدْرَاج اسمه فيها طوال فترة تعليمه ليُبعده عن حلمه الذي يراوده منذُ طفولته بأن يصبح معيد في الجامعة، مروان يريد أن يرى في عينيه نظرة الحسرة والندم ويريد منها مساعدته في ذلك، هي لا تملك الرفض أو حتى الموافقة على تكليف مروان لها؛ لأنه ببساطة أدرك من أين يُأكل الكتف، فَهِم كيف يتعامل معها، فُطِن لذلك السر الرهيب التي تتحفظ عليه في صندوقها الأسود حتى أفشَاه القدر إلى مروان لتتحول هي في يدِه إلى دمية ماريونت يتلاعب بها كيفما شاء وإلا سيفعل بسرها مثلما فعل به القدر ويعلنه لوالدها، ذلك الديكتاتور الثائر على الدوام والذي يرى فيها أنها نقمة وهبها الله له بسبب ما قدمت يداه سلفًا، يعتقد أن الله أراد أن يعاقبه فحرمه من إنجاب الذكور وأعطاه « ولاء » التي تقع بسببِه الآن فريسة

سهلة بين فكي مروان، بانفصال مؤقت عن العالم أخذت ولاء تفكر فيما فعلته و اتخذه مروان من بعد سبيلاً لابتزازها ، هل تصرفت برعونة وحمق أم أنها مارست حق من حقوقها المشروعة خاصة مع وجود أب ديكتاتور لا يعطي لها مجالاً للنقاش أو التفاهم، ظلت غارقة في تحليل موقفها ومراجعة ما سلف حتى ظهر ذلك الوباء المتجسد في صورة إنسان ويدعى مروان، اقترب منها ببرود وعلى محياه تلك الابتسامة الباردة القادرة على استفزاز قارة بأكملها، ولاء تراقبه من خلف عدسات نظارتها الشمسية وهو يسحب الكرسي ويجلس في أريحّية بعدما ألقى بكل مُتعلقاته على سطح المنضدة، نزع عدساته السوداء ونظر وجهها الذي يملأهُ الحزنُ والكرب .

- خير يا أستاذة ولاء عماله تزني عاوزة أشوفك عاوزة أشوفك أديني جيت اتفضلي انطقي .

- أنا بقالي أكتر من ساعة مستنية هنا، كل ده تأخير .

أجابها مروان ببرود شديد .

- و أيه المشكلة ما تستني ساعة، اتنين، ثلاثة، سنة حتى، براحتي، لما أخلص الحاجات المهمة اللي عندي هاجي.

حاولت أن تبتلع غضبها لكنه ظل بارزًا بين ثنايات صوتها الحاد .

- ماشي يا مروان عمومًا أنا مش هرغي كتير، أنا جيه علشان أقولك كفاية لحد كدة، أنت بجد خلتني أعمل حاجات بقرف من نفسي أوي لما بفكر فيها، أنت بتخليني أأذي واحد وأبعدُه عن حلمه، أنت مش بتشوف سيف لما بيقولي أنا عاوز أبقى معيد في الكلية دي بيبقى عامل إزاي، مروان بجد مش قادرة وكفاية أوي أن في دكتور حطه في دماغه بسبب قلة حضوره اللي هي في الأصل بسببي، يوم مخنوقة يوم عندي مشكلة ،

يوم عاوزة أكلم معاه ، والنتيجة أن دكتور يقسم في قلب المدرج أن سيف عمره ما هيبقى معيد .

صفق لها مروان ساخرًا .

- هايل يا ولاء ، برافو عليكي، أنت ممثلة هايله، بتعرف تتقمص الدور بسرعة وعندها ثبات انفعالي جبار، بس يا تري بقى العقل والحكمة دول كانوا فين بقى وأنتِ بتعملي عملتك إياها .

- مروان أنا مغلطش، أنا ظروفي هي اللي خلتني أعمل اللي عملته ده .

- أنا كمان ظروفي هي اللي خلتني أعمل كدة ، أنتِ متعرفيش سيف ده عمل أيه معايا ولا مع نادين أختي، مش عارفة إحساس أنك تفقدي حته منك بسبب واحد زي سيف .

- اللي حصل حصل يا مروان اللي بتعمله ده مش حل .

- أنتم ليه كلكم طلبين مني الرحمة دلوقتي علشان أنا في مركز قوة، إنما لما كنت في مركز ضعف محدش رحمني، سيف اللي أنتِ بدافعي عنه ده كان بياكل في لحم نادين هو والمحروس التاني .

- يا مروان أنا مليش دعوة بالقصة دي كلها، أنت فيه حساب بينك وبين سيف صفيه معاه، إنما أنا مليش دعوة، وعلشان خاطري أوعى تأذي ....

قاطعها مروان ضاحكًا .

- أنتِ لسه بتحبيه يا هبله، على فكرة هو غلط زي ما أنتِ غلطي بالظبط، أنتم الاتنين بتدفعوا الثمن مع بعض بس كل واحد فيكم بطريقة شكل .

- مروان أنا خايفة لحسن يشوفني في الجامعة، أنت مش متخيل ....

قاطعها مروان غاضبًا.

- أنا لو عاوز أخليه يشوفك هيشوفك بس ده مش في مصلحتي فمتقلقيش، أنتِ بس اسمعي الكلام علشان كل اللي الحجج دي مش هترجعني سنتي واحد عن اللي أنا مخططله وناويه، أي حاجة هتبوظ أو هتحصل حتى ولو كانت غصب عنك هيبقى عليه وعلى أعدائي وعلى حبيب القلب.

- مروان أنا مش عارفة أي أخبار عنه أنا كل يوم بموت مليون مرة وأنا ...

قاطعها بعصبية.

- ولاء أنا مش عاوز كلام تاني في الموضوع ده بدل ما وديني أهد المعبد كله على اللي فيه وساعتها بقي هتقعدي تفكري لوحدك هتقولي لبابا أيه.

احتقن وجهها بشدة ورددت بصوت جهور «حسبي الله فيك يا مروان».

- أدعي يا لولو، أدعي كمان على اد ما تقدري بس مفيش حاجة هتستجاب علشان اللي زيكم مش بيفتكروا ربنا غير لما بيقعوا في مصيبة إنما وهما بيدخلوا المصيبة دي برجليهم أخر حاجة بيفكروا فيها هي ربنا.

- ماشي يا مروان أنا متأكدة أن ربنا هيجبلي حقي وحقه منك في يوم من الأيام.

- يدينا طول العمر.

- على فكرة سيف بدأ يتخنق ويحس أنه مقصر في دراسته خصوصًا

الكلام اللي بدأ الدكتور إياه ده يقولوا لما مش بيلاقيه في المدرج، طبعًا هو اشتكالي من كام يوم بس أنا طبعًا توهت الموضوع ودخلت في كذا موضوع تاني لحد ما فوجئت بيه عاوز يتقدملي رسمي .

- هايل .

- هو أيه اللي هايل يا مروان ما أنت عارف اللي فيها .

- حلو أنه وصل للمرحلة دي كده فعلاً بدأت أحس أنك كلتي دماغه وأنه مش بيفكر غير فيكي .

- وهنخلص أمتى بقى من الموضوع ده .

- هنخلص يا ولاء بمجرد أني ألاقي سيف فاشل السنادي وشال مادة ولا اتنين أو على الأقل تقديره ينزل جدًا ، المهم أنه ميبقاش معيد في الحالة دي بس هصفر صفارة النهاية وأسلم عليكي وأديلك مادلية كمان .

- يا سلام وأفرض هو نجح أغرق أنا .

- أنتِ كدة كدة غرقانة باللي عملتيه قبل كدة أنا بس بحاول أرميلك طوق نجاة يمكن تعرفي تمسكي فيه وتنقذي نفسك .

رمقته بعين شاخصة بها قدر لا يستهان به من المكر .

- مروان هو سيف عليه طار في البلد فعلاً زي ما حكالي .

نظر لها نظرة طويلة ثاقبة لأنها بدأت تقترب من حقائق لا ينبغي لها معرفتها في الوقت الحالي .





(10)

مروان يقف بجوار سيارته المتوقفة في منطقة هادئة تمامًا بالمقطم تحديدًا في تلك المنطقة التي تُسمى «كورنيش المقطم» يقف بجانب السيارة ويستند بمؤخرتِه عليها يولي ظهره إلى أماني الجالسة على مقدمة السيارة، مروان يدخن لفافة تبغ وعلى وجهِه تظهر علامات عدم الرضا، كذلك أماني ينتابها حالة من الجذع، تتابع مروان وهو يُدخن بعنفٍ كأنه ينتقم من نفسه، بدأت معه الحديث ببعض جمل العتاب، أخبرته أنها تفعل معه ما تفعله لأنها تحبه ولا تريد أن يصاب بأي أذى وما ينوي فعله مع أصدقائه لن يجني سوى المشاكل والتعب، سحب مروان نفس طويل من لفافة التبغ وزفرها بقوة قبل أن يلتفت إليها بكامل جسده.

- أماني أنا لما قررت أنك تكوني شريكة حياتي فهمتك على كل حاجة علشان تقفي جنبي، تساعديني مش علشان تقوليلي كفاية وبلاش كدة.

- وأنا بعمل كدة علشان خايفة عليك.

ركل إطار السيارة الأمامي بقدمِه.

- مش عاوز حد يخاف عليه، أنا عاوز حد يقف جنبي ويساعدني، أماني متخلنيش أندم أني تكلمت معاكي.

- يا مروان أفهم، أنا مش هستحمل لو حصلك حاجة لقدر الله.

- ولا أنا هقدر أكمل حياتي معاكي لو مخدتش حقي.



- طيب أنت ناوي على أيه ؟؟

- ناوي على اللي قولتلك عليه قبل أي حاجة .

- مروان أنا مش هينفع أساعدك على اللي أنت ناوي عليه وبتعمله ده .

صرخ في وجهها بقوة .

- أماني، مش هقولها تاني، مش هقدر أكمل حياتي معاكي لو معرفتش أخد حقي، الموضوع ده خط أحمر يا أماني .

- مروان خليك فاكر أني بحبك وبجد لو حصلك حاجة همُوت نفسي أديني قولتلك أهو.

- أنا كمان بحبك يا أماني وعمري ما هسمح أن حاجة تحصل علشان خطرك أنتِ بس.

انحنى ظهره قليلاً ونحِف صوته ثم أردف .

- بس أنتِ أكيد عارفة نادين بالنسبة ليه أيه ، أنا لحد النهاردة بحلم بيها وهي بتقولي أخد حقها من سيف ومن كل اللي تكلم عليها وحش .

تأثرت أماني بكلماتِه فراحت بيدها تخبط بحنان على كتفِه .

- مروان أنا جنبك بدليل أني كلمت بابا على سيف وهو وعدني أنه عمره ما هيبقى معيد في الكلية طول ما هو منتدب، بابا بقى بيتلكك على أي حاجة لأنه قليل أوي لما بيحضر أصلاً ودي أكتر حاجة تضايق بابا .

استقام ظهره وابتسم ابتسامة خبث شديدة .

- أنا عارف أنك جنبي يا أماني وعلشان كدة هقولك على القلم اللي هياخده حامد مني الصبح، حامد اللي مفهمنا أنه ساكن في المعادي من يوم ما عرفناه .

- أوحش حاجة في الدنيا الكذب والخداع .

- والخيانة، الخيانة أسوأ شيء يا أماني، المهم سيبك منه دلوقتي، وقوليلي، جبتي اللاب توب بتاعك .

- آه جبته معايا .

نظر لها وابتسم في خبث شديد .







(11)

وصل مروان بسيارته إلى حدود ناصية تحمل لوحة زرقاء مربعة باهة الألوان، منقوش عليها بخطٍ بالكاد يبدو واضحًا اسم الشارع المكتوب في بطاقة حامد الشخصية التي سلبتها منه النادلة ذات الملابس القصيرة حينما أسقطت عليه العصير عمدًا بأمر من مروان الذي بدأ ينتقل بعينيه بين الاسم المنقوش في البطاقة والاسم المكتوب على اللوح، الاسم مطابق إذًا هذه هي بدايته، شارع ضيق بالكاد يسمح بمرور سيارتين حالة عدم وجود أحد من الماره في نفس الوقت، على جانبي الشارع رُصَّت بنايات متوسطة الطول ومحلات تجارية وورش صناعية متلاصقة، بدأ مروان يترجل بحذر داخل الشارع الضيق، يرمقه الجميع باستغراب شديد لأنه بالتأكيد لا ينتمي إلى هنا، بدأ يستفسر على رقم البناية التي يبحث عنها.

****

حامد داخل غرفته البائسة أو كما يطلق عليها هو «المخروبة» فهو يرى أن كل محتوياتها وشكلها من الأرض وحتى السقف تشي بالفقر الذي يحياه مع تلك الأسرة المعدومة، لون الجدران باهت جدًا فطِلاء هذه الغرفة يعود إلى تاريخ تأسيس الشارع، تظهر على الجدران الفقاعات البارزة الأشبه بفقاعات الهواء بسبب انتفاخ القشرة السطحية للجدران، ورق جرائد اصفَرَّ لونه بفعل الزمن يغطي رقعة الأسمنت الظاهرة أسفل إحدى جدران الغرفة، دولاب خشبي قديم حالته الصحية في غاية السوء،

يعاني من بتر في المِصْراع الأيمن نتيجة قطع كُلي لمفصَّلتِه أمَّا المِصْراع الأيسر فيصدر منه صرير عالٍ جدًا كأنه رجل عجوز يتأوى أثناء فتحِه وغلقِه، أرضية الغرفة مُغطاه بسجادة انطفأ لونها وذهبت معظم نقوشها بلا عودة وتبقى ما لا يدُل على شيء ولا يسرُ الناظرين، حامد نائم على سريرِه القديم قِدَم الدهر والذي يدفعه في أوقات كثيرة إلى كره فكرة النوم من الأساس فكيف له أن ينام على سرير يُصَرْصَر في وجهه كلما اقترب منه أو حاول محاورته بأي شكل من الاشكال، فُتِح باب غرفتِه مُصدرًا ذلك الصرير المزعج الذي بات علامة مميزة في هذه الشقة، انقبضت عضلات وجه حامد عندما تناولت أذنه صوت أخته عدة مرات وهو مستيقظ لكن لا يُجيبها فقط يولى لها ظهره ولا يُجيب، أخبرته بعد عدة مرات بأن يستيقظ لأن الشمس بدأت تأذن بالمغيب وهو لا يزال يلازم فراشه علاوة على أن والدهم بات على وشك الوصول وسيتناولون وجبة الغذاء سويًا، تمتم حامد بكلام غير مفهوم إلى حد ما ولكن شظايا الجُمل التي وصلت إلى أُذن أخته جعلتها تنهره بصوتٍ غليظ ناهية إياه عن التحدث بتلك الطريقة الغير لائقة عن والدهم، أشاح لها بيده قبل أن يأمرها بالخروج، زفرت في ضجر وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب بقوة تعبيرًا عن إحساس الغضب والكَمَد التي تشعر بها، استمع حامد بعد دقائق إلى صوت جرس الباب فلعن والده الذي بالتأكيد أتى من عملِه الذي يمقتُه لكن بدأت أذنه تتناول صوت والدته وهي ترحب بأحد وتستقبله بحفاوة شديدة، لا يدرك ذلك النحيف أنه مروان، لكن تخللت أذنه صوته حينما بدأ يسأل عن حامد ويسأل أيضًا هل ذلك العنوان صحيح أم لا ، انتفض حامد من مرقدِه وهرع تجاه باب الغرفة فهذه إن لم تكن تخاريف فهي كارثة بالنسبة له ، عبر منه إلى الصالة لتصتدم عيناه بمروان الذي ظل ينظر له ويبتسم، حامد يرتدي ملابس تبدو قديمة في طرازها

وفي تاريخ استخدامها، والدته لا تزال ترحب بالضيف الغريب عنهم بحرارة وكرم أسرة شعبية تُدرك جيدًا مفهوم حُسن الاستقبال .

– مش كنت تقول يا حامد أن زميلك جي النهاردة علشان نستقبله .

– مفيش أحلى من كدة استقبال والله يا طنط .

قالها مروان ثم نظر لحامد وعلى وجهه ابتسامة دبلوماسية في الوقت الذي يقف فيه حامد بثبات تمثال من الجرانيت، وجهه شاحب لدرجة تُشعرك بالخوف، خالٍ تمامًا من التعابير بل وخالٍ أيضًا من الحياة ، فقط تتحرك عيناه ببطء وهو يتفحص وجوه مروان ووالدته، الإحراج يسيطر على كل خلية في جسدِه، فقد القدرة على التفكير المنطقي والتعامل مع الموقف ظل هكذا منتصبًا في مكانِه دون حِراك كدُمية فرغت بطاريتها حتى تطوعت والدته وسألته في تعجب شديد.

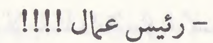
– مالك يا حامد واقف كدة ليه زي التمثال .

لا يُجيب عليها، ظل كما هو يتابع وجه مروان بعدما كُشف النقاب عن حقيقته التي حاول أن يجعلها بعيدة عن الأنظار قدر المستطاع ، اصتدمت عين مروان وهي تتجول داخل المكان بصورة بالأبيض والأسود لشاب في بداية عِقدة الثاني داخل برواز قديم مُعلقة في صالة الشقة، ظن مروان أنه والد حامد ولكن عليه أن يتأكد فربما حامد كان يُخفي عنه أشياء أخرى، سأل والدة حامد بأسلوب خبيث ملتوي عن صاحب تلك الصورة القديمة في الوقت الذي تمنى فيه حامد أن تنشق الأرض وتبتلعهم جميعًا دفعة واحدة ، تنحنحت والدة صديقه وأخبرته بفخر أنها صورة زوجها والد حامد.

– ماشاء الله ليه هيبة كدة يا طنط والله .

– أمال أيه طبعًا ، كان رئيس عمال من يومه .





- رئيس عمال !!!!

كررها مروان قبل أن يُسدد نظرة ثاقبة إلى حامد الذي سيتوقف قلبه بسبب ما يحدث .

- آه يا حبيبي رئيس عمال وعلى العموم هو على وصول هتلحقه وتسلم عليه إن شاء الله.

- هو مين يا طنط اللي على وصول !!

- عمك سليمان أبو حامد .

- مالك يابني مستغرب ليه كدة ؟؟!!

رمق مروان حامد بطرف عينيه وهو يُجيب على والدته .

- أصل في ناس ولاد حرام قالوا أن والد حامد متوفي من زمان وأنه كان شغال في بنك .

لفظ كلمة ولاد حرام كأنه يثأر من حامد على تلك المعلومات المغلوطة التي أخبره بها سلفًا .

- ولاد الكلب إزاي يقولوا كدة علية وأنت يا حامد سكت مدفعتش عن أبوك، و أيه موضوع البنك ده كمان .

- يا طنط حامد مكنش عارف أنهم بيقولوا كدة بس هما خلاص عرفوا الحقيقة دلوقتي ومش هيقدروا يكذبوا تاني .

هناك نقر أقدام تتابع الخطى تقترب من باب الشقة ، الساعة الآن الرابعة عصرًا وهو معاد عودة والد حامد من عملِه يرتدي ملابس العمل التي يتباهى بها دومًا كأنه كان يشرف على مشروع ضخم وليس تنظيف بعض الشوارع المجاورة لمسكنِه ، يتعاظم خيال أصابعه وهو ينقر بها على زجاج شُراع الباب القديم ليلتحم بعدها صوته وهو يُخبر ابنته أنه

أحضر لها تلك الفاكهة التي طلبتها منه منذُ كان لا يمتلك ثمنها، بساطة ذلك الرجل الذي يقترب على إتمام عقده السادس وضعت حامد في موقف مُحرج للغاية مما دفعه للضرب على جبهتِه مُتمنيًا أن يتبخر من أمام الجميع قبل أن تفتح أخته الباب ليدخل ذلك الرجل السخيف بالنسبة له، حامد يرى فيه أنه يعاني من تلف حاد في معظم خلايا عقلِه لأنه يتباهى ويتفاخر بشكل مبالغ فيه بعملِه كأنه مبعوث خاص من الأمم المتحدة وبسبب وجهة نظره هو يمقته ولا يحبذ الكلام عنه نهائيًا، أمسكت أخت حامد مقبض الباب فرتفعت ضربات قلبه حتى أنها كادت أن تصبح مسموعة ، فُتِح الباب ودخل ذلك العجوز يرتدي الزي البرتقالي وتلك القبعة البيضاء التي لا يرتديها إلا من يعمل بمهنة الصيد البحري ، التقت عيناه مع مروان المبتسم ابتسامة خبيثة يدركها حامد جيدًا، رحب بيه بحرارة قبل أن يعرف من هو في الأساس ، أدرك مروان الآن لماذا حاول حامد أخفاء حقيقة والده ، أدرك لماذا أخبره أنه متوفٍ منذُ سنوات، بدأ يتحدث معه بترحيب شديد بعدما أخبرته زوجته بأنه زميل ابنهما في الكلية في الوقت الذي يتمنى فيه حامد أن يسقط المبنى ويتحول إلى كوم من الهدم والتراب يحمل في باطنِه سره الذي أخفاه عن الجميع .

بعد حديث قصير لم يدوم طويلاً استأذن مروان بحجة أن هناك بعض الارتباطات الهامة لدية ، في البداية كان هناك إصرار شديد من والد صديقه بالبقاء لكنه أصر على الانصراف بعدما أعطى للجميع وعودًا وهمية بالعودة في وقتٍ لاحق لزيارتهم والاطمئنان عليهم، شرع في الانصراف ووجهه يحمل تعابيرًا يدركها حامد الذي لم تطرف عيناه بحركة واحدة كأنه تجمد على هذا الوضع حتى أنه لم يودعه حينما انصرف .

- مش عيب يا حامد كدة صاحبك يجيلك لحد هنا ومتمسكش فيه حتى يتغدا معانا .

لا يزال يقف أمامهم كالتمثال، ينظر إلى والدتِه دون أن يُجيب عليها.

- مالك يا حامد في أيه هو مش بيتكلم ليه ؟؟

- مش عارفة يا حج من ساعة ما زميله ده جه وهو منطقش.

بنغمة صوت هادئة للغاية « أنا مش عاوز أسمع صوت حد فيكم، محدش يوجهلي كلام وسبوني في حالي »

****

« حامد » اسم على غير مُسمى، يحمله ذلك الشاب النحيف الذي يحيى حياة هو غير راضٍ عنها مع أسرته الفقيرة المطحونة في شارع ضيق يقع في حي شعبي للغاية، أعلن حامد حربه الضروس مع الفقر الذي تعيشه أسرته منذُ نعومة أظافره، يتحداه بكل قوة ليس ذلك التحدي المقبول الذي يغير حياة الإنسان إلى الأفضل بل هو بمثابة احتجاج رسمي على قضاء الله وقدره، احتجاج لا يجني سوى غضب الله وسخطه فهو مرشح للحصول على جائزة التمرد التقديرية كأكثر شخص يضع نفسه دائمًا في المقارنات القاتلة مع كل من حولِه في أشياء يعلم جيدًا أنه لا يمتلكها ليحصل في النهاية على هزيمة نفسية حادة تُحدث له شرخًا جديدًا وتُزيد من مقتِه على قدرِه المحتوم فتتسع تلك العقدة التي كونتها الظروف بداخلِه، حينما تتحدث معه سيُشعرك أن « فيكتور هوجو » اِقتَبَسَ من حياتِه روايته الأشهر « البؤساء »، ينظر إلى نفسِه نظرة نقص ويعتقد بداخلِه أنه ممثل للطبقة الدونية القليلة وسط الجميع، لسانه لا يخلو من سُباب حياته المسلوب منها أبسط الإمكانيات التي قد تشعره بآدميته، يتسأل دومًا لماذا اختاره الله فقيرًا، لماذا خلقه فردًا في تلك الأسرة معدومة الطموح والمال، والدته قد أصابها الإعياء الشديد والجهد من كثرة التفكير في تدبير الحال بالرزق الضيق المقسوم، أخته التي تصغر عنه

بثلاثة سنوات يرى فيها أنها أقل بنات كليتها من حيث المظهر، هذه كلها أسباب جعلت حامد يكره والده بشدة كونه متمسك بهذا العمل الذي يعتبره هو في غاية السوء والذي بسببه يعيشون حياة تعاني من أنميا في كل شيء .

حامد كان يعاني من آلام نفسيه شديدة نَخَرت حياته كما ينخر السوس الأسنان لذلك أراد أن يتخلص من كل هذا الهراء بمجرد أن التحق بكلية التجارة، هناك تعرف على مروان وباقي الأصدقاء لكنه كان يرى في مروان أنه مثلِه الأعلى لأنه غني، لا يخشى إنفاق النقود ولا يعير لها أي حساب، يمتلك سيارة خاصة وهذا هو طموح ذلك النحيف ممصوص الوجه الذي كان يخشى دائمًا أن يعرف أحد حقيقته فيبتعدون عنه خاصة مثلِه الأعلى الذي كان يُمثل له الكثير لذلك أعلن لأقرانه بأن والده توفى قبل أن يُكمل هو أحد عشر ربيعًا وكان يعمل موظفًا في إحدى البنوك لذلك قرر أن يدرس في كلية التجارة أسوة به ، لم يخبر أحدًا أيضًا بحمل سكنه الحقيقي وأخبرهم أنه يسكن في حي المعادي الراقي رغبة منه في الهروب من ذلك الواقع الذي يكرهه كرهًا شديدًا .

حامد يقف الآن داخل صومعته في صبيحة اليوم التالي من زيارة مروان له ، لم يذق طعم النوم طوال الليل يفكر فيما حدث ويفكر أيضًا كيف وصل إليه مروان ، وهل كشف النقاب على كل شيء أم أنه لايزال يحتفظ بجزءٍ ولو بسيط داخل صندوقِه الأسود، هناك رائحة تعرفها أنفه جيدًا بدأت تخترق الغرفة يليها سماع صوت يعتبره هو أنكر الأصوات أنه صوت والده يُنادي عليه ليتناول معهم وجبة الإفطار، تجاهل حامد نداء والده عدة مرات ثم زفر بضجر بسبب توالي النداء الذي لم يتوقف، بصوتٍ خافت تحدث حامد إلى نفسِه بسَأم .

- أنا مش عارف هو عمال يجعر زي البهايم ليه كدة ، أمال لو مكنش الفطار شعبي كان عمل أيه ، كان جاب ميكرفون بقى .

ظل والده يوالي النداء وحامد لم يرتفع صوته ليُخبره بقدومِه حتى خرج إلى صالة الشقة قابضًا عضلات وجهه بعدما انتهى من رحلة إضاعة الوقت، الأسرة بالكامل متجمعة حول مائدة صغيرة تضم كل أنواع الطعام الشعبي الذي يبغضُه حامد ويعتبره دلالة على الفقر .

- أيه يا حامد عمال أندهلك علشان تيجي تاكل معانا مش بترد .

- معلش .

أجابه بنبرة جامدة تنُم عن عدم رضا .

- طب تعالى أفطر معانا .

نظر حامد طويلاً إلى مائدة الطعام.

- أفطر !!! مش لما تحطوا أكل عدل الأول أبقى أجي أفطر .

- حرام يا حامد اللي بتقولوا ده، كل الأكل نعمة ربنا .

- نعمة ربنا ليكم أنتم بالنسبة ليه أنا مش نعمة .

- حرام يابني الكلام ده أنت مش أد غضب ربنا.

- هو كدة كدة غضبان متقلقش، بعدين سيبك بقى من الجمل اللي أنت حفظها علشان دي الحقيقة .

- عيب يا حامد تكلم بابا بالشكل ده، عيب أوي.

- بقولك أيه خليكِ أنتِ في حالك أنا مش نقصِك على الصبح .

التفت إلى والدِه وهو لا يزال يقبض عضلات وجهه ويتحدث معه بجفاء .

- أنا عاوز فلوس .

بتقزز شديد أخرج والده ورقة فئة 50 جنية وأعطاها إلى حامد الذي أمسكها كأنها ورقة منديل متسخة.

- ده أيه ده !! أعمل بيها أيه دي ؟؟

خبط والده بيده على سطح المنضدة بقوة جعلت أطباق الطعام تهتز وينضح بعضها بما فيه.

- أعمل بيها اللي تعمله مش معايا غيرها أعمل لك أيه.

- بدل ما تزعق وتعلي صوتك أوي كدة كفيني في مصاريفي ده أنا مسئول منك يا أخي.

انتفض والده وصفعه بكل قوة على وجهِه فتعالت أنفاسه وصرخ فيه كأنه أسد يزأر.

- أهو ده اللي أنت فالح فيه، تمد إيدك عليا إنما تمدها علشان تأمن مستقبلي متعرفش، عارف ليه، علشان أنت أب فاشل، فاهم يعني إيه أب فاشل، ضربتني، برافو، لا حقيقي برافو اتعلمت أنا الأدب والمشكلة خلصت.

حامد يصفق له بسخرية قبل أن تتدخل والدته في الحديث.

- عيب يا حامد تكلم أبوك بالشكل ده.

- وهو مش عيب عليه أنه معيشني في الفقر ده، أنا أقل واحد في أصحابي، لا أصحابي أيه، أنا أقل واحد في الجامعة كلها، عارف مسميني أيه في الجامعة فيرس c علشان أنا شكلي بيوحي ليهم بالفقر، ما ترد عليا وتتكلم، طبعًا ملكش عين عارف ليه، علشان كلامي صح فمحسسك أد أيه أنت إنسان عاجز.

صفعه بقوة تزيد بكثير عن الصفعة الأولى.



- واضح أني معرفتش أربيك كويس.

- أضرب تاني طيب، كفّر عن فشلك في كل حياتك حتى في تربيتي، مش الضرب بيريحك، اضرب يا سليمان، اضرب سكيت ليه، مش ده الحل بالنسبة لك يا فاشل.

انهال عليه بالصفعات وسط صراخ كل من والدته وأخته.

- أنا عاوزك تضرب أكثر، كل ما تضرب هعرف أني أقوى منك، أنت مش قادر تواجهني يا فاشل، يا أب يا فاشل.

بصعوبة بالغة استطاعت والدته وأخته فض الاشتباك والصراع الذي نشب بينهم.

- اطلع بره بيتي أنت مطرود.

- بيت!! وأنت مفكر نفسك مقعدنا في بيت تعالى شوف بيوت أصحابي اللي قاعدين فيها، أنت مقعدنا في جحر ومسميه بيت، يا جدع روح بقى أنا زهقت منك ومن فقرك، ده حتى ربنا قرفان منك ومش راضي يرزقك.

- اطلع بره يا كلب، اطلع بره.

حاول أن يشتبك معه مرة أخرى لكن والدته منعته وصرخت في وجه حامد كي يتوارى بعيدًا عنه.

- اطلع بره، بره.

- ياعم طالع متزعقش أوي كدة، أنا أصلا مش عاوز أشوف وشك، على فكرة أنا بكرهك ومن كتر كرهي فيك كل أصحابي فاهمين أنك ميت، قولتلهم كدة علشان أرتاح منك.

صرخت والدته في وجهِه وظلت تدفعه في شبه انهيار حتى أخرجته خارج الشقة وأغلقت الباب .

****

حامد يوالي هبوط درجات سلم البناية بعدما أخرج هاتفه وطلب من مروان لقاءه .

****

بدأ الليل يسدل ستائره السوداء في الوقت الذي يجلس فيه حامد مع مروان داخل غرفته، تتسع عيناه بذهول وهي تتحرك حركة بانورامية داخل غرفة مروان، هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها غرفة تحتوي على شاشة تلفاز ووسال ترفيه لا قِبل له بها، يتزايد الغل في صدرِه وهو يشعر أن مروان يمتلك غرفة مساحتها قد تفوق مساحة شقته بالكامل، مروان يتابعه وهو يدخن لفافة تبغ تعبأ المكان بالدخان الكثيف، قص عليه حامد ما حدث مع والده وأسرته حتى ترك المنزل وانصرف، تذكر حامد ذلك السؤال الذي ظل يدور في عقلِه ليلة زيارة مروان له ولم يجد له إجابة ، كيف تمكن مروان من الوصول إلى عنوان شقته التي يقطن بها.

- من المحفظة بتاعتك .

قذفها إليه باستهتار شديد ثم أردف .

- دورت في عربيتي لما سألتني عليها وأحنا في المطعم ولقتها، بس العنوان كان غريب، قولت يمكن عنوان قديم أنت دلوقتي قاعد في المعادي، في شارع 9 بس لما مشيت ورا العنوان اللي في البطاقة لقيتك هناك، هي أيه الحكاية يا حامد .

قالها مروان بخبث شديد .

- عاوزني أقولك أيه يا مروان يعني، أقولك إني واحد فقير ومش لاقي آكل، أقولك إن أبويا شغال زبال وأنتم كل واحد فيكم أبوه محترم .

- وأيه المشكلة، ده قدرك يا صاحبي .

- قدر زي الزفت .

بخبث شديد .

- لا لا غلط كدة يا صاحبي قول الحمد لله يا أخي .

- الحمد لله !! أقول الحمد لله على أيه !! أيه الحاجة اللي ممكن بسببها أقول الحمد لله برضى نفس، فقر وعيلة تشل وأب زبال وحاجة نيلة، أنا أتعس مخلوق في الكون يا مروان.

- مش كدة يا حامد .

- لا كدة يا مروان، أنا الحل بتاعي كل مشاكلي في الفلوس، أنا لو معايا فلوس مكنش ده بقى حالي، أنا لو معايا فلوس كان زماني قاعد في أوتيل نظيف ومفرقش معايا هبات فين، لو معايا فلوس مكنتش فضلت ألف على كعوب رجلي من الصبح لحد ما أنت تيجي تاخدني بليل أبات عندك، لو معايا فلوس مكنش ده بقى حالي، أنا مش عارف ربنا بيعمل معايا كدة ليه، عاوز مني أيه، لو مش ناوي يفرجها يخودني ويريحني.

- والله يا حامد اللي عاوز رزقه يوسع ويبقى معاه فلوس يفتح مخه ويشتغل وميقعدش يشتكي .

- طب هعمل أيه يعني، ما أنا جتلك على شغل والمدير اللي شغال عندك في شركتك قال عليا فاشل ومرداش يشغلني، أعمل أيه طيب .

- حتى لو كان وافق يشغلك كنت هتفضل طول عمرك موظف مرتبه



بيخلص نص الشهر وعايش على الأقساط .

تقلصت أحشائه على وقع تلك الكلمات المحبطة، أراد مروان أن يلقى إليه بطوق نجاة لينتشله من تلك الأفكار السوداء التي بدأ يغرق فيها فأماط جزءًا من حديثه المستتر ليزيد رغبة حامد وتشويقه في معرفة المزيد.

- إلا إذا بقى بس لا أنت قلبك ضعيف وهتفضل موظف ولا فرد آمن بـ 1200 جنيه .

- في أيه يا مروان ما تقول .

- مينفعش والله يا حامد أنت مش وش بهدلة ،

- مش وش بهدلة !! يا مروان أنا أكتر واحد متبهدل، قول بس .

- تشتغل في الأدوية، بتجيب فلوس حلوة .

- أدوية !! في صيدلية يعني .

- حاجة زي كدة بس متنقله، وهتشتغل في نوع واحد بس من العلاج، اللي بيريح الآلم وبيسكنه .

- أيه الألغاز دي، أنا مش فاهم .

- عائلة تيمو، الترامادول يا حامد .

- ودي بتجيب فلوس يا مروان .

ابتسم على سذاجة ذلك النحيف، مد يدُه داخل جيبه وأخرج شريط ترامادول به 10 حبات، حركه أمام عين حامد ثم بدأ بتقديم شرح تفصيلي وكأنه مندوب مبيعات ماهر .

- الشريط ده بحوالي 10 جنيه هتبيعه أنت ب 70 أو 80 جنيه ده لو مكنش شاحح أمّا بقى لو بالحباية فالوحدة هتبقى بـ 5 جنيه ، العلبة

الواحدة بقى فيها 10 شرايط أضرب 80 × 10 بحوالي 800 جنيه يا معلم شوف بقى لو بعت علبتين ولا ثلاثة في اليوم هيدخلك كام.

كلام مروان جعل عين حامد تلمع بشكل ملحوظ، شدة احتياجه دفعته للتخلي عن يقظتِه ليقفز سريعًا في بحر أحلامه، يغوص فيها دون إرادة منه، يُخيل له أنه صار يمتلك مالاً وفيرًا ويقترب رويدًا رويدًا من حلمه الذي خطط له منذُ نعومة أظافره.

- رحت فين يا حامدتش.

- سرحت في كلامك.

- السرحان أنواع يا ترى أنت كنت في أنهي نوع فيهم.
- بفكر أصل حاسس الموضوع فيه مجازفة.

- معاك، مش مجازفة بس، مخاطرة كمان، بس مخاطرة تستحق التضحية، هحكيلك حكاية كدة صغيرة يمكن تفهم منها حاجة، أنا كنت طالب في مدرسة خاصة وكان جنب مننا مدرسة حكومة كل اللي فيها بيعتبرونا عيال فرافير فكانوا بيضربونا، فيه واد كان اسمه الأعمى، هو مش أعمى لكن علشان غشيم وضربه غبي طلع عليه اسم الأعمى المهم الواد ده كان كل يوم يضربني وياخد مني فلوس لحد ما في يوم راجل عجوز شافني، نادهلي وأنا بعيط، شخط فيه وقالي أوعى تعيط، أنا بحب الصيد وفي يوم كنت ماشي في الغابة وأنا في أوربا ولقيت دب رجله اتعلقت في مصيدة عاملها صياد، الدب ده مرداش يستسلم لدرجة أنه أكل عظم رجله المربوطة في المصيدة ومشى على ثلاثة رجول بس عاش حر من غير أي قيود، كلام الراجل ده أثر فيه لدرجة أني صممت أضرب الأعمى وأقضي على الذل اللي أنا فيه

مهما كلفني الأمر، الإصرار ده خلاني فعلًا أضربه وأخدت حقي وحق المدرسة كلها، أنا طلعت دب وقهرت الذل.

مد يده بعدد كبير من علب الترامادول ثم أردف.

- يا ترى بقى أنت كمان هتبقي دب ولا هتقلب حاجة تانية.

انتزع حامد العلب وهو يُردد « دب طبعًا » شبح ابتسامة خبيثة ظهرت على وجه مروان.







(12)

مروان يوالي صعود درجات السُلم داخل تلك البناية متوسطة الطول، ترتفع رأسه إلى أعلى وهو يوزع النظرات على الجدران والسُلم، وصل إلى شقة صديقه فارس، بخطوات واثقة اقترب من الباب، قرع الجرس فستمع إلى وقع أقدام سريعة ترتدي شِبْشِب منزلي، فُتِح الباب ثم تناولت أذنه صوت نسائي يحثه على الدخول، إنها أخت صديقه كانت تتوقع أنه فارس، أخبرها أنه صديقه مروان بعدما تفقد كل جزء في جسدها بعينيه الثاقبة فشملتها حالة من الارتباك، عادت إلى الباب سريعًا لتتوارى خلفه حتى لا يستمر في رؤية شعرها المكشوف ولا ملابسها التي لا تصلح خارج جدران المنزل، بدت على وجهها حمرة الخجل، ظهر الحياء بين ثنايا صوتها وهي تُخبره بأنه ذهب لشراء بعض متطلبات المنزل وسيعود سريعًا لن يطول الأمر، طلبت منه الانتظار قليلاً، استرقت النظر بطرف عيناها من بين مزلاق الباب فوجدته مطأطأ الرأس، يشيح بعينيه بعيدًا عن مواجهة الباب، اطمأن قلبها ثم دفعت الباب قليلاً إلى الأمام لتتحرك تجاه غرفتها لارتداء الحجاب والملابس التي تستطيع بها محاورته بشكلٍ أفضل، استمع إلى وقع أقدامها فأدرك أنها بدأت تتحرك، دون تفكير وجد نفسه يدفع الباب بأصابعه لتتسع فرجتُه ويتمكن من رؤية أخت صديقه وهي تتحرك أمامه في عُجالة بملابس لم تفلح في مداراة مفاتنها، تابعها

مروان بنظرات خبيثة لا يوجد بها أي ذرة احترام، تابعها وهي تجاهد لتسرع من خطواتها فيهتز جسدها رغمًا عنها، بلل شفتاه السفلى بلسانِه الذي تدلى خارج فمه كما يتدلى لسان كلبٍ ضال في موسم التزاوج، لم يترك مكانًا في جسدها إلى وذهب إليه بعينيه التي لا تستحي ولا تعير للصداقة أي احترام، أقدام فارس تُحدث دَقَّات رتيبة وهي توالي الصعود وتقترب من الشقة، انزوى مروان بعيدًا عن الباب وولى له ظهره، نظر بعينيه إلى حذائه بعدما تدثر بلباس التقوى، ارتفع صوت فارس مهللاً حينما رآه ينكمش على نفسِه في تلك الوضعية الغريبة، سأله متعجبًا لماذا ينتظره أمام الباب بتلك الوضعية الغريبة فأخبره بنبرة صوت خبيثة لا تستطيع كشفها بأنه كان على وشك الذهاب من هنا لولا أمره أحد من أهله لا يعلم هويته بأن ينتظر دقيقة واحدة، دلفوا سويًا إلى الداخل وهو يخبره بأنه يعتبره أخًا له وهذا يُعد منزله.

- أنا لقتلك شغل يا معلم زي ما طلبت.

- بجد يا مروان.

- طبعًا هو أنا عندي أعز من أخويا ولا أيه.

- والله يا مروان ده جميل عمري ما هنساه ليوم الدين.

- يابني بلاش هبل، دين أيه !!، أنت أخويا يا فارس فاهم يعني أيه أخويا.

- والله ما عارف أقولك أيه يا مروان.

- متقولش حاجة، أنا عاوزك بكرة تيجي معايا علشان تستلم الشغل.

- هو فين ؟

- كافية في المهندسين بتاع واحد صاحب بابا .

- أنا فرحان أوي يا مروان، فرحان أوي بجد .

- ولسه يا صاحبي ورحمة نادين اللي جي هيفرحك أكثر بس أنت اصبر .

قالها بأسلوب خبيث تشعر معه أن هناك حدث كبير على وشك الحدوث .





(13)

لا يزال يوسف أسير تحت سيطرة وتصرف عائلة الدِروي التي اتخذ كبيرها فرمانًا باستغلال موهبته في التقاط الصور لتصفية حسابه مع شخص يُدرك جيًدا أنه غير سوي ويتردد باستمرار على بيت مشبوه، اتفق كبير عائلة الدِروي مع صاحبة ذلك المنزل المشبوه أنه سيقوم بتصويره مقابل مبلغ مالي كبير حتى يضعه تحت ضغط ويصبح كالدُمية في أيدي عائلة الدِروي .

داخل ذلك المنزل تحديدًا داخل غرفة النوم التي يشعر بداخلها خصم عائلة الدِروي بالراحة النفسية فذكرياته داخل هذه الغرفة كثيرة ومن الصعب حصرها، تتكون هذه الغرفة من سرير كبير مُزين دائمًا فتشعر أنه يستعد لاستقباله في أي وقت، بجوارِه يوجد دولاب خشبي جديد تحتوي جميع دوولفُه على ألواح كبيرة من الزجاج، لن يُخيل إلى خصم عائلة الدِروي أن هذا الدولاب فخ يجلس خلفه يوسف بكاميرته المتكأه على حاملها ذات الأرجل البلاستيكية، يوجه عدسته إلى الغرفة عبر الزجاج الذي يشف كل شيء بدخلها، بأستخدام عدسة wide يتمكن من التقاط صور واضحة من خلف مرآة الدولاب الخادعة، بجوار يوسف يجلس خوليو مكفهرًا لأنه كان يتمني قطع رقبته لولا فرمان كبير العائلة ، بصحبته شاب آخر ينتمي إلى بني الإجرام يحمل سلاح أبيض لامع لن يتردد لحظة برشقِه في قلب يوسف إذا استمع إلى شيطانه الذي يصور

لـهُ أن الهـروب أو التلاعـب بعائلـة الـدروي حـلاً سـلميًا، يوسـف منهمـك في ظبـط عدسـته بوجـهٍ ملتـاع لا يـدرك عـلى أي مينـاء سترسـى سـفينته، مسـتاء مـن الموقـف السـيء الـذي وُضِـع فيـه وهـو عـلى يقـين بأنـه أمـر مُدبـر مـن بدايتـه، دون صـوت يجـزم بأنـه سـيقطع رقبـة كل المتسـببين فيـما وصـل إليـه، أتـاه صـوت غمغمـة خافتـه لا يسـتطيع تفسـير كلماتهـا لكنهـا توحـي بـأن صاحبهـا يعيـش حالـة مـن الانسـجام الـذي لا يتماشـى مـع الموقـف الـذي يحـاصر الجميـع بسـادية، التفـت يوسـف تجـاه الصـوت فوجـده ذلـك الشـاب النحيـف الـذي يحمـل سـلاحًا أبيـض، بمجـرد أن تقابلـت عيناهـم تراقـص بحاجبيـه عـلى سـبيل الاسـتفزاز، لم يعـيره يوسـف اهتمامًـا فقـط اكتفـى بهـز رأسـه ومتابعـة عملـه، لم يُـرضِ رد فعلـه شـغف ذلـك النحيـف الـذي يبحـث عـن أي مشـاحنة معـه.

- ولا يـا مصـوراتي بعـد مـا تخلـص المهمـة دي دا لـو نجحـت يعنـي فيهـا وفضلـت عايـش هاخـد منـك الكامـيرا دي تـذكار.

استـمر يوسـف في تجاهـل مـا تناولتـه أذنـه ممـا جعـل ذلـك النحيـف يستشـيط غضبًـا، اقـترب منـه وجذبـه مـن كتفيـه لينظـر لـه، تقابـل وجهـه العابـس مـع وجـه ذلـك النحيـف الجامـد، دفعـه النحيـف بقـوة كادت أن تخـل بتوازنـه لكنـه تماسـك يوسـف وسـدد لـه لكمـة قويـة أطاحـت برأسِـه للـوراء وتطايـر عـلى أثرهـا بعـض الدمـاء مـن فمِـه، نعتـه بأقـذر الألفـاظ قبـل أن يحـاول رشـق السـلاح الأبيـض بقلبِـه، تدخـل خوليـو سريعًـا لإنهـاء تلـك الأزمـة، فشـل في البدايـة ولم يسـتطع السـيطرة عـلى ذلـك النحيـف ممـا دفعـه لتسـديد فوهـة سـلاحه النـاري إلى رأسِـه.

- عليـا الطـلاق مـن بيتـي لـو مـا هديـت لكـون مطـير نفـوخ أهلـك، أنـت فاهـم ولا تحـب تشـوف عمـلي.



- وعلى أيه يا كبير الطيب أحسن .

هدأ ودس سلاحه الأبيض في جيبه وهو يتوعد لـ « يوسف » بالقتل فور إنتهاء المهمة، انزوى بعيدًا وهو لا يزال ينظر إلى يوسف نظرات انتقامية لا ريب فيها، فُتِح الباب فانتبه الجميع عدا ذلك النحيف الذي لا يزال يرمق يوسف وهو يصب كل تركيزه في إنهاء المهمة، حانت منه نظرة تجاه ذلك النحيف الذي لم يزحزح عينيه عنه وسدد له إشارة بمعنى سوف أذبحك ولكن لاحقًا، تجاهل سيف كل هذا وصب تركيزه مع الرجل الطويل، عريض المنكبين الذي دخل إلى الغرفة بصحبة فتاة لم تتجاوز العشرين ربيعًا، يرتدي بذلة قيمة جدًا مزوده بدبوس قطره لا يتعدى 2 سنتيمتر يحمل شعار الجامعة التي ينتمي إليها يوسف !! ، التقط له عدة صور وهو يقوم باحتضان الفتاة وتقبيلها وصفعها وبعض الأفعال الشاذة التي تنُم على أنه شخص يعاني من انحرافات جنسية، الغريب أنه لم يفعل بها سوى تلك الأفعال الصبيانية ولم يرتقِ ما بينهم إلى مرحلة الزنا الصريح، بدأ الشك يدب في صدر يوسف الذي ظل يبحث عن سر أخر وراء تصوير ذلك الشخص الذي يبدو أنه ينتمي إلى جامعتِه .

****

عاد يوسف بصحبة النحيف وخوليو إلى مندرة عائلة الدِروي يحمل كاميرته المحملة بصور ذلك الرجل الذي تم تصوره، استقبله كبير عائلة الدِروي بحفاوة الفاتحين بعدما أخبره خوليو أنه نجح في اتمام مهمته، زاد إعجابه واندهاشه بعبقريته حينما شاهد الصور بكادراتها المتميزة، نسخ يوسف الصور على قرصٍ صلب وأعطاه إلى كبير عائلة الدِروي الذي ظل يبتسم له ابتسامة سخرية لا ريب فيها، استفسر يوسف عن سببها.

- أصل مستخصر العبقرية بتاعتك دي في ردود أفعالك اللي كلها تسرع .

- مش فاهم تقصد أيه ؟؟

- هو أنت مفكر إن كدة دورك خلص ؟؟

طرح عليه ذلك السؤال وهو لا يزال يحتفظ بابتسامته الخفيفة التي تدعو للتوجس .

- آه خلصت .

- مين قال ؟

- أنت وفي اتفاق ما بنا، أنا أصور الراجل اللي فيه بينك وبينه مشاكل وأنت تديني العقد والشيكات وإذا كان على خروجي ولا جوازي من بنتكم فهي متلزمنيش خلاص .

رمقه كبير عائلة الدِروي وعلى محياه تلك الابتسامة الساخرة .

- بس أنا طلباتي لسه مخلصتش في حاجة تاني.

- اتفاقي معاك كان على كدة .

- أنت ناسي أني أنا خطفك ولا أيه، أنا ممكن أدفنك هنا ولا كلامي معاك نساك أنك موجود هنا علشان موضوع شرف .

- عاوز مني أيه ؟؟

- الصراحة كدة وبدون مقدمات أنا ضحكت عليك .

- الراجل اللي أنت صورته ده مفيش بيني وبينه مشاكل ولا أحنا نعرفه أصلاً، الراجل اللي في بيني وبينه مشاكل هنركب صوره على صور الراجل ده، هو نفس الجسم عمومًا متقلقش .

نظر لـه يوسف بذهـول شـديد لا يصدق مـا تتناولـه أذنـه في الوقـت الـذي أردف فيـه كبير العائلـة «أنـا عـارف أنـك شـاطر في الكمبيوتـر وهتعملـه مش كـدة برضـو ولا أنـت مش هيفـرق معـاك زعـل كبير عائلـة الدِروي».

لم يجـب في البدايـة، ظـل شـاردًا لدقائـق، هـو كان يتوقـع هـذا الـشرود فالصدمـة ليسـت بسـيطة، لكـن الحقيقـة أن يوسـف كان يفكـر في شـىء أخـر سيمثل لـه طـوق نجـاة بالنسـبة لـه.

- أنـا مش بس شـاطر في الكمبيوتـر أنـا شـاطر كمان في اكتشـاف الأسـباب الـلي ممكـن تكشـف الموضـوع لمـا تفضحـوا الراجـل ده لأن في غلطـات أنتـم معملتـوش حسـابها.

يرمقه الكبير في تشكك.

- غلطات أيه؟

قالها والتوتر بدأ يظهر في عينيه.

- لا، عائلـة الـدِروي علمتني أن كل حاجـة لهـا ثمـن، مش كـدة برضـو يـا كبـير.

- يعني أيه؟؟

- يعني فيه غلطتين هقولـك عـلى أول واحـدة، بعديـن تدفـع الثمـن الـلي أنـا عـاوزة بعـد كـدة أقولـك عـلى التانيـة.

الرجل الأشر يُصَوّبَ عينيه الجاحظة تجاه يوسف الذي أردف.

- الراجـل الـلي أنتـم عاوزيـن تفضحـوه ده شـغال في الجامعـة الـلي أنـا فيهـا صـح.

بُهـت لـون الكبـير وتوتـرت أعصابـه قليـلاً لكنـه ظـل متماسـك ظاهريًـا يسـتمع إليـه.

- مدام سكت يبقى صح، أنتم علشان يبقى فيه مصدقيه خليته الكومبارس اللي مثل أنه مع البنت يلبس دبوس في البدلة عليه شعار الجامعة وده مش ممكن يحصل لأن محدش هيروح شقة زي دي وهو لابس دبوس عليه مكان شغله .

زم الكبير شفتيه في خبث .

- دي أول غلطة .

- والتانية .

- لا في اتفاق يا كبير وأنا بحافظ على اتفاقي مش بعمل مفاجأت زيكم، أنا عاوز الثمن .

- العقد والشيكات مش كدة .

طقطق فمه في ثقة .

- العقد والشيكات هخدهم هخدهم بعد ما أخلص شغل، أنا عاوز أعرف مين اللي أمركم تعملوا كدة، يعني أنتم شغالين لحساب مين علشان الموضوع ده واضح كدة أنه بره عيلة الدِروي .

تحولت عين الكبير إلى جمرتين مشتعلتين وهو يرمق يوسف .

- هتفرق معاك في أيه .

- لا، تفرق كتير وأنا رأيي يا كبير تقولي بدل ما الموضوع كله يبان أنه متفبرك ويبوظ .

يتابعه الكبير بنظرات الشك والريبة قبل أن يُخبره بتردد شديد .

- سيف يا يوسف ، كل ده علشان نحمي سيف .

- سيف مين ؟؟!!!

- سيف زميلك في الجامعة، الصعيدي.

تشابكت الخيوط في عقل يوسف وتداخلت .



- لا معلش مش فاهم .

- عيلة سيف أصدقاء لعيلة الدِروي وفيه بنا شغل كتير، طبعًا أنت عارف أن عيلة سيف عليها تار في الصعيد والقعدة العرفية اللي عملوها علشان يحلوا النزاع ده كانت بتشترط على أن أحسن حد متعلم في عيلة سيف يتجوز أقل بنت تعليم في العيلة التانية ، الكلام طبعًا مكنش جي على هوى سيف فشترط عليهم يخلص تعليمه الأول ووافقوا، في دكتور عندكم في الجامعة حاطط سيف في دماغه مش مقتنع بيه وأهله خايفين لحسن يسقط في الامتحانات وهما عاوزين يخلصوا علشان الاتفاق لو متمش هيبقى في بحر دم ، اتفقوا معايا أدور وراه ولقيت أنه شمال بس مش هنعرف نوصله، فجتمعنا وفكرنا في الفكرة دي .

- على حسابي أنا .

- نصيبك بقى يا يوسف و بيبقى ماشي جنب خناقة بياخد طلقة ويموت، نصيبه كدة .

- وأنتم عرفتوا أنني مصور من سيف مش كدة.

ابتسم كبير العائلة بخبث شديد دون أن يُجيب على سؤاله ، فقط اكتفى بالابتسامة .

- طبعًا ، صاحبه وعارف أني بصور كويس بس أنا غبي، أزاي مخدتش بالي أن هو الوحيد اللي مكنش ليه أي رد فعل وأنا بحكي على موضوع الفرح في المطعم، عمومًا مش وقت الكلام، أنا عاوز أشوف الشخص اللي هشتغل عليه .

أعطاه كبير العائلة قرص صلب صغير عليه صور ذلك الشخص المراد تشويه ، إنه الدكتور مصطفي والد أماني.





(14)

داخل الحرم الجامعي تحديدًا أعلى ذلك السُلم الذي يصل بك إلى المبنى الإداري الخاص بكلية التجارة، سيف يجلس على الأرض عابس الوجه، يبدو عليه الاغْتِمَام الشديد، يضع أمامه الكتب الدراسية التي يحملها معه دومًا ، يستند برأسِه على راحة يده بصبر بدأ ينفد، يتنقل بنظرات الحسرة بين ساعة يده التي يتطلع إلى عقربها وبين كتب الدراسة وكشكول المحاضرات المُلقى أمامه على الأرض في إهمال، ينتظر وصول سلمى، زفر في ملل وهو يتحدث إلى نفسه معاتبًا سلمى التي تأخرت على ما يقرب من الساعة الكاملة وبالتالي تأخر هو عن محاضرة الدكتور المنتدب الذي يشعر دائمًا بأنه متربص له، احتدت قسمات وجهه حينما وجدها تأتي إليه ببرود شديد لا تعير للوعتُه أي اهتمام، ألقت عليه السلام فأجابها بجفاء لم تعتد عليه سألته وهي على علم لماذا تنال منه هذه المعاملة، لماذا يتعامل معها بهذه الغلاظة فأجابها سيف بجرعة أكبر من العتاب بأنها تأخرت كعادتها وبالتالي لن يستطيع هو الدخول إلى المحاضرة ويفقد جزءًا أكبر من رصيده لدى ذلك الدكتور المنتدب الذي يعتبره شخصًا مُهملًا لا يستحق تلك المكانة التي هو فيها كما يُذيع للجميع في كل محاضراتِه .

شُحن الجو بتوتر خانق وشعرت سلمى بأنها مُدانة بشكل يجعلها في موقف ضعيف للغاية فهذه هي المرة الأولى التي ترى فيها سيف عصبيًا

بهذا الشكل منذُ أن تعرفت عليه، لا حل سوى استخدام الكارت الأخير الذي لا يستطيع مقاومته معظم الرجال، لمعت عيناها بالدموع المحبوسة قبل أن تُشيح بوجهها بعيدًا قبل أن تتساقط دموعها بإرادة منها، تأنيب الضمير الذي تشعر به تجاه ما تفعله هو ما سهل مأمورية تلك الدموع التي جعلت سيف ينتفض ويهرع إليها دون تفكير، اعتذر لها وأخبرها بنبرة صوت يظهر بين ثناياها الأسف بأنه ناءَ به الحِملُ الكبير الذي يحمله على عاتقه، أخبرها بأنه عليه من الضغوط النفسية ما يجعله يفقد حتى القدرة على النوم، مسحت سلمى دموعها وتحدثت إليه بصوتٍ اختلط معه النحيب بأن يتركها ويبتعد عنها حتى لا تكون سببًا في هدم ما جاء خصيصًا من قريته لبنائه، أجابها بلهفه تشي بأنه أصبح غير قادر على الابتعاد عنها.

– لا طبعًا الكلام ده مبقاش ينفع دلوقتي، لأن أنا مش شايف أي حاجة في الدنيا غيرك، أنا بحبك يا سلمي بحبك بجد.

التفتت إليه مترددة تغالب ذلك الإحساس المتأرجح بين الخوف والاشمئزاز الشديد من نفسها.

– سيف لو بتحب ربنا ابعد عني وركز في مذاكرتك ومستقبلك.

– أنتِ أهم من مذاكرتي ومستقبلي، حرام عليكي تمشي وتسيبني وأنا بحبك، أنا عمري ما حبيت حد كدة، أنتِ متعرفيش أنا هقف قدام كل عيلتي إزاي علشان جوزنا يتم أول ما نخلص السنادي.

– أنت كلمتهم في حاجة.

– على خفيف كدة مجرد تلميح يعني.

– وبعدين.

- طبعًا أبويا هزأني وقالي إن أنا كدة بفتح عليهم حرب دم هيروح فيها ناس كثير، ما أنا قولتلك أن العيلة عليها طار والحل أني أجوز حد من عيلة تانية بس أنا هورفض واللي يحصل المهم أبقى جنبك.

- يا نهار أسود، يا نهار أسود، مخدتش رأيي ليه في حاجة زي كدة.

- أخد رأيك في أيه يا سلمى، أنتِ عارفة أني بحبك وكمان أنتِ بتحبيني يبقى خلاص الموضوع منتهي، أنا الراجل وأنا اللي لازم أتصرف.

- سيف أنت مش فاهم حاجة.

- طب فهميني.

سلمي لا تزال تتلفت حولها كأنها تخشى أن يلمحها أحد، سيف لاحظ ذلك خصوصًا بعد تكراره عدة مرات، استفسر منها فأجابته أنها تشعر باختناق وتريد الخروج من الحرم الجامعي والجلوس في أي مكان أخر لتتمكن من الحديث مع سيف، أماء رأسه بالموافقة والتفت بعينيه لتصتدم بذلك الكيان الذي يأتي من داخل مبنى كلية التجارة، شملتُه حالة من الارتباك والتوتر حينما رأي ذلك الدكتور المنتدب في بذلتِه الأنيقة وشنطته الجلدية، يقترب منهم وعلى محياه ابتسامة توحي بأنه قد سنحت له فرصة للانقضاض على سيف الذي شُلَّ عقله وتجمد في مكانه وهو يقترب منه كالضبع الجائع.

- مع أني منتدب في الجامعة هنا ودي أول سنة أشوف فيها الدفعة دي بس أنا كان ليه نظرة فيك من أول يوم سألت عليك فيه أنك إنسان فاشل ومتستحقش المكانة اللي أنت فيها، امتحانات الترم قربت وكل اللي أنا شفتك فيه محاضرتين، والله، والله تاني مرة ما هتبقى معيد هنا حتى ولو على حساب وجودي في الجامعة للأبد، أنا لما قولت من تاني محاضرة أنك إنسان فاشل قالوا عليه متسرع في حكمي بس دلوقتي وفي

محاضرة النهاردة الدفعة كلها قالت إني مُحِق في كل كلمة قولتها، معادنا في الامتحانات يا سيف.

أنهى الدكتور مصطفي كلماته وانصرف بعدما أُصيب قلب سيف بالكمد، تَخَضَّب وجهه بالحمرة وانقلبت ملامحه بالكامل، ربطت سلمى على كتفِه وهي تشعر بتأنيب ضمير من الصعب تجاهله، طلبت منه الابتعاد عن ذلك المبنى لتتحدث معه في أمر هام وعاجل، تحرك معها سيف دون مقاومة كأنه مسحور لا يستطيع فرض رأيه ولا سيطرته، تحرك بعيد عن المبنى وهو يجهل أن ذلك الدكتور المنتدب هو والد أماني حبيبة صديقه مروان.

****

سيف بصحبة سلمى داخل إحدى الكافيهات بعدما طلبت منه ذلك، في بداية الأمر حاولت رفع الضغط الواقع هو تحت تأثيره، أخبرته أنه مجرد دكتور منتدب من جامعة أخرى ولن يَجْسُر على إذائه، فقط عليه أن ينقذ ما يمكن إنقاذه، عليه أن يثبت له بأنه قادر على النجاح، كانت سلمى تحدثه وتحاول تحفيزه وإشعال إصراره على الوصول إلى ما تمناه يومًا، لكنها فوجئت به يطلب منها البقاء بجوارِه وعدم التخلي عنه فهو لم يعد يرى سواها ولا يستنشق سوى أريجاها الذي اعتاد عليه، قلبه لم يرق إلى أحد مثلما رق إليها، حدثها سريعًا عن قلبه الذي اِلتاعَ منذُ أن رآها وتحدث معها، أخبرها أنها استطاعت أن تتسلل إلى قلبه لتتربع فيه وتملأه، سلمى تستمع إلى ذلك الكلام وقلبها يعتصر فذلك المسكين لا يدرك أنها مجرد فخ نصبه له مروان لتحطيمه، حدثتها نفسها أن تخبره حقيقة الأمر لكن عقلها أبى، فقط ذكرها بوالدها الديكتاتور الذي لو علم ما فعلته سلفًا سيؤدها وأد بنات الجاهلية، بالتأكيد سترى معه أيام أسوء بكثير من

الأيام التي رأها مسلمي أوربا على يد قادة محاكم التفتيش، لا حل أمامها سوى التريث ومجارات الأمور حتى تظهر لها زاوية مناسبة يمكنها منها الانقضاض على مروان لتقتص منه لنفسها ولكل من احترق بناره .

- سيف كنت عاوزة أقولك على حاجة .

- قولي يا سلمى .

- هو صاحبك الغلس اللي قابلتك معاه في الجامعة ده مبقتش أشوفوا ليه ؟؟

- صاحبي مين !

- صاحبك اللي اسمه، رامي، مروان، حاجة كدة .

- مروان ، آآآآه ، ماله .

- مفيش أصلي مشفتوش بقالي كتير في الجامعة.

- مروان أصلا مش معانا، لسه في سنة تانية أصله مدخلش الامتحانات بسبب ظروف كدة حصلت لأخته .

- حصلها أيه ؟؟

- حصل عندها ظرف كدة الله أعلم أيه هو ، بس بسببه أدمنت وبقت تشرب مخدرات وفي يوم ماتت نتيجة جرعة زيادة.

ارتفع حاجبيها معًا وهي ترمقه بثبات .

- في أيه يا سلمى .

- ماتت نتيجة جرعة زيادة !! قولتلي بقى ، سيف أنت كان ليك علاقة بأخت مروان ؟

ارتبك سيف وتلجلج في البداية .

أيه اللي بتقوليه ده يا سلمى ! جبتي الكلام ده منين !!



- مجرد سؤال يا سيف.

- سلمى سؤالك ده وراه حاجة أكيد، أنتِ قابلتي مروان ؟

- نعم !! ما تخلي بالك من كلامك يا سيف، أنت مش فاهم أنت بتقول أيه ؟؟

- مقصدش يا سلمى والله بس الكلام غريب.

- خلاص يا سيف غير الموضوع بقى علشان فعلاً بدأت أتعصب.

- حاضر يا سلمى، حاضر بس بجد لو في حاجة عرفيني ؟

ضاقت عيناها وتلك الفكرة الجنونية تدور بعقلها محاولة إيجاد مكانًا لها، تباعد فكيها وهي لازلت تحت ضغط تلك الفكرة التي تحاول إثبات نفسها داخل تلافيف عقلها.

- سيف أنا عاوزة أسألك على حاجة كدة.

- قولي يا سلمى أنا سامعك أهو.

- أنت تعرف حد اسمه ....

تراجعت سريعًا قبل أن تفصح عن ذلك السر الكامن في قلب صندوقها الأسود، السر الذي جعل مروان يتلاعب بها ويضغط عليها، أرادت أن تبقيه بصحبة مروان فقط ولا داعي من انتشاره، التجم لسانها وتساقطت الدموع من عينيها عنوة وهي تبتسم إلى سيف الذي يشاهدها في ذهول.





(15)

شاشات عملاقة موزعة بحيث يتمكن أي شخص داخل المكان من رؤية ما يُذاع، ترابيزات ذات أشكال هندسية مُحكمة موضوعة في كل ركن يحوطها كراسي وثيرة تسمح بالجلوس في إريحية شديدة، إضاءة المكان موزعة بإحكام يجعلك في حالة انبهار طوال فترة جلوسك داخل الكافيه، ردهة طويلة ستقتادك إلى مكتب المدير أو مالك الكافية الجالس على مكتبِه في زيه الأنيق دائمًا أمامه يجلس مروان، يدخن لفافة تبغ ويضع قدمًا على أخرى، رائحة ذلك العطر الفرنسي المميز الذي يصعب نُطقه على لسان من تتناوله أذنه للمرة الأولى تملأ المكان، مالك ذلك الكافيه الذي يعتبر رواده ينتمون إلى طبقات معينة هو صديق شخصي لوالد مروان، مروان يعرض عليه الآن فكرة جديدة في تسويق وترويج للكافيه ويدس له في وسط العروض معلومات عن فارس صديقه الذي وعده بفرصة عمل.

- واضح أنه صاحبك أوي علشان تتوسط له بالطريقة دي.

شبح ابتسامة خفيفة ترتسم على محياه وهو يُجيب بثقل.

- بالعكس فارس كان صاحبي إنما دلوقتي بكرهه جدًا، بكرهه أكثر ما أنت متصور.

- غريبة منين بتكرهه يا مروان ومنين ....

قاطعه مروان.

- لو عاوز تنتقم من أي حد وهو عارف أنك بتكرهه هيبعد فالضربة هتبقى ضعيفة، إنما طول ما أنت حبيبه وهو قريب منك حتى لو كانت الضربة ضعيفة هتوجعه أوي علشان قرب المسافة ما بنكم.

- اتغيرت أوي يا مروان من بعد وفاة نادين.

قالها مالك المكان بريبة.

- كتر الوجع بيعمل منك شخص عمرك ما كنت تتخيل أنك تكون زيه في يوم من الأيام.

أماء مالك المكان برأسِه فأردف مروان.

- سيبك بقى من برنامج همسة عتاب ده وخلينا في المهم، الواد اللي مرمي بره اللي اسمه فارس ده، عاوزك تذله، حسسه أنك ولي نعمته، وصلوا إحساس أنه شغال عندك.

- هيطفش.

طقطق فمه بثقة زائدة قد تصل إلى حد الاستفزاز.

- فارس دلوقتي جعان هيستحمل أي حاجة عليشان يكفر عن الحاجات اللي عملها.

- ماشي يا مروان، المهم احنا اتفقنا زي ما هو، هتعملي إعلانات بالأسعار اللي اتفقنا عليها.

- أنا عمري وعدتك بحاجة ومحصلتش.

- الصراحة لا:

- يبقى المساومة مش في مكانها يا باشا، اللي أنت عاوزة هيحصل طول ما اللي أنا عاوزة بيحصل لأن المصلحة ديمًا لازم تبقى مشتركة،

وجهين لعملة واحدة، اكسر فارس يا باشا، ذله، حسسه أنه ولا حاجة وهتشوف مني حملة دعايا للمكان عندك مكنتش تحلم بيها.

****

أنهى مروان لقاءه مع مالك المكان ثم تدثر بثوب الصداقة الذي يجيد ارتدائه جيدًا، خرج إلى فارس الذي يجلس في الخارج وقد التاع من طيلة الانتظار، جهز مروان الطُعم الذي سيلقيه إلى فارس فيلتهمه كسمكة غبية لا تدري ماذا سيحدث لها، بمجرد أن رآه فارس نهض وترجل إليه بشغف لم يعتد عليه مروان منه فمازال ضميره يوكزه بسادية دون توقف لما صدر منه تجاه أسرته، وضع مروان نتاج حديثه مع مالك المكان في جوفه ولم يُصرح بشيء إلى فارس الذي بدأ يسأله بلهفه عما أسفَرَ عنه اللقاء، ابتسم ابتسامة صفراء ببرود مستفز، أراد أن يتشفى فيه قليلاً قبل أن يلقي إليه بفتات الكلمات.

فارس لا يزال تائهًا بين معلومات مروان القليلة التي لا تغني ولا تُسمن من جوع، أراد معرفة المزيد، أراد أن يعرف مصير تلك الوظيفة التي سيُكفر بها عن جزء من تصرفاته الصبيانية تجاه بيته وأسرته، ظل فارس مشدود إلى أن أخبره مروان بعد مراوغات ماكرة بأنه توسط له عند مالك المكان ليعمل لديه في الكافيه، تهللت أساريره وشكر مروان بحرارة قبل أن يطبع القبلات على رأسِه وعينيه شبه دامعة، رد فعل مبالغ فيه لكنه ينُم عن مدى الضغط النفسي الذي يعاني منه فارس.

- بلاش مبالغة بقى يا فارس، أنت أخويا يا جدع عارف يعني أيه أخويا.

- والله يا مروان أنت متعرفش أنا بعزك قد أيه.

- طيب مدام بتعزني بقى عاوز أفهم حاجة، رياضي ناجح فاز ببطولة الجمهورية للسباحة وأنا حضرت تكريمه بنفسي، بعدها لقيت قدامي واحد تاني كل هدفه أنه يحشش وبس، أنا ساعدتك علشان أنت صاحبي لكن فعلاً محتاج أعرف السبب، السبب الحقيقي يا فارس.

سحب فارس كمية كبيرة من الأكسجين ليسد حاجة رئتيه التي تبحث عن الأنفاس بعد ارتفاع منسوب التوتر.

- أنا مجوز عرفي من ورا أهلي يا مروان.

اتسعت عين مروان بشكل مبالغ فيه، تذبذبت شفتاه حراكًا على أثر ما تناولته أذنه.

- هي دي الحقيقة اللي بسببها أنا وصلت للحالة دي.

****

فارس يعشق السباحة منذ نعومة أظافره، يهواها لدرجة أنه استطاع أن يتفوق بها ويلفت أنظار الجميع بحصد البطولات في وقتٍ قصير إلا أنه كان يعيش حياة مليئة بالمتاعب مع والده الذي يمتلك عقلية عتيقة لا تؤمن بأي شيء سوى التفوق الدراسي الحتمي للحصول على وظيفة حكومية ثابتة حتى يتمكن من الانتقال إلى المرحلة الثانية وهي إدخار مبلغ كبير من مرتبه الضئيل التي ستهبهُ له وظيفته الجافة التي تعاني من أنميا في كل شيء ليتحول بعد عدة سنوات من الكد والتعب إلى رب أسرة يؤدي نفس رسالة والده التي أداها سلفًا، في نظر والده هذه هي الحياة الآمنة التي يجب أن يبحث عنها أمّا الرياضة والإنجازات فيرى أنها مجرد مهاطرات لا داعي منها أو أنها تحتاج إلى أُناس يعيشون بمستوى مادي يختلف عنهم، فارس كان يعاني مع والده الكثير خاصة وقت الذهاب إلى التمرين، يتعرض إلى شجار دائم ومشاحنات إذا لمحه وهو يترجل ناحية

الباب وعلى كتفه شنطة يحمل فيها ملابس التدريب، كان لا يتركه يذهب إلا وهو بائِس بسبب الدفعات السيئة التي يعطيها له برتابة مستمرة دون انقطاع، لا شيء يملأ حياته أكثر من المشاجرات والعِراك المُشبع بالجمل السامة القاتلة لأي طموح لذلك كان يلجأ دائمًا إلى تكوين صداقات مع الجنس الآخر ليستمد منهم ذلك الجزء الذي يفتقده والذي يعد عنصرًا هامًا للنجاح.

بعد انتهاء التمرين في إحدى الأيام التي وصل فيها الشجار مع والده إلى أقصاه وقعت عيناه على فتاة انشرح لها صدره، هي ليست الأجمل لكنه لسببٍ ما لا يعلمه شعر بسعادة وراحة تجاهها حينما التقط عيناه بعينيها التي تكسوها لمعة بسيطة بمثابة شفرة سرية تُعلن من خلالها اهتمامها به وربما حبها له، كانت تقف وسط مجموعة من الفتيات بجسدها فقط أمَّا عقلها وعيناها وقلبها كانوا بصحبة فارس الذي بدأ يلاحظ ذلك، فاضت نفسه غِبطْة وارتياحًا لكنه كان لا يمتلك البَسَالة الكاملة ليتحدث معها، فقط اكتفى بالإماءات الذي يُفشي بها ما في صدرِه.

تكررت رؤيتها عدة مرات متباعدة دون ترتيب منه حتى ذلك اليوم الذي وصل فيه المُزاح بينه وبين صديقة له بالتلامس فوجدها ترمقه بثبات وقد قدحت نظراتها الغائرة كأنها تُخبره بمدى استيائها من ذلك لعله يُدرك ما ترمي هي إليه من البداية، تهللت أساريره ووجد نفسه يذهب تجاهها دون تفكير كالعصفور الذي وجد باب القفص مفتوح دون رقابة، انزوى بها بعيدًا عن أصدقائها بعدما استأذنهم ليتحدث معها، كان حديثًا يغلفه الخجل لكن فارس شد رباط الشجاعة وأخبرها أنه كان لا يؤمن بالحب من أول نظرة كونه شيء صعب أن تقع في حب شخص لمجرد أن تقع عينك عليه لثواني معدودة، لكنه الآن أدرك أنه شعور قوي جدًا من الصعب فرض السيطرة عليه، أشاحت تلك الفتاة بعينيها بعيدًا،

شعرت بارتباك واضح وجفاف مفاجيء في الحلق، تمنت لو تختفي الآن ولم يتبقى منها شيء لأنها لم تصمد طويلاً أمامه، شعر فارس بذلك فأخفض جرعة الغزل الذي يسكبها في أذنيها منذُ أن تحدث معها، طلب منها رقم هاتفها الخلوي ثم تركها وانصرف بعدما انتزع منها وعدًا بأنه سيلتقي بها قريبًا ليتحدث معها أكثر.

توطدت العلاقة بينهم سريعًا لأن فارس وجد فيها كل ما يفقده في أسرته خاصة مع أبيه، وجد فيها كل ما يتمنى أن يأخذ منه جرعات مضعفة ليصل في النهاية إلى حلمِه الذي يتمنى الوصول إليه منذُ نعومة أظافره، وهبته من كنوز الحياة ما لم يعشه فأدمن صوتها ولقاءها، عَاقر وجودها في حياته التي كانت لن تصلُح بأي حال من الأحوال من دونها، كانت تدفعه دفعًا تجاه أحلامِه، كان دائمًا يأتِه صوتها من أعلى درجات الشجن فأصبحت هي كل شيء وصارت حياته مبهجة بشكل غريب معها.

الحب مثله كمثل المُسكِرات تحتاج إلى المزيد منه كلما اعتدت على الجرعة المقدمة إليك، بعد شهور من تلك العلاقة التي تخطت حاجز الصداقة بكثير دون الإفصاح من أي طرف بذلك وجد فارس أنه بحاجة إلى الزواج من تلك الفتاة التي جعلت لحياتِه أبعادًا واضحة، عرض الفكرة على حبيبته فأخبرته بعد مرور موجة عاصفة من الخجل والسكون واحمرار الوجه وتفادي تقابل العينين.

- في مشاكل كتير هتقابلنا يا فارس.

- مشاكل أيه ؟؟

- أولًا أنت لسه طالب يعني بتاخد مصروفك من باباك، مفيش ليك أي دخل بعدين أنا مش عاوزة بابا يرفضك وترجع تاني تتقدم لي بعد ما تظبط حالك، مش عاوزة أحرقك قدامه.

كلامها الذي يرتفع فيه صوت العقل لا غُبار عليه لكن الحالمين لا يفكرون هكذا، لن يشغلهم التفكير في المعوقات أو الظروف الغير مهيئة لهم، هم لا يرون سوى أحلامهم التي تتخطى حاجز كل شيء.

أصر فارس على لقاء والدها مهما كانت النتائج، التقى به ولكن حدث ما كانت تخشاه الفتاة، نَهَرَهُ ووبخه بشكل مبالغ فيه ووصفه بأنه شخص أهوج لا يعي لأفعاله وتصرفاته، طرده من المنزل مُحذرًا إياه بعدم العودة إلى هنا وإلا قطع رأسه وعلقها على باب الشقة، ما حدث من والدها جعله يتمسك بها أكثر وأكثر فلم يجد أمامه سوى الحديث معها عن الزواج العرفي الذي سيجعلها قريبة منه ويضمن بقاءها بجوارِه، في البداية كانت الفكرة مرعبة وحصدت كثير من الرفض لدرجة أنها قاطعت الحديث معه لأيام، لكنها في النهاية استسلمت للفكرة لأنها أدركت أنه يحبها بشكل لم يعد موجودًا في ذلك الزمان، تمت الزيجة سرًا وباتت الفتاة زوجةً لفارس.

مرَّ أربعة أشهر وتم ترشيح فارس لدورة الألعاب الأولومبية القادمة بشرط أن يفوز في بطولة الجمهورية التي ستُقام بعد أيام، استقبل فارس الخبر بسعادة بالغة أدت إلى ارتفاع منسوب الأدرينالين، شعر في الوقت نفسه أن هذا النجاح يجب أن ينسبه إلى زوجته التي منذُ أن عقد قرانه عليها لم يأتِه سوى كل خير علاوة على أنها كانت لها لمسة خاصة تجعل كل شيء مختلف على عكس والده الذي استقبل هذا الخبر بلا مبالاة مبالغ فيها بعد أن أخبره بأسلوب جاف أنه لن يفوز بها لأنه مجرد فاشل متحزلق لا يستطيع إرضاء أباه.

يوم البطولة كان هناك عدد كبير من الحضور وكان مروان بصحبة فارس داخل غرفة الملابس، يجوب تلك المسافة الصغيرة التي يقف

فيها مروان عشرات المرات، مروان يحاول يهدأ من روعه لكن فارس أخبره أن هذه البطولة ستحدد مستقبله لأن في حالة فوزه سيتم ترشيحه إلى الأولمبياد، اقتحم الغرفة شخص ضخم في شارب كث، يرتدي ترنج رياضي أحمر، أمر فارس باستبدال ملابسه لأن البطولة على وشك البدء، خلع فارس الشنطة التي يرتديها على ظهره وأعطاها إلى مروان بعدما أخرج هاتفه الخلوي، كتب رسالة نصية إلى زوجته يخبرها فيها بأن تدعو له بالنصر وأن تكون متواجدة أمام عينيه وهو يستلم الجائزة، سأله مروان ماذا يفعل فطلب منه أن يُمهلُه ثوانٍ معدودة، تهللت أساريره حينما ارتفع صوت أنين الهاتف الخلوي فقد وصلته إجابتها في رسالة نصية أعطت له الدفعة التي كان ينتظرها، ما يحكيه فارس الآن فسر إلى مروان تصرفه الغريب قبل بدأ البطولة.

بعد انتهاء المسابقة تحديدًا وقت استلام الجائزة لم يجد فارس زوجته تجلس في مكانها، انتابه شعور بالضيق والسخط فكيف لا تجلس لتشاهده وهو يستلم الميدالية وكيف لا توثق هذه اللحظة بكاميرا الهاتف الخاص بها، ارتفع منسوب الغضب لديه مما جعله متجهمًا وقت استلام الجائزة.

حاول فارس الاتصال بزوجتِه بعد استلام الميدالية عدة مرات لكن الإجابة كانت واحدة، الهاتف مُغلق، استمرت هذه الرسالة لمدة زادت عن ثلاثة أيام متتالية شعر فيهم فارس أن روحه تُسحب تدريجيًا من جسده الذي فقد كيلو جرامات في هذه الفترة الزمنية القصيرة التي تركته فيها زوجته فريسة سهلة للقلق يلتهمه بسادية.

ارتفع أنين هاتفه الخلوي في اليوم الرابع برقم غير مسجل، أتاه صوت زوجته بمجرد أن أجاب على المكالمة، عنفها في بداية الأمر وأخبرها أنه كان على وشك الذهاب إلى بيتها مهما كلفه الأمر لولا تدخل عقله في

الوقت المناسب ليصب في أذنِه صوته الرصين ويُخبره بأن ما ينوي فعله لن يجلب لهم سوى المشاكل .

- اسمع يا فارس، أحنا لازم نبعد فترة، في شوية مشاكل عندي ومينفعش نكون جنب بعض .

- مشاكل أيه دي !!

- مش مهم مشاكل أيه .

- يعني أيه مش مهم أنتِ ناسية أنك مراتي ولا أيه .

- فارس أرجوك متضغطش عليا أكتر من كدة .

- حرام عليكي، أنا حياتي كلها بقت مرتبطة بيكي، مينفعش تبعدي عني ، أنا خلاص بيني وبين حلمي خطوة ، أنا كدة هضيع .

- صدقني يا فارس لو فضلنا زي ما أحنا هضيع أكتر، هنبعد فترة صغيرة وبعدها هتفهم كل حاجة، متحولش تكلمني موبيلي هيبقى مقفول وأوعى تيجي عند البيت لأن بجد هتبقى مشكلة كبيرة ، سلام .

أغلقت الهاتف حتى من دون أن تستمع إلى رأيه ، أغلقت الهاتف وتركته مُعلق على سنابك البؤس حتى الصباح، رأسه تخمرت بكل الأفكار السوداء وجرى الشك في عروقِه مسرى الدماء لكنه مقيد، لا يملك أن يفعل شيئًا .

عاش فارس ساعات حارقة يغلفها الألم، لم يطق صدره تحمل كل ما يحدث دون وجود رفيق يحمل معه تلك الهموم التي ضاق بها صدره فلم يجد سوى لفافات التبغ فقد سمع ممن عاقر تدخينها بأنها تُخرج الهم القابع على الصدر وتُعينك على التفكير، حجة شيطانية ابتدعوها للهروب من مشاكلهم التي وجدوا أنفسهم فيها .

لم تعُد لفافات التبغ تُحدث تأثيرًا ملحوظًا مع فارس بعد المداومة على تدخينها، أصبح يريد شيئًا يُغيب عقله ويُزيح هذا الهم القابع على صدرِه فدخن أول لفافة تبغ مُطعمة بكسرات نبات الحشيش ثم عاقر تدخينه ليهرب من واقعه حتى وفاة والده.

أنهى فارس قصته التي طلب مروان الاستماع إليها فهز رأسه قليلاً وظل ينظر له دون كلام، مروان كان يلاحظ أن فارس يتقوس على ذاتِه كلما تحدث عن زوجته التي دمرت حياته كما دمرت إيفا براون هتلر من قبل.

- عرفت بقى يا مروان ليه قولتلك إن أصعب حاجة في الخيانة بتاعتي أنها جت من أقرب الناس ليه، عرفت بقى ليه لما دخلت المصحة بعد البطولة بتاعتي خرجت لقتني كدة.

سحب مروان دخان من لفافة التبغ وزفرها وهو يهز رأسه بـ « نعم »

- عرفت بقى يا مروان أنا ليه وصلت للي وصلتله ده، أكتر واحدة أنا حبتها وفضلتها على كل البنات ووثقت فيها عملت فيا كدة.

- اللي حصل ده نصيب يا فارس مش أكثر.

- لا يا مروان، التمسك باللي بتحبه قرار مش نصيب، الطرفين يجيبوا أخرهم الأول وبعدين يقولوا نصيب، واضح أني أنا اخترت غلط من البداية وكفاية لحد كدة بقى، لازم أنساها وأفوق لنفسي ولأسرتي اللي بقت مسئولة مني.

طبطب مروان على كتفِه بهدوء.

- أنت كدة صح يا فارس، أقفل الشباك اللي بيأذيك مهما كان المنظر منه جميلًا، دي أول خطوة من خطوات النجاح.

❁❁❁



(16)

يوسف لا يزال ضيفًا عند هؤلاء الذين أتخذوا من البلطجة أسلوب حياة لهم، يجلس في مندرة عائلة الدِروي ليقطع رأس الرجل الذي قام بتصويره ليضع مكانها رأس الدكتور مصطفى الذي على خلاف شديد مع سيف وضع الصورة باحترافية عالية فبدا وكأن الدكتور مصطفى غارق في نشوته مع تلك الساقطة متفجرة الأنوثة، لا تستطيع كشف حقيقة الصور المُلفقة حتى ولو كنت تملك عين خبير بسبب التناغم الكبير بين أجزائِها، الفضل يعود إلى خبرة وحرفية يوسف، انتهى من عمل الصور بعد عدة أيام من الجهد والعمل، عرضها على كبير عائلة الدِروي فصفق له لا إراديًا من فرط موهبته، أثنى عليه ثناءً حسنًا مؤكدًا له أنه يمتلك من المواهب ما يجعله يسكن في أرقى الأماكن بالعاصمة.

- أنا كدة خلصت كل اللي مطلوب مني ، الصور معاكم أهيه زي ما طلبتوها، أديني بقى العقد والشيكات علشان أتكل على الله.

نظر الرجل الأشِر إلى خوليو قبل أن يُعاود النظر إلى يوسف ويتحدث معه بهدوء.

- الصور حلوة وشغلك حلو، بس في تعديل صغير في الخطة.

- تعديل أيه.

- الصور اللي أنت عدلتها دي هتطلع كمان كام يوم في الإعلام بعد

ما هتتحط على النت، هيتعمل حرب شرسة أوي على الدكتور صاحبها، نضمن منين بقى أن ضميرك مش هيصحى وتطلع تقول الحقيقة.

- عاوز تقول أيه؟

- عاوز أقول أن الشيكات والورق هيفضلوا معانا لحد الحرب دي ما تخلص علشان نضمن أننا نسمع صوت ضميرك وهو في سابع نومه.

- لا أنا أخد حاجتي ومش هتكلم لأن كدة كدة أنا هصفي حسابي مع سيف.

برزت قسمات وجهه الحادة ونظراته القاسية لتُعلن عن انتهاء المحادثة الودية.

- أنت متهددنيش، وسيف ده لو لمست شعره منه هيكون أخر يوم في عمرك، أنا زي ما جبتك هنا أقدر أجيبك ميت مرة وساعتها مش هتشوفني كدة لا، هيبقى وش تاني خالص.

- طيب وأنا ذنبي أيه علشان تفضلوا ماسكين عليه ورق ممكن يسجني.

- هو أنا مش رديت عليك قبل كدة وقولتلك زيك زي اللي ماشي جنب خناقة وبياخد طلقة ويموت، نصيب وقدر.

عبس يوسف جبهته في ضيق.

- بص يا ابني أنت، أنا لحد اللحظة دي بتعامل معاك بكل رحمة وإنسانية لكن كلام كتير هدفنك هنا ومحدش هيعرفلك طريق، اتكل على الله علشان أنا لو رفعت أيدي عنك وسبتك لرجالة العيلة هتموت.

نظر له يوسف كالثعلب قبل أن يترجل خطوتين إلى الأمام ليصل للمنضدة القريبة من الرجل الأشِر، التقط جهاز اللاب توب من على

سطحها ليضعه في الشنطة، حمل كاميرته وهَمَّ بالرحيل وعلى وجهه يتجسد الغضب، استوقفه كبير عائلة الدِروي بصوته الأجش قبل أن يخطي خطوة واحدة.

- لا أنت هتروح خفيف يا يوسف، هتسيب الحاجة دي للعيلة تذكار.

- نعم !! طب وشغلي.

- روح هات غيرها، اعتبر أنك فديت نفسك بيهم، أنت لو طلع عليك حرامي وثبتك بسلاح هتسبهاله أكيد مش هضحي بنفسك علشنها ... الحرامي ده بقى أحسن مني يا يوسف ... بعدين مش بابا وماما في الخليج يجبولك غيرها.

- أنا مش هسيب حاجة كفاية اللي عمالين تعملوه فيه من ساعة ما جيت المخروبة دي.

اتسعت عيناه قبل أن يحتد صوت كبير عائلة الدِروي.

- المخروبة !!! خوليو.

الكلمة كانت بمثابة تعويذة سحرية جعلت خوليو ومن معه يشهرون أسلحتهم النارية في وجهه يوسف الذي بدأ يغدو مسرعًا بعدما ألقى بالحاسب الخاص به والكاميرا على المنضدة، خرج من المندرة ليعدو بسرعة قصوى داخل شوارع عزبة الدِروي، لا يعرف طريق للخروج لكنه يركض بدافع الهروب من الفخ الذي يظن أن عائلة الدِروي نصبته لهُ للتخلص منه بعيدًا عن مندرتهم، ذلك الظن الخاطيء الذي ارتفع بسببه منسوب الأدرينالين في جسدِه فجعلُه يعدو بسرعة فقدت معها قدماه اتصالها بالجاذبية الأرضية، يقطع الهواء البارد بصدرِه الذي يتقدم قليلاً عن جسده، تعثرت قدماه في قفص صغير مربوط بحبل رفيع كان يلهو به أطفال العزبة قبل أن يتركُه في منتصف الشارع عن غير عمد لتتعثر فيه أقدامه ويسقط على وجهه،

سرعته الكبيرة التي كان يعدو بها جعلتُه يتقلب على جانبية مسافة لا تقل عن متر ونصف المتر كبرميل تُرِكَ حرًا على مُنحدرٍ مائل، استعاد توازنه بعدما أصيب في ساقِه بجزعٍ نتج عن سقوطه الغير متزن لكنه أجل التأوه إلى وقتٍ لاحق، تابع الركض السريع جدًّا مُتجاهلاً صراخ جهازه العصبي وهو يُخبرُه بأصابة قدمه، وجد نفسه أمام شارع رئيسي تمر منه السيارات، استقل سيارة أجره، ألقى بنفسِه على مقعدها الخلفي بعدما أخبر السائق بمحل سكنِه، أستند برأسه على المقعد، ثغرِه مفتوح عن أخرُه ، يُحاول أن يلتقط أنفاسه برئتين مُليئت شُعبها الهوائية بدخان السجائر، قلبه الذي شاخَ على الرغم من أنه لم يُغادر العشرينات ينبض بقوة كبيرة جداً مُحاولاً ضخ الدماء بصورة طبيعية في شرايين ضاقت بتراكم الكوليسترول ومخلفات الطعام الجاهز على جدرانها، ينظر لهُ سائق الأجره عبر مرآة السيارة الداخلية بتوجس ، لا يدري لعلُه مجرم هارب من العدالة، أسنَدَ يوسف رأسه على نافذة السيارة فرمق لوحة زرقاء صغيرة كُتِبَ عليها باللون الأبيض « عزبة عاطف » ، سأل السائق بلهفة شديدة مشيرًا بيديه تجاه العزبة .

– هي المنطقة دي اسمها إيه ؟؟

– عزبة عاطف .

– عزبة عاطف !!! ولا عزبة الدِروي ؟؟

– الدِروي !! أنا بقالي 15 سنة سواق أول مرة أسمع عن منطقة اسمها عزبة الدِروي!!

صرخ يوسف بكل قوة وهو يضرب بكلوة يدُه الكرسي المجاور للسائق وهو يُردد « أنا مبقتش فاهم حاجة، في إيه !!! ، في أيه » ، حالة من الرعب الشديدة تجتاح السائق الذي لا يزال ينظر له بخيفة وتوجس .





(17)

حامد يترجل بتفاخر مبالغ فيه داخل ذلك الشارع الضيق الذي كان يقطن فيه مع أسرته، بتباهٍ وتَعَجْرُف زائد عن الحد قد يلفت انتباه «يافت» ذلك الشيطان الذي يمتطي كتف كل متعجرف فخور، يمشي بين أهالي الشارع كأنه نابليون عائد منتصرًا من أعتى معاركه، يرتدي نظارة شمسية سوداء وبذلة تشعر أنها لا تليق على جسده النحيف، يفوح منه رائحة ذلك العطر باهظ الثمن، أراد أن يظهر أمام الجميع بطلّة مبهرة تختلف عن تلك التي اعتاد عليها جيرانه، يحمل في يديه أكياس كبيرة طُبِع على وجهتها الخارجية ماركات عالمية ومعروفة، يوزع النظرات الشامتة المختبئة تحت نظارته يمينًا ويسارًا على كل ما يقع في مجال رؤيته راسمًا على محياه ابتسامة اغْتِبَاط كأنه ينتقم منهم، قبل أن يصل إلى البناية التي يقطن بها أسرته صدمه رجل عجوز قد انحنى ظهره، يتكأ على عكاز خشبي بُرِي من الأسفل، طقطق حامد بصوتٍ مسموع وانتفض ينظف ملابسه كأن مسه وباء قاتل، نهر ذلك العجوز بأسلوب لا يحتوي على ذرة احترام واحدة، أطال ذلك العجوز النظر تجاهه قبل أن يفوض أمره إلى الله جهرًا وينطلق في طريقه، أشاح حامد وشرع يصعد درجات السُلم الداخلي للبناية وهو يسب ويشتكي من ضيق السُلم وعدم نظافته، وصل إلى شقة أسرته، حاول قرع الجرس بأطراف أصابعه فلم يستجب له ويصرخ لينبه الجميع بانتظارِه على الباب، تحدث إلى نفسه بغيظ إنه

يحتاج إلى صيانة مثل كافة الأشياء الموجودة تحت سقف تلك الشقة حتى أسرته، زفر بتململ شديد قبل أن يُخرج منديل من جيبه، غطى به كف يده قبل أن يطرق على الباب خشية من أن يلتصق به ذرات التراب التي تكسوه بالكامل ، ارتفع وقع أقدام أخته وهي تقترب من الباب وتطلب من الطارق الانتظار فهي في الطريق إليه، تعالى الترحاب وسالت دموعها فرحًا بمجيء أخيها الذي لم تره منذُ أن ترك البيت وخرج، حاولت أن ترتمي في أحضانه فوجدته يتحاشاها ويبتعد عنها، فوجئت به يُخبرها بطريقة قاسية واضحة الدلالة أن ملابسه قد تتسخ إذا لمستها بجلبابها التي تقضي بها معظم متطلبات المنزل، كُسِر قلبها وشعرت بحزنٍ شديد، مرت عليها ثوانٍ ثقيلة جدًا بعدما دهستها كلمات حامد القاسية، دلف إلى داخل الشقة ووضع الأكياس على سطح الترابيزة التي تتوسط الصالة في اللحظة التي خرجت فيها والدته من المطبخ، التقط عيناها بعينيه التي لا تزال تتوارى خلف نظارته الشمسية، اختلط بداخلها شعور الاشتياق إليه مع الحزن الشديد الذي سببه لها بعدما نهر والده بتلك الطريقة الفَظّة، أرادت أن تظهر أمامه بثبات لعله يشعر ويعود إلى صوابه، ببرود وتعالي زائد ألقى عليها السلام فسألته عن السبب الذي جعله يأتي إلى هنا .

- جي علشان أزوركم ، أيه بلاش ؟!

قالها بتجهم .

- مفيش زيارة ولا لينا معاك كلام إلا لما تراضي أبوك .

- أبويا !! هو فين أبويا ده ، أبويا مات من زمان .

قالها بجُحُود شديد قبل أن ينتزع النظارة عن عينيه فصرخت في وجهه .

- حامد ، يا تتكلم كويس عن أبوك يا أما وديني هطردك تاني .

- يا ماما أهدي كدة وأفهميني، الأب هو اللي يصرف ويعلم تعليم نظيف مش اللي يخلف، واللي بقول عليه أبويا ده معمليش حاجة، مخدتش منه غير الفقر وقلة الحيلة، يبقى خسارة فيه كلمة أبويا أساسًا.

- أخرس، أنت أصلك جنس خسيس مش بيطمر فيه.

- خسيس، هو أنا لازم أقول عليه أب زي الفل علشان أبقى كويس، لازم أبقى منافق علشان تحبوني، مدام كلامي بيوجعكم أوي كدة يبقى أنا صح.

- أنت مش منافق لا، أنت أوسخ من كدة، عارف ليه، علشان أنت ناكر للمعروف وناكر المعروف أوسخ مية مرة من المنافق، اطلع بره، بره.

- هو أنا كل ما أكلم حد يقولي بره، هو أنا جي أشحت، أنا جي أزوركم، بَصِل الرحِم وجايبلكم هدايا وحاجات عمرها ما كانت هتدخل الشارع مش البيت.

- الله الغني عنك وعن حاجاتك، خد اللي أنت جيبه ده وغور من هنا.

- أعقلي يا ماما ومتبقيش فقرية زي اللي مخلفنا.

تكهربت الأجواء وصارت حالة من الجنون فور سماع تلك الجملة، هرعت تجاه سطح المنضدة وراحت تلقي الأشياء التي ابتاعها حامد على الأرض بكل قوة وهي توبخه وتدعو عليه جهرًا، أشاح لها قبل أن ينصرف وهو يُتمتم بكلام مُسيء يتهم فيه أفراد أسرته بأنهم أصابهم الجنون بسبب الفقر والاحتياج الشديد، اقترب من باب الشقة فوجد والدته تبصق عليه وتعمدت أن يكون صوتها مرتفعًا حتى يرتطم بأذنيه، التفت إليها بطرف عينيه، نظر إليها باشمئزاز قبل أن يجلس القرفصاء ليلتقط الأكياس التي قد ألقتها، أخته لازلت تحت تأثير الصدمة تعاني من آثار الدهس، تنتصب مكانها بوجه تاهت منه كل معالم الحياة،

قبل خروج حامد من الشقة استوقفه نداء والدته، استمع إليها دون أن يولي وجهه شطرها فأخبرته بنبرة صوت يتضح بين ثناياها الضجر.

- متجيش هنا تاني يا حامد، مش عاوزه أشوف وشك ليوم الدين.

ابتسم بسخرية ثم خرج من الشقة وهو يلعنهم سرًا فقد عبثت الأموال بقلبِه وعقلِه فأصبح كالقطار يدهس كل من يقف في طريقه.

****

مروان يجلس في سيارته المتوقفة بالقرب من الشارع الذي يقطن فيه حامد، يستمع إلى أغنية شعبية بانسجام شديد لدرجة أن صوته يرتفع جدًا في كلماتها المعبرة عن حالته، لمح في مرآة الجانب الأيمن أن حامد يقترب من السيارة، يتجسد على هيئته غضبًا جمًا، يزفر حممًا بركانية ساخنة تحرق كل شيء يقع في مجالها، بعصبية مفرطة فتح باب السيارة وأنزلق في الكرسي المجاور لمروان الذي اصتنع ردود أفعال توحي بالقلق، سأله عما أصابه فزفر حامد مللاً ثم قص عليه ما حدث بعدما أصر مروان الذي استقبل كلامه بدهشة مفتعله.

- طب ليه كل ده، أنت زعلتها؟

- ما أنا حكتلك يا مروان، كلامي مكنش في حاجة خالص.

- غريب أوي رد الفعل الصراحة.

نظر إلى حامد الغارق في دوامات التوتر وأراد أن يوكزه بكلامٍ خبيث حتى يُزحزحه تجاه ما يريد.

- ما يمكن يا حامد الفلوس مش لايقة عليك.

كلمات مروان السامة قد بلغت بحامد مداها، احترقت أعصابه وخرج عن الإطار، أجابه بلهجة عنيفة أنه خُلِق فقط من أجل حياة

رغدة كريمة، فقط تفكير أبيه العقيم هو ما جعله يعيش في ضُمُور و بُؤْس لسنواتٍ لن يعود إليها مرة أخرى مهما حدث، ابتسم مروان بمَكْر شديد قبل أن يستأنف بث سمِه القاتل في عروق حامد .

- أجمل حاجة عجباني فيك يا حامد هي الإرادة وعدم اليأس، روحك القتالية دي هي اللي هتخليك تعدي وتبقى واحد تاني في فترة قصيرة أوي.

ظهرت زاوية من خلال كلام مروان يتمكن حامد من خلالها العبور إلى ما يريد الحديث عنه، أخبره بنبرة صوت حزينة بعض الشيء أنه سئم ذلك المكسب الضئيل الذي لم يعد يُكفي احتياجاته ورغباته فشهيته غدت مفتوحة بشكل موحش، يريد كسب المزيد والمزيد من المال، أخبره أنه يريد مكسب يجعله يمتلك سيارة خاصة فهذا حلم يراوده منذُ بلوغِه سن الرشد، يريد أن يصبح غنيًا ويتحول إلى رجل من هؤلاء الذين يتحدثون عنهم مدربي التنمية البشرية في قصص النجاح بعدما يبتروا الجزء السيء منها، أخبره أيضًا أنه لا يهتم كثيرًا بالطريقة التي سيصل بها أهي شرعية أم لا؟ المهم بالنسبة له هو الوصول فقط ، ابتسم مروان بمُخَاتَلَة شديدة.

- بس اللي أنت بتقولوا ده عمره ما هيجي ببيع الحبوب والمسكنات .

- يجي ببيع أي حاجة يا مروان إن شالا أعضائي، المهم يبقى معايا فلوس أتنطط بيها على كل واحد كان شايفني على أد حالي، عاوز أشتري كل حاجة نفسي فيها علشان أشوف نظرات الغيظ في عيون كل واحد كان شايفني فقير، عاوز أقول الحمد لله بنفس يا مروان .

هشت ملامح مروان ولانت بشكلٍ ملحوظ ، سأله حامد عما دفعه لذلك .

- مستغربك يا حامد، عندك تسرع ولهفه غريبة مشفتهاش على حد .

– من اللي شفته وعيشته يا مروان، أبويا الله لا يسامحه خلاني أشوف احتياج مشفتوش بحياتي.

– ليه يا حامد أبوك لا أول ولا آخر واحد يبقى فقير.

– أبويا غبي مش فقير، لو كان عاوز يعمل فلوس كان عمل، ما أنا أهو في وقت قصير عملت فلوس هو معرفش يعملها في عمره كله، عارف ليه علشان أنا قررت أبقى زي الدب يا مروان، إنما هو فضل حاجة تانية.

– بس خد بالك أنت فلوسك حرام.

ابتسم حامد بسخرية إلى حدٍ ما.

– آل باتشينو كان بيحكي مرة قصة حصلت معاه وهو طفل بيقول كنت عايش مع أسرة فقيرة وكان نفسي أوي في عجلة زي أي طفل فضلت أدعي ربنا وأدعي وأدعي وأتمنى لكن في النهاية كانت أن مفيش عجلة بعدين أدركت أن الدنيا مش بتتاخد بالشكل ده فسرقتها بعدين طلبت من ربنا أنه يسامحني، فأنا ناوي أستغفر ربنا يا مروان على الفلوس الحرام وأطلع منها ذكاة كمان بس بعد ما أوصل للي أنا عاوزه الأول، سيدنا عليّ قال ذُقت مرارات الدنيا فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس، وأنا بالنسبة ليه الحاجة للناس يعني الفلوس.

– ماشي يا حامد وأنا هساعدك تجيب فلوس بسرعة وكتير بس المرادي أخطر من كل مرة علشان هتنقل بُدره، دي بقى عاوزة أسد مش دُب علشان دي مكسبها فوق فوق ما تتخيل.

زاغت عين حامد وسال لُعابه قبل أن يطلب من مروان إتمام الأمر في أسرع وقت لأنه يشتاق لمثل هذا المكسب خاصة حينما أعطاه مروان ورقة بأسماء أشخاص ستبتاع منه ذلك المُخدر.





(18)

مروان يقود سيارته بالقرب من منطقة المقطم عبر طريق شبه مظلم يتلوى بين ارتفاعات صغيرة تشح بها البنايات السكنية حتى إنها بالكاد لا توجد وما وجد منها كان تقريبًا مهجورًا بلا قاطنين فقط بنايات معتمة خلت من كل معالم الحياة، حامد يجلس بجوار مروان في حالة امتزج فيها الفرح مع القلق الشديد والتوتر، يتجول بعينيه عبر النافذة المغلقة لتلك الصحراء المعتمة التي تندر بها الحياة، توقف مروان بالسيارة بالقرب من منزل مكون من طابق واحد لا يبدو مهجورًا كباقي البنايات المجاورة له، منزل مُضاء من الداخل بإضاءة خافتة بعض الشيء، هبط حامد من السيارة ليصتدم بأذنيه هزير الرياح الشديد، على هدى تلك الإضاءة الخافتة التي تصل إليهم على استحياء من داخل المبنى ترجل مروان وخلفه حامد يتبعه، سأله حامد عن ذلك المكان الغريب المهجور.

– يا بني أنت جي تتفق على صفقة بُدرة هو أنا جي أشغلك في كارفور.

دون أي مقدمات انقض على السيارة رجلان، الأول لم تعرف عضلات وجهه سوى الانقباض والثاني وجهه بمثابة برقية تاريخية تحكي تاريخ الكثير والكثير من المعارك الإجرامية التي لا يزال يحتفظ بآثارها، فزع حامد من هيئتهم ومن الطريقة التي نتأوا بها من العدم، لانت ملامحهما قليلاً ورحبوا بـ «مروان» بمجرد أن وقعت أعينهم عليه، أخبروه أن

كبيرهـم ينتظـره بالداخـل منـذُ سـاعة تقريبًا، أمـاء لهـم بهـدوء ودلـف تجـاه المنـزل .

- أنت إزاي معروف أوي كدة عند الناس دي؟!

- يلا علشان الراجل مستني من بدري وسبق وقولتلك الفلوس اللي عندنا دي كلها مش من الدعايا والإعلان وبس .

ترجل مروان بصحبة حامد حتى وصلوا إلى البناية، دخلوا وسط تلك الأجواء المثيرة للرهبة حتى أدركوا شاب ثلاثيني يجلس على كرسي وثير ويدخن الأرجيلة، نهض واقفًا وصافح مروان بحرارة ثم صافح حامد وعيناه تضيق وهو يتفحصه لدقائق قابضًا على يديه في المصافحة التي طال وقتها .

- شكلك طموح وعاوز توصل .

قالها بلهجته الصعيدية لحامد .

هذا الشاب الثلاثيني ذو الشارب الكث لا تختلف هيئته كثيرًا عن تجار المخدرات الذين نراهم على شاشات السينما، أخبر حامد بلكنته الصعيدية العتيقة أنه يحتاج إلى نقل كمية من البودره تمهيدًا لتوزيعها مقابل مبلغ مالي كبير ، سأله حامد وتفاحة آدام تتحرك في حلقه هل هو لا يمتلك رجلاً واحدًا يقوم بتلك المهمة، ابتسم الشاب وسحب نفس طويل من الأرجيلة أخرج على أثره خطين من الدخان وهو يُجيبه بأن جميع رجاله أصبحوا معروفين لدى الشرطة وهو يحتاج إلى وجوه جديدة لذلك عرض ذلك المبلغ الكبير ، أخبره أيضًا أنه من الممكن أن يأتي بأي شخص أخر لكنه وافق عليه بسبب الحاح مروان بشدة .

- أنا مقولتش حاجة أنا بس بفهم .

- من غير فهم هي مهمة سهلة هتنقل البودره وتاخد فلوس .



- تمام .

أغلظ صوته فجأة .

- أنت هيبقى معاك بُدرة بملايين وديني لو فكرت تُغدر .

أخرج سلاح ناري ووجهه إلى رأس حامد فارتعدت فرائصة ، تدخل مروان لتهدأت الأمر .

- مفيش غدر ولا حاجة يا كبير والله حامد ده أنا ضامنه، هو كل اللي يهمه الفلوس مش أكثر، إن شاء الله هو هيسلم البودره ويجبلك الفلوس وياخد نسبته .

- الفلوس مفيش أكتر منها المهم الأمانة .

- الأمانة موجودة المهم حامد بقى هيستلم البودره فين ؟؟

- في حي الياسمين، منطقة صحراوية شبه فاضية بس عاوزة قلب ديب .

****

بعد ثلاثة أيام

هبط حامد من البناية التي استأجر بها شقته الصغيرة التي يعيش بها الآن وعلى ظهره شنطة كتلك التي يرتديها طُلاب المدارس، هبط درجات السُلم بقدميه المرتعشة المرتبكة من تلك الخطوة التي يقدم عليها، ترجل في تلك الساعة المتأخرة من الليل في ذلك الشارع الهادىء، استقل مترو الأنفاق، إنه القطار الأخير، عربة المترو فارغة إلا من رجل أربعيني ورجل أخر دفعه إرهاق العمل للنوم العميق، رمقه ذلك الأربعيني والإضاءة تتوهج وتختفى على وجه حامد الجالس بجوار النافذة، ارتاب حامد في الأمر فارتدى « الكابيتشو » على رأسِه ليُخفي

ملامحه قدر المستطاع، وصل القطار إلى محطته الأخيرة ب « حلوان » ، هبط من القطار الشبه فارغ ، رمق بطرف عينيه عقارب الساعة الكبيرة المُعلقة في المحطة التي يستعد من بها لغلقها والرحيل، خرج من بوابة المحطة والإضاءة تخف تدريجيًا من خلفِه، خرج يتلفت يمينًا ويسارًا فهو يشعر أنه هناك من يتتبعه، بعد خمس دقائق وصلت سيارة أجره اختلط فيها اللون الأسود مع الأبيض على واجهة السيارة وعلى رأس سائقها ذو الجسد الضئيل الأسنان النخِرة، توقف بالسيارة أمامه مباشرةً، يبدو أنه هو السائق الذي أخبره به الشاب الثلاثيني، أنزلق حامد بجوارِه بعدما تبادلا النظرات الطويلة حتى اطمأن كل منهم للأخر، تحرك ذلك العجوز بالسيارة وبعد عشرة دقائق بدأ يتحدث مع حامد الذي يهز قدمه بشكل هستيري، نصحه بخبرة طويلة لا يُستهان بها بألا يُظهر ذلك التوتر الشديد إذا صادفهم لجنة أو كمين حتى لا يرتاب أحد في أمرِه، أماء له حامد دون أن يتنازل عن قيراط واحد من ذلك الأرتباك الذي يغلفه من كل جانب، يتحرك ذلك العجوز بالسيارة عبر طريق صحراوي شبه خالٍ، الهواء البارد يضرب السيارة بكل قوة، اقتربوا من حي الياسمين، اتخذ سائق الأجره طريقًا جانبيًا ابتعد به عن كل المناطق السكنية، الرؤية تتعذر بسبب الظلام الذي يغلف كل شيء من حولهم، لا يظهر على جانبي الطريق سوى الأراضي الشاسعة الخالية من كل شيء عدا أشباه البنايات التي لم تكتمل، ظلوا على هذا الطريق المُظلم حتى وصلوا إلى منطقة جبلية، توقف السائق بالسيارة فهدأ الموتور تمامًا، لا صوت يعلو سوى صوت تلك المروحة التي تجاهد لتبريد جسم الموتور، سأله لماذا توقفوا هنا فأخبره أنه المكان المتفق عليه، ثوانٍ قليلة حتى وجد فوهات سلاح ناري تقتحم عليهم السيارة عبر النافذات المفتوحة، حامد والسائق باتوا في وضع الاستسلام التام، رفع كل منهما يده إلى أعلى قبل أن يأتي إليهم

رجل يرتدي جلباب صعيدي، انتقل بعينيه بين الصورة الظاهرة على شاشة هاتفه وبين وجه حامد الغارق في الخوف، طلب منه أن يلقي نظرة على النقود التي بحوزته، خلع حامد الشنطة المعلقة على ظهره وفتحها أمام عين الرجل الصعيدي الذي أماء له قبل أن يعطيه كيس بلاستيكي كبير به مسحوقًا أبيض .

****

يتحرك السائق في طريق العودة مرة أخرى ولكنه هذه المرة لم يتخذ نفس الطريق الذي ذهب منه ، أثار ذلك فضول حامد .

– أحنا ليه مرجعناش من نفس الطريق الضلمة اللي جينا منه .

– خوفت يكون حد مراقبنا فقولت خلينا في الآمان .

– ربنا يستر .

– أهدى بقى علشان فيه لجنة .

– يا نهار أسود .

– لا بقولك أيه أهدى علشان محدش يشك فينا ، أنت زبون عادي وأنا سواق تاكسي خليك طبيعي وأجمد .

اقترب العجوز بسيارته التي لا تختلف عنه كثيرًا من اللجنة التي تقطع عرض الشارع، يرتص أمناء الشرطة والعساكر بشكل يثير الرهبة والخوف، اللمبات تدور برتابة موزعة إضاءتها الحمراء والزرقاء على وجه العجوز وكذلك حامد، اقتربوا من اللجنة فأشار لهم أمين الشرطة فتوقف العجوز، طلب من السائق رؤية رخصة السيارة والقيادة، بعد الاطلاع عليهم وقعت عيناه على حامد الذي يجاهد كي يبدو طبيعيًا لكن ملامح وجهه وقدمه التي لم تتوقف عن الاهتزاز لم تعنه على ذلك،

ارتاب الأمين في الأمر فطلب من حامد النزول، بقدمٍ لا تساعده حتى على النهوض وقف بجوار السيارة يرتعش لا إراديًا كأنه بحاجة ماسة للتبول في الوقت الذي ظهر فيه نقيب شرطة في زيه العسكري، اقترب من حامد وعيناه على شنطة الظهر الذي تركها على الكرسي كأنه يعرف ما بداخلها جيدًا، أمره أن يأتي بها، نظر له حامد فوجده ذلك الشاب الثلاثيني الذي طلب منه إحضار البودره من الأساس، تيبس حامد مكانه وظل ينظر له طويلاً دون أن يتحرك، أمر النقيب الأمين إحضار الشنطة له بعدما تخلى عن لهجته الصعيدية التي كانت جزء من خطة وضعها بمساعدة مروان، أعطاه الأمين الشنطة ففتحها وهو يعلم جيدًا ما بداخلها وسط نظرات حامد التي تُحاول أن تُكذب كل ما يراه الآن.

❋❋❋





(١٩)

سيف يترجل بصحبة سلمى داخل الحرم الجامعي ، ينحني سيف قليلاً وهو يشكو لها تأخره الدراسي الذي سيُطيح به بكل تأكيد من كشوف الأوائل وبالتالي لن يصبح معيدًا في الكلية كما كان يخطط لذلك من البداية، طأطأت سلمى رأسها بحزن ورائحة الأفعال الخبيثة التي تفعلها معه تفعم أنفها، هي تدرك جيدًا بأنها السبب الرئيس فيما يحدث له حتى ولو كانت مضطرة لذلك، لن تستطيع طمس صِراخ ضميرها طويلاً، لن تتحمل وِزر ما تفعله مع ذلك المسكين الذي حل الدمار بمستقبله، سلمى لا تتوقف عن جلد نفسها وتعنيفها منذُ أن زج بها مروان في هذه المهمة التي ستنتهي بنسف مستقبل هذا الشاب الصعيدي الفقير عاطفيًا الذي لم يجد سواها ليهرب إليه، باتت لا تستطيع تحمل انقباض صدرها الذي ضاق بها من كثرة الهموم المتراكمة فيه ، جفت عيناها من كثرة الدموع التي تنهال منها بشكل يومي قبل أن تخلد إلى نومها، لا حل سوى البوح بتلك الأسرار التي لا تجعلها تعيش بشكل طبيعي، ستخبر سيف بكل شيء مهما كانت النتيجة، توقفت سلمى عن متابعة السير فلتفت لها سيف الذي لم يتوقف لحظة عن الشكوى منذ أن قابلها، التفت لها وقد صمت قليلاً وظل ينظر لها بثبات .

– أنتِ أضايقتي يا سلمى علشان عمال أشتكي .

استجمعت قواها وتسلحت بالشجاعة المطلوبة .



- سيف أنا عاوزة أقولك على سر واللي يحصل يحصل.

- سر !!! سر أيه ؟؟

- سر مهم جدًا بس لازم الأول تعرف أيه اللي خلاني أعمل كدة وأوافق على الموضوع ده ، سيف بصراحة كدة أنا .....

بتر كلامها اقتحام يوسف الذي أنهال بالضرب على سيف فأسقطهُ أرضًا ثم جثى بركبتِه على صدرِه وظل يسدد له اللكمات القوية التي لا رحمة فيها، صرخت سلمى لا إراديًا فلتف الناس حولهم في دقائق معدودة أنهضوا يوسف الذي ظل يصرخ فيهم بأن يتركُوه ينال منه، استطاع بعد عدة محاولات الإفلات منهم والوصول إلى سيف ليُسدد له لكمة أو اثنتين على الأكثر قبل أن يُبعده عنه مسافة لا تسمح لقدمِه الضريرة بضربه، سيف لا يجد تفسيرًا لما يحدث لكنه صرخ في وجه سلمى بأن تنصرف، حاولت البقاء معه لكن ظل يصرخ في وجهها فهرولت بخطوات مسرعة تجاه الباب لتلتقي عيناها بعين مروان الذي ظل ينظر لها ويبتسم بسخرية وهو يهرول تجاه الاشتباك الذي نشب بين أصدقائه، ترقبه سلمى بعينيها الثاقبة وهي تتعهد له برد كل شيء فعله معها أو مع غيرها ، احتضن مروان يوسف وانزوى به بعيدًا عن بؤرة الاشتباك، وضع يده على فمه الذي يقذف الشتائم كالرصاصِ الذي يخرج من فوهة سلاح آلي .

- أهدى يا يوسف مينفعش كدة .

- أسكت يا مروان ، أنت مش فاهم حاجة، أنت متعرفش الواد ده عمل أيه ؟ .

- تعالى بس ، تعالى نتكلم في العربية .

****

يوسف قص على مروان القصة كاملة، ما حدث معه وما أخبره به كبير عائلة الدِروي، حك مروان ذقنه وغمغم قليلاً قبل أن يُخبر يوسف بصعوبة ما حدث وأن سيف يستحق كل ما سيحدث له.

- شوفت أديك قولت أهو، سيبني بقى أنتقم منه.

فتح يوسف باب السيارة وشرع في النزول لكن مروان أمسك به في الوقت المناسب.

- أهدى يا عم رامبو مش كدة، أنت مفكر أنك هتقدر تنتقم منه بالهبل اللي كنت بتعمله ده.

- يعني أيه ؟؟

- الانتقام وجبة لا تُأكل إلا باردة، الانتقام عاوز تكتكة، عاوز خطة مُحكمة تضرب بيها ومحدش يشوف أيدك.

- إزاي يعني ؟

- أقولك أنا أزاي، هو لما عمل معاك اللي عمله ده حد حس بحاجة.

- لا

- حلو يبقى أنت هتتبع نفس الأسلوب.

- أيوة هعمل أيه يعني.

- هقولك أنا، أنت تراقبه من بعيد وهو قاعد مع البنت إياها، اللي كان بيصرخ في وشها وبيقولها أمشي.

- آه.

- وبعد كدة تهدده بيهم وقتها تقعد والشيكات تجيلك لحد عندك.

- تفتكر الصور دي هتهزه يعني.

ابتسم مروان بخبث قبل أن يُجيب.

- متنساش أن في عهد بينه وبين أهله علشان التار، موقف زي ده هيخليه يخاف يخسر أهله، والله عاند وركب دماغه تبعتها لأهله وتقصقص ريشه وقتها هيبقى التفاوض مع عائلة الدِروي هيكون أسهل بكتير، بعد كده بقي سيف هيبقي لوحده أعمل فيه اللي أنت عاوزه.

لمعت عين يوسف.

- تصدق صح، طب والله فكرة عظيمة.

- قولتلك الانتقام عاوز تكتكة، المهم دلوقتي يا عم يوسف تصورهم من غير ما ياخدوا بالهم والصور تجيلي علشان نفكر سوا في الخطوة اللي جيه.

- الصور هتبقي عندك في خلال أيام.

- هو ده يوسف العبقري.

قالها مروان بخبث شديد جدًا.



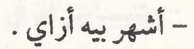


(20)

الأستاذ مُسعد مدير شركة الدعاية والإعلان داخل مكتبه الكبير، يستند برأسِه على راحة يده التي أزاحت شحم وجهه إلى أعلى وهو يُفكر بعمق شديد لماذا هاتفه مروان وطلب منه لقاءِه في أسرع وقت، طلب منه أن ينتظره حتى يأتي إليه وهذا ما جعل مُسعد تحت ضغط شديد، يدفن لفافته الأخيرة التي كادت نيرانها أن تحرق أصابعه في تلك المقبرة الجماعية التي أعدها في مِنفضة السجائر الزجاجية القابعة على سطح مكتبه، فتح الباب فجأة من دون طرق أو تنبيه، انتفض مُسعد واحتدت قسمات وجهه قبل أن يكتشف أنه مروان، بلع ريقه بصوتٍ مسموع إلى حد ما وهو يرمق مروان يتبختر في استفزاز حتى سحب الكرسي القابع أمام مكتبه ليُعدل من وضعيته ويجعلها مواجهة لمكتب مُسعد مثلما فعل في المرة السابقة، جلس مروان بأريحيه ثم طلب منه الجلوس بتعالٍ شديد وثقة وصلت لمرحلة الغرور المبالغ فيه، جلس مُسعد ورأسه لا تتوقف لحظة عن التفكير، ابتسم مروان قبل أن يلقي بقرصٍ صلب على سطح مكتبه، رمق مُسعد القرص بعين يظهر بها الترقب الشديد.

- كنت قولتلك قبل كدة في الزيارة اللي فاتت أني عاوز أطلب منك طلبين واحد أنت عرفته ونفذته والتاني قولتلك خليه بعدين، دلوقتي بقي جه وقت الطلب التاني، الأسطوانة اللي على مكتبك دي عليها صورة لواحد حبيبي أوي عاوزك تشهر بيه وتروقه.





- أشهر بيه أزاي .

رمقه مروان من أسفل إلى أعلى بخبث شديد قبل أن يُجيبه .

- تشهر بيه يا مُسعد زي ما أنا هَشهر بيك كدة لو فضلت تستعبط .

زفر مُسعد بملل شديد، أخذ الأسطوانة ووضعها في جهاز اللاب توب الخاص به لتظهر بعدها محتواها على الشاشة الصغيرة ، إنها تلك الصور التي التقطها يوسف لتظهر بعدما وضع عليها رأس الدكتور مصطفى والد أماني .

- أيه ده يا مروان ؟

- واحد شمال عاوز أمسح بكرامته الأرض ، هتعرف ولا أتصرف أنا معاه ومعاك .

تنهد مُسعد بضجر ثم أماء برأسِه بالموافقة .

- برافو يا مُسعد طول عمري بقول عليك عاقل ودماغك كبيرة، خلي بقى مذيع ولا اتنين من اللي تعرفهم يعمل حملة محترمة كدة ويكلم فيها عن الشرف والمهنية والأخلاق خاصة أن صاحب الصور دي دكتور جامعة ومنتدب عندنا في كُليتي، وكل ما الإعلامي ده يكلم عن الشرف أكثر كل ما هياخد فلوس أكثر، الإعلام ده يا مُسعد سلاح فتاك ممكن يقلب الدنيا على حاجة صح ويقنعك أنها غلط بشرط أنك تعرف تسلط الضوء أمتى بالظبط ومن أي زاوية .

- وأفرض محدش وافق من الإعلامين يعمل اللي أنت عاوزه ده .

- أنت عارف إجابة السؤال ده كويس بس أنا هعمل نفسي مش واخد بالي وهجوبك، حق الموافقة أو الرفض بيجي ديمًا من الناس اللي

مبتغلطش ومفيش وراهم بلاوي وأنت كل الناس اللي تعرفهم وشغالين معاك ما شاء الله مفيش حد فيهم نظيف ده غير البلاوي اللي تحت ادينا لجزء كبير أوي منهم .

– أنت شيطان يا مروان .

– الشيطان ده أتربي على أيد مارد كبير، أنت ناسي أن دي طريقتك في الشغل ولا أيه.

– ماشي يا مروان هعملك اللي أنت عاوزه .

– برافو يا مُسعد، أنا عاوز الدكتور ده ينتهي، عاوز الموضوع قضية رأي عام.

– ماشي يا مروان بس الفيديوهات بتاعتي تيجي بعد انتهاء الموضوع ده .

ابتسم له مروان باستفزاز شديد .

****

مروان يهبط درجات السُلم الخاص بالبناية ، يقترب من سيارته التي تجلس بداخلها أماني، فتح الباب وأنزلق على كرسي القيادة، نظر لها ثم ابتسم بهدوء شديد .

– كل ده يا مروان .

– معلش يا حبيبتي والله خدمة كدة كنت بعملها لواحد عزيز عليا وكله بثوابه .

– خدماتك بقت كتير مع الناس أوي .

– أعمل أيه بس مش بقدر أخلي حد يطلب مني حاجة ومعملهاش .

- خلاص يا مروان بهزر معاك متبقاش رخم ، وعلى فكرة من ساعة ما قولت لبابا على موضوع الواد سيف ده وهو مظبته .

ابتسم لها مجاملاً فأردفت .

- على فكرة أنا لولا أني عارفة كويس هو عمل معاك أيه أنا كان لا يمكن أشترك في لعبة شريرة زي دي .

- شريرة !! أنا مش بعمل حاجة شريرة يا أماني أنا باخد حقي .

قال جملته الأخيرة بنبرة غضب لم تعتد هي عليها .

- عارفة يا حبيبي علشان كدة أنا واقفة جنبك وبساعدك، ده بابا ما صدق أطلب منه حاجة زي ما يكون عاوز يرضيني بس أنا مبسوطة أن الرضا ده جي في مصلحتك .

- أنا أسف يا أماني متزعليش مني، أنا بس مضغوط شوية وعمومًا أنا مقدر جدًا اللي أنتِ بتعمليه علشاني .

- بطل هبل أنا اللي يجي على حبيبي أكله بسناني .

ابتسم مروان قبل أن يقبض أصابع كفيه ويضعهم أمامها وكأنه يقول لها اختاري ما بين الكفين .

- اختاري كف من الاتنين .

- وده ليه ؟

- كل كف منهم في جواه مفاجأة .

غمغمت أماني قبل أن تختار يده اليمنى حيث أنها تتفاءل دائمًا باليمين ، فتح مروان قبضة يده قليلاً ، صنع فتحة بسيطة بالكاد تُمكنه من النظر عبرها إلى داخل يده ، بدهشة كبيرة سألته أماني ماذا يفعل .



- بص على المفاجأة خايف لحسن تطير .

- بجد بقي في أيه قولي .

- أحنا هنتجوز يا ستي في الفيلا بتاعتنا في أكتوبر أول ما تخلصي دراسة، كنت عاوز أخدك أفرجك عليها بس بابا مسافر والفيلا فاضية .

ابتسمت أماني بدلال .

- بتخاف عليا أوي كدة .

- طبعًا يعني لو مش هخاف عليكي هخاف على مين .

أزداد الخجل ظهورًا في وجهها قبل أن تضع يدها على قبضة يده اليسرى التي لم يبسطها حتى الآن .

- أيه بقى المفاجأة اللي في أيدك دي .

- لا دي أتقلي شوية عليها علشان لسه مستوتش، أول ما تجهز أوعدك أنك أول واحدة هتعرفي .

- وهتجهز أمتى بقى .

- قريب ، قريب أوي .

قال جملته الأخيرة وعيناه تضيق بشدة .





(21)

حامد ينزوي في آخر الزنزانة، يتحاشى الجميع كأنه مُصاب بمرضٍ مُعدٍ فيأبى أن يتحدث إلى أحد أو يختلط بأي شخص فقط يترك نفسه يغرق في دوامات التفكير التي طال آلمها رغم قِصَر زمنها، العتمة تُغلف الزنزانة في الساعة المتأخرة من تلك الليلة البهماء التي لا ضوء فيها سوى لذلك الشعاع البسيط الذي استطاع الهروب من باب الزنزانة ليرسم شعاعًا أبيض يكسر قتام المكان، لا يتعامل معه رفقاء الزنزانة سوى بالتوبيخ أو الرفسات منذُ أن جاء إلى هنا، ساءت حالته النفسية جدًا وفكر مرات عديدة في الانتحار لكن لن يتركوه يهرب منهم بالموت فهو بالنسبة لهم كالبقرة التي تدر حليبًا لهم فكلما احتاجوا إلى مال أو هاتفًا أو أي شيء بحوزته ضربوه وأخذوه عنوة علاوة على أنه تحول إلى وسيلة تسلية لهم، حامد يغوص في ذكرياته القديمة التي عاشها مع أسرته الفقيرة، المغضوب عليهم من قبِله، يتذكر كيف كان يصرخ في وجههم بكل قوة ثم ينادون عليه بعد ذلك لتناول وجبة الغذاء، كيف كان يفعل ما يفعله ويصرخ وفي النهاية يحصل على ما يريد ولا يتركه أحدًا منهم يخلد إلى النوم وهو حزين أمَّا الآن فقد أصبح فريسة سهلة تُأكل حية دون أن يكون لديه الحق في الصِراخ، أدرك الآن ذلك النحيف كم كان الله يصرف عنه الأذى، أدرك الآن نعمة الله عليه وهو كالأحمق كان يصرخ ويُغضبهم، دفن رأسه

بين ذراعيه الملفوفة حول قدميه المضمومة إلى صدرِه في وضعية الندم التي يتكوم بها على نفسِه ، بصوتٍ هاديء ضعيف يتحدث إلى نفسِه .

- يارتني كنت قولت الحمد لله .

صوت مفتاح يولج في باب الزنزانة، هذا شيء غير معهود في تلك الساعة المتأخرة، فُتِح الباب وظهر ذلك النقيب الذي قبض عليه والذي أعطاه البودره سلفًا، ظهر أمام الجميع متأنق الهندام، فارت الدماء في رأس حامد بمجرد رؤيته، انتفض وهرع تجاهه لينقض عليه لكنه فوجيء بعدد كبير من العساكر وقد أنهالوا عليه بالرفسات والصفعات الطائشة، اقتادوه إلى مكتب النقيب ليجد هناك مروان في انتظاره .

هرع حامد تجاهه ، حاول أن يحتضنه لكنه فوجيء بمروان يستوقفه بكفِه، حامد لا يفهم ما يحدث ولا يُدرك لماذا يتعامل مروان معه بهذا الشكل في البداية اعتقد أن مروان جاء ليُخلصُه مما هو فيه .

- في أيه يا مروان ، أنت بتعاملني كدة ليه ؟؟

أشار له بالجلوس ولكن قبل ذلك عليه أن يصمت، بملامح وجه مرتبكة جلس حامد على طرف الكرسي المقابل لمروان الجالس بأريحية شديدة، حامد يرمقه بتَلَهُّف شديد، يريد أن يُخبره في أسرع وقت ممكن لماذا تحول على هذه الشاكلة وهو يعلم جيدًا ما حدث، النقيب الذي تورط معه حامد يجلس على مكتبه ينظر إلى حامد مُحاولاً أن يخبيء ضحكته قدر المستطاع، باستفزاز شديد سأله مروان .

- ليه كدة يا حامد ، بُدرة ، بُدرة يا حامد .

يرمقه ببلاهه شديدة وثغره مفتوح عن أخره قبل أن يُجيبه .

- ما أنت عارف اللي فيها يا مروان، مش ده ...



أشار ناحية النقيب فأخرسه مروان.

- اخرس، أنت هترمي مصيبتك على الناس وكمان على سيادة النقيب، أنت تاجر مخدرات يعني ضلع فاسد في المجتمع، أنت طلعت حقير يا حامد ودنيء كمان، عاوز تضر شباب بلدك وتدمر المجتمع اللي أنت عايش فيه، أنا لو مكان القاضي والله ما تاخد غير إعدام بس هنقول أيه بقى في رحمة القانون.

- يا مروان أنت عارف كويس أيه اللي وصلني لهنا، مش أنتم اللي ..

قاطعه.

- اللي وصلك لهنا يا حبيبي جشعك وطمعك والسواد اللي جواك، فاكر، فاكر يا حامد بعد موت نادين علطول كلكم كنتم قاعدين ناصبين المحكمة، كل واحد فيكم عمل نفسه قاضي وفضل يقول ويحلل حتى أنت قولت عليها كل حاجة سيئة. مروان كلامنا على نادين كان جزء من العلاج دكتور حازم قال كدة.

- بقولك أيه متقولش أي كلام، نادين اتحطت في اختبار فضعفت وأنت حكمت عليها بالفشل بس لما اتحطيت بقى أنت كمان في اختبار فشلت أكثر منها.

- يعني أنت اللي مرتب كل ده يا مروان.

- أنا مش مرتب حاجة يا حبيبي أنا حطيت قدامك طريق الصح وطريق الخطأ، قلت لك يا حامد السكة اللي أنت ماشي فيها دي شمال وقلت لك تعالى أشغلك فرد أمن بس أنت الفلوس وسخطك على قدرك كان عامي قلبك وعينك، أنا دخلت من الحاجة اللي أنت ضعيف فيها، القوة يا حامد مش أنك تعمل الغلط، القوة أنك تعمل الصح مهما كانت الضغوط والظروف اللي حوليك.

كلام مروان القاسي جعل حلق حامد يجف، بلع ريقه مُصدرًا ذلك الصوت المعروف، ابتسم مروان بتشفٍ قبل أن يسأله عن رأيه في تلك النظرية التي يتبناها والتي تضم تساؤل هام هل كان هابيل سيظل شخصًا طيبًا لو وُضِع في ظروف أخيه.

- أنت شيطان يا مروان، فاهم يعني أيه شيطان.

- وماله، أنا شيطان، خليني بقى أكمل دوري للنهاية، مش في الأخر الشيطان هيقول برضو إني بريء منكم إني أخاف الله رب العالمين، أنا بقى بريء منك، مش أنت بس، بريء من كل الشلة اللي هتشرف هنا قريبًا، كلكم أكلتوا من شجرة الخُلد وكان لازم تطردوا من الجنة.

نهض حامد وحاول ضرب مروان لكن النقيب ضغط على زر الاستدعاء بجنون فدخل أفراد الشرطة سريعًا وأنهالوا بالضرب على حامد ثم حملوه وهو يصرخ ويتوعد مروان بالقتل، أمرهم النقيب وهو يصرخ أن يُلقوا هذا المجرم درسًا قاسيًا، هندم مروان ملابسه ثم نظر إلى النقيب فوجده يسأله.

- أيه يا عم الحكم دي كلها.

- مش حكم ولا حاجة يا باشا بعدين أحنا خدامين العدالة.

- عدالة !!

ابتسم مروان بنصف ثغره.

- أحنا مخلناش حد يعمل حاجة غصب عنه يا باشا كل حاجة كانت بمزاجه وإرادته، اللي زي حامد ده كدة كان مُستعد للغلط وكان هيعمله هيعمله يبقى أحنا بقى أولى من الغريب مش كدة.

- أجمل حاجة عملها قريبك ده أنه عرفني عليك يا مروان، بجد عقلية مجرمة.

- المهم يا باشا نكون عند حسن ظنك ونبارك بقى على الترقية المتأخره .

- هترجع يا مروان طول ما دماغك معايا كدة .

- تسلملي يا قائد، بقولك كنت طالب منك خدمة صغيرة كدة .

- أأمرني .

- في واحد كان مستلف مني مبلغ وكان كاتبلي شيكات، هو مبلغ كبير شوية كان عاوز يفتح أستوديو تصوير في مكان حيوي، المهم خد الفلوس والمشروع خسر معاه، طبعًا أنا مليش في، راح كتب لي عقد بيع وشراء ولما رحت أستلم المكان ملقتش ليه وجود يعني نصب عليا في الفلوس والعقد .

- أيه الجبروت ده ، اسمه أيه الواد ده ؟

- يوسف هو كان زميلي في الجامعة على فكرة والمفروض أنه صاحبي .

- العقد والشيكات معاك ؟؟

- طبعًا .

- خلاص هنعمل محضر على كيفنا وهنبعت النيابة يطلع أمر ضبط وإحضار وهظبتهولك .

- طيب عاوز محضر على ذوقك، بس مش دلوقتي، في حاجة كدة هيعملها الأول، مصلحة يعني، بعدين ندخله المصيدة .





(22)

يوسف يجلس بصحبة مروان داخل سيارته، يعرض عليه الصور التي التقطتها لـ « سيف » بصحبة سلمى في الحرم الجامعي، لسوء حظ سيف هذه هي المرة الأولى التي يمسك فيها يد سلمى وهو يترجل بجوارها، ملامح وجهها يبدو عليها الحزن و الضجر الشديد علاوة على أنها تعكس مدى المعناه التي تشعر بها وهي مضطرة لفعل ذلك لتتقي شر مروان، يوسف لا يُدرك ذلك هو فقط يريد الانتقام من سيف الذي استطاع مروان أن يزج به في طريق يوسف بعدما أقنعه أنه هو من دبر له مكيدة عائلة الدِروي، يوسف في البداية كان يأبى التصديق حتى عاد إلى الكلية واستمع إلى تأكيد عدد كبير من الطلبة عن مدى الخلاف بين سيف والدكتور مصطفي الذي طلبت منه عائلة الدِروي تشويهه، وقتها فقط سمح لعقله بتقبل فكرة المكيدة الذي خطط لها صديقة المتفوق، لمعت عين مروان وهو يشاهد الصور، أثنى على حرفية يوسف في اختيار الكدرات وزوايا التصوير .

- هنعمل أيه بالصور دلوقتي .

أشعل مروان لفافة تبغ وهو يعتصر رأسه، نفخ دخانها الكثيف .

- زي ما اتفقنا قبل كدة يا يوسف، هنقصقص ريشه ونضغط عليه بيهم ونخليه يجيب العقد والشيكات من عند عيلة الدِروي بعدين نضربه في أهله وأسلمهولك وحيد تعمل في كل اللي تحبه .

- أيوة يا مروان ما أنا فاهم كل ده ، أنا أقصد هنعمل الكلام ده أزاي، الخطوات يعني .

- لا دي سيبهالي متقلقش أنت منها، أنا عارف هعمل أيه، خليك أنت في مشكلتك .

- مشكلتي !

- طبعًا مشكلتك، سيف لما حب يخلي عائلة الدِروي تجيبك خلاهم يحطوا في طريقك واحدة عارف ده معناه أيه ؟

طأطأ يوسف رأسه في خجل .

- أنت عارف يا مروان أن الحريم هي نقطة ضعفي.

- كلنا عندنا نقط ضعف يا يوسف لأننا بشر، عادي جدًا أننا نضعف أو أن نقط ضعفنا تأثر علينا بس اللي مش عادي بقى أن الواحد يبقى كله عيوب وبلاوي ويعمل قاضي على باقي الناس، يااه لو نفكر شوية ونفهم أن السهم اللي بنرميه على الناس ممكن يترد لينا بنفس قوته .

ضغط على كلماته الأخيرة، يوسف لا يفهم ما يرمي إليه مروان .

- مش فاهم يا مروان تقصد أيه .

ابتسم بخبث .

- مش مهم يا يوسف بكرة تفهم كل حاجة .

- مروان لو كنت بترمي بالكلام على موضوع نادين فالناس فهمتني أن ده جزء من العلاج، دكتور حازم قال.

بتر مروان كلامه .

- يوسف !! هتسبلي الكاميرا بالصور اللي عليها وتسبني أتصرف بقى مع سيف .

شعر يوسف أن مروان لا يريد أن يخوض في ذلك الحديث .

- داشي يا مروان بس مش هوصيك .

- عيب يا جدع أنت أخويا والله، عارف يعني أيه أخويا .

أنهى يوسف حديثه مع مروان وانصرف ، ظل يرمقه عبر مرآة السيارة الجانبية حتى ابتعد، أخرج هاتفه الخلوي وهاتف النقيب صاحب قضية حامد .

- آلو ، أيوه يا باشا، أخبارك، بقولك ، فاكر موضوع الواد بتاع الأستوديو والشيكات، أيوه يوسف آه، خلص بقي يا باشا، عاوز أشوفوه في النيابة قريب .

❋❋❋





(23)

تَوَحَّدَت أماني مع نفسها في ذلك الركن المظلم من الغرفة، تتكوم على نفسها على ذلك الكرسي الخشبي بوضعية ليست مريحة، تُلامس ركبتيها صدرها وأمامها على سطح المنضدة السوداء مجموعة كبيرة من أوراق المناديل المستعملة التي تقبضّت وانكمشت على بعضها البعض، تتساقط دموعها بغزارة شديدة حتى إن جسدها يهتز على أثر ذلك النَشِيج الذي اختلط مع صوت الإعلامي ذى الصوت الجهور وهو يصرخ على شاشة التلفاز مُنَّددًا بأفعال الدكتور مصطفى المُشينة، يعرض عبر القناة الخاصة التي بينها وبين شركة والد مروان مصالح مشتركة تلك الصور التي قام يوسف بفبركتها باحترافية عالية، يصرخ موبخًا الدكتور مصطفى الذي لا يصلح بأن يكون رسول علم يحمل رسالة للشباب الجامعي، في البدية لم تقتنع أماني بذلك لكنها وجدت على مواقع التواصل الاجتماعي حملات مشابهة تعرض صور والدها بعدما أضافوا عليها مجموعة من السُباب والهجاء الشنيع، باتت أماني في حالة يرثى لها، شُل عقلها وامتنع عن التفكير، لم تستطع فعل أي شيء سوى البكاء والنحيب بعدما فشلت كل مُحاولاتها في الاتصال بوالدها فهاتفه خارج التغطية، استمرت في الانْتِحَاب الذي كان يتصاعد تدريجيًا مع صوت ذلك الإعلامي الذي لا يزال ينعت والدها ويُطالب المواطنين الشرفاء بتقديم بلاغات ضد ذلك الدكتور الداعر، ارتفع صوت هاتفها الخلوي، رقم غير مسجل، أجابت

دون تفكير، إنه والدها يُخبرها بصوتٍ تتضح بين ثناياته الانكسار الشديد بأنه في النيابة العامة بعدما صدر قرار بالقبض عليه بعد تداول الصور على الأنترنت وفي وسائل الإعلام ، انهارت أماني بعدما فشل جهازها العصبي في تحمل المزيد من الضغوط .

- أهدي يا أماني ، أهدي يا حبيبتي والله كل اللي بتشوفيه على النت والتلفزيون ده محصلش، دي مكيدة وبكرة تشوفي لما ربنا يخرجني منها على خير .

- بابا أنا هسألك سؤال واحد بس وعاوزة إجابة عليه، أنت بجد عملت كدة ولا لا .

- ثلاثة بالله العظيم يا حبيبتي ما عملت كدة، أبوكي أتغير يا أماني أتغير كتير عن زمان أتمنى بس اللي بيحصل ده ميكونش عقاب من ربنا .

أجابته أماني بصوتٍ يختنق من كثرة البكاء .

- خلاص أنا هجيلك النيابة .

- لا لا خليكي عندك يا أماني، أنا بطمن عليكي بس وهقفل علطول علشان ده مش تليفوني، أوعي تيجي خليكي عندك وأسمعي الكلام وأنا لو في جديد هعرفك، خلي بالك من نفسك وإن شاء الله هخرج من المكيدة دي على خير، سلام .

انقطع صوته فسقط الهاتف من يدها ودفنت وجهها في كفيها وراحت تتنفس تنفُّس متقطع عنيف مصحوب بالبكاء تتبعها اختلاجات في عضلات الصدر .

****

مروان يشاهد التلفاز ويتابع في قمة الاستمتاع نفس الإعلامي الذي يصرخ وينعت والد أماني، يتابعه بملامح وجه لانت من شدة السعادة ولكنه لايزال يحتفظ بنظراته الخبيثة التي تنُمُ دائمًا على أن ما سيأتي بعد ذلك أسوء بكثير، يتابع الإعلامي الجهور وهو يلقى ببعض المكسرات داخل فمه باستمتاع شديد ولذة تنُمُ على أنه شخص غير طبيعي، يُلقى بحبات المكسرات في فمِه وهو يُردد بصوتٍ مرتفع .

- ابن اللذين ده أول ما أتهدد بالفيديوهات وأخد القرشين طلع يبدع على الشاشة، طب والله أنا أنفع مُصمم معارك، منظمة الإعلام دي منظومة غريبة .

وقعت عيناه على هاتفه الخلوي ، فكر قليلاً قبل أن يلقى ما تبقى من المكسرات داخل الطبق المُخصص لها، أمسك الهاتف، استدعى رقم أماني واستدعى أيضًا نبرة صوت حزينة لا نعلم من أين استعارها لكنها نبرة صوت توحي بحزن وألم شديد .

- آلو أيوه يا أماني أيه اللي حصل ده ومين الحيوان اللي طالع في التلفزيون يشوه في سمعة الدكتور مصطفى ده، هو مش عارف أنه بيكلم عن دكتور جامعة محترم.

أتاه صوت أماني مختلطًا بالبكاء الشديد .

- مش عارفة يا مروان، أنا مخنوقة أوي وتعبانة أوي أوي .

- أهدي بس طيب مقدرش أشوفك كدة .

قالها بصوتٍ حزين وبوجه ساخر ومبتسم ثم أردف وهو يتراقص بجسده فرحًا ولا يزال محتفظ بتلك النبرة الحزينة « ... أهدي يا أماني علشان خطري ... طيب ممكن تقابليني .... لا علشان خاطري هقولك بس على قرار مهم أنا أخدته ، قرار في مصلحتنا أحنا الاتنين »

اعتذرت ثانية لكنه لم ييأس ظل يحايلها حتى أقنعها في النهاية، أغلق الهاتف وهو يضحك ويُخبر نفسه بصوتٍ مرتفع كم هو سعيد ومستمتع لما يفعله معها ومع والدها.

****

تقضي أماني بمنديلها الورقي على خطين المخاط السارحين على وجهها قبل وصولهما إلى شفتيها، يرتفع صوت نحيبها ويهتز على أثره وهي تجلس بجوار مروان داخل سيارته المتوقفة في أحد المناطق الهادئة، يُحاول مروان أن يُهدئ من روعها بأسلوبه الناعم الأملس، تُحاول أماني أن تصف له الحالة التي تعانيها الآن بكلماتٍ بسيطة تخرج منها بين نَشِيجها المستمر.

- أهدي يا أماني، الطريقة بتاعتك دي مش هتحل حاجة، الأصل في الموضوع الهدوء.

تشيح بوجهها بعيدًا عنه حتى لا تلتقي عيناها الدامعة مع وجهه، تحاول أن تتوارى خلف كفها الذي يغطي معظم وجهها تقريبًا، لم تتمكن من رؤية وجه مروان الذي يسخر منها بملامحه فقط يصلها صوته الحزين المتأثر بما يحدث.

- مش قادرة يا مروان بجد.

- دكتور مصطفى راجل محترم يا أماني صعب جدًا يعمل حاجة زي دي، أكيد دي مكيدة حد ملفقها.

- لا يا مروان بابا ممكن يعمل كدة.

استولت عليه حالة من الدهشة المبالغ فيها حتى إنه لم يستطع أن ينطق بحرف فقط ظل يُثبت عينيه عليها كأنه يريد أن يتأكد من صحة ما سَمِع، أردفت أماني بكلمات كآنين.

– متستغربش يا مروان ، أنا كنت علطول بسمع ماما الله يرحمها بتقول أن بابا ليه نزوات وعلاقات زي الزفت وده تقريبًا كان سبب من الأسباب اللي خلت ماما تنفصل عنه قبل ما تموت بكام سنة، أنا كنت عارفة ده بالرغم من أني كنت لسه صغيرة بس مكنش قدامي حل غير أني أعيش معاه بعد موتها .

مسحت دموعها وتنهدت بأنفاس سريعة على أثر البكاء ثم أردفت .

– طول عمري عارفة أن بابا ليه علاقات أقذر من اللي في الصور وكنت عارفة أن هيجي وقت وربنا يفضحه بس مكنتش أحب أن الوقت ده يكون دلوقتي خالص .

نظرت إليه بعينيها الغارقة في الدموع .

– خصوصًا أن في علاقة لسه بتبدأ مع حد زيك يا مروان، حقيقي مكنتش أتمنى أخسرك .

– مين قالك إني ممكن أفرط فيكي أو أخسرك علشان حاجة أنتِ ملكيش ذنب فيها حتى لو كان كلامك صح.

ابتسمت بسخرية .

– يا مروان أنت بتقول كدة علشان تخفف عني بس، دمك لسه سخن مش حاسس بالوجع بس لما تهدأ كدة هتصرخ من الآلم اللي أنت مش حاسس بيه دلوقتي.

– أماني أحنا هنتجوز بكرة .

عقدت الدهشة لسانها وتدفق الدم في وجنتيها فصبغته باللون الأحمر ، فتحت ثغرها ببلاهة وهي تنظر له بثبات .

– أنت بتقول أيه يا مروان .

- بقول اللي لازم يحصل يا أماني ، أنتِ دلوقتي لوحدك وده الشيء الوحيد اللي هيخليني قريب منك علشان أحميكي وأطمن عليكي .

- مروان اللي أنت بتقوله ده ....

قاطعها .

- ششششش، مش عاوز كلام كتير اللي بقوله ده أمر مش باخد رأيك، أحنا هنتجوز عرفي لحد ما الأمور تتظبط بعد كدة هنعلن الموضوع رسمي بعد ما ظروف الدكتور مصطفى دي تعدي .

- بس يا مروان ....

- أماني دي الطريقة الوحيدة اللي هبقى جنبك بيها، من فضلك أديني فرصة، أساعدك وأقف جنبك .

- أنت ليه بتعمل كدة .

- أنا بحبك يا أماني ولو معملتش كدة يبقى مستهلش أكون جنبك، أنا مش هسيبك، ومعاكي لحد النهاية .

نظرت له وهي لا تدرك ماذا عليها أن تفعل أردف مروان .

- على فكرة دي المفاجأة اللي كانت في إيدي الشمال وكانت بتجهز، التعديل الوحيد أن الجواز هيكون عرفي علشان الظروف اللي حصلت .





(24)

مروان يجلس على مكتب والده في شركة الدعاية والإعلان، يتأرجح على الكرسي الهيدروليكي الوثير في نصف دائرة ذهابًا وإيابًا، يستند برأسِه على الكرسي ويبتسم باستفزاز شديد، أمامه تجلس سلمى والخوف بارز في كل ركن من أركان وجهها، جف ريقها وارتفع منسوب التوتر في جسدها ومروان يقص عليها ببرود ما فعله مع أصدقائه، ارتعدت فرائصها وشعرت أنها تتعامل مع شخص مختل أكثر مما تتوقع، أنهى قصة أصدقائه الذي زج بهم في نهاية مأساوية ثم نهض يترجل داخل المكتب وهو يُصدر صوت زَهْزَقَة مجنونة لا تأتى إلا من سواه، أمسك بالأسهم الصغيرة وراح يلقيها على دائرة لعبة « الدارتيس » المُعلقة على حائط المكتب، يلقى سهم تلو الأخر، سألته سلمى وهي لا تزال تحت تأثير صدمة ما حدث لماذا يقص عليها تلك القصص التي تُظهر قدراته الغاشمة فأجابها ببرود أعصاب مقيت.

- بحكيلك علشان تخدي العبرة والعظة من اللي حصلهم وتعرفي أني ببقى وحش أوي مع اللي مش بيسمع الكلام.

نظر لها بطرف عينيه وابتسم قبل أن يستانف حديثه.

- بس أنتِ شاطرة، لحد دلوقتي يعني وبتسمعي الكلام بس يارب تكملي كدة للأخر ومتخلنيش أعمل حاجات أنا شخصيًا بحبها.



- عاوز أيه يا مروان .

- عـاوز رقبـة سيف، عـاوز أكسره، عـاوز أشـوفه وهـو فاشـل وحلمـه بيضيع منه قـدام عينه، عـاوز أشمت فيـه يـا سـلمى قصـدي يـا ولاء .

يقلـب السـهم الـذي يمسكه في يـده ويشـاهده مـن كل زاويـة وجانـب قبـل أن يرمقهـا ويبتسـم بسـادية .

- أنا غيرت الخطة وخلتها مدمرة عن الأول .

أنهى كلماته وألقى بالسهم على الدائرة .

- مروان كدة كتير وأوفر .

اِستَضحَك مروان إكراهًـا قبـل أن يتحـرك خطوات بسيطة داخـل المكتب ويقـترب مـن سـلمى وهـو لم يُحرك عينيـه عنهـا ولم يتخلَ عـن ابتسـامته لحظة .

- بقيتي ملاك أهو وعاوزة تعملي بنت ناس وشريفة .

- مروان أنا الأسلوب ده ...

صرخ في وجهها بكل قسوة .

- أنـتِ تخرسي طـول مـا أنـا بكلـم، أنـتِ هتنسـي نفسـك ولا أيـه، لا ده أنـا أفرمـك .

- أنت مريض يا مروان، أنت لا يمكن تكون طبيعي .

طقطق فمه في استفزاز شديد .

- ليـه كـدة يـا سـلمى خـلي عنـدك شـوية ولاء للراجـل الـلي مـش عـاوز يفضحـك .

- مـروان ، أنـا مكنتـش بعمـل حاجـة غلـط، أنـا أبويـا هـو الـلي حطنـي في الموقـف ده أبويـا ديكتاتـور عمـره مـا صاحبنـي ولا حسـيت بـأي أمـان معـاه،

طول الوقت ضرب وقهر وإهانة لما قرفت وزهقت، أنا أبويا بخاف منه إنما مش بحبه .

سخر مروان من كلامها فأعاده بنبرة صوت تملؤها السخرية والاستفزاز، نهض واقفًا وترجل بهدوء تجاه المكتب، فتح الدرج دون أن ينظر إليه فقط عيناه متعلقة عليها، اتسع ثغره وابتسم ابتسامة من الأذن إلى الأذن لكنها ابتسامة استفزازية قاسية، أخرج ذاكرة صلبة وضعها في جهاز اللاب توب الذي يقبع على سطح مكتبه، حركه ببطء تجاهها وهو يصفر ويصنع موسيقى تصويرية بفمه حتى باتت الشاشة واضحة أمام عينيها التي اتسعت بشدة على أثر ما يُعرض أمامها، صورها بصحبة سيف الذي التقطها يوسف بأمر من مروان .

- هوبا إيه رأيك في المفاجأة دي بقى.

قشعريرة سرت من أسفل عنقها وحتى مؤخرة ظهرها حينما شاهدت الصور، ابتسم مروان بسخرية وكعادته كان مستمتعًا بشدة من ردود أفعالها حينما وقعت عيناها على الصور .

- أيه يا لولو اتخطفتي يعني .

- أنت اللي عملت كدة يا مروان .

- دماغي هي اللي عملت كدة، إنما اللي نفذ يوسف وأهو مرمي في السجن يعني الموضوع في مفاوضات .

- مفاوضات أيه ؟

- عاوزه الصور دي يبقى تسمعي الكلام علشان تخدي الصور وباقي الحاجة كمان .

- ماشي يا مروان عاوز أعرف أنت عاوز أيه بالظبط .

- مش دلوقتي هتعدي عليا النهاردة بليل في الفيلا عندنا هقولك وقتها كل حاجة .

- مش هينفع أنزل بليل ما أنت عارف أبويا عامل أزاي .

- والله بقى يبقى ده اختيارك ، أنتِ حره .

عروق جبهتها تنبض بعنفٍ كما ينبض قلبها بشدة وهي تفكر فيما ستفعله، مروان ينظر لها قبل أن يستأنف كلامه المستفز .

- وأبوكي برضو مش هتعجبه الصور دي لو راحت له .

- أنت بتهددني يا مروان .

- آه بهددك ، وبعدين أيه الجديد يعني ما أنا بهددك من يوم ما عرفتك .

زفرت في ملل .

- لا وحياة أمك متتزهقيش عليا .

رمقته في ضيق شديد فأردف باستفزاز .

- ها هتيجي ولا نبعت الصور للحج .

- ماشي يا مروان هتصرف وهاجي بس وغلاوة نادين أختك عندك لأخد حقي منك .

- يديني ويديلك طول العمر يا لولو .

****

الشمس تؤذن بالمغيب في الوقت الذي تقترب فيه سلمى من باب الفيلا التي يقطن بها مروان، تقترب ببطء وهي تفكر لماذا دعاها إلى بيته، ما الذي يخطط له وينوي عليه بالإضافة إلى ما يريده منها، نصحت نفسها بأن تظل مستيقظة وفي قمة تركيزها طوال تواجدها داخل منزله،

فكرت قليلاً قبل أن تمد يدها المرتعشة وتقرع الجرس، استمعت إلى وقع أقدام تتابع الخطى قبل أن يُفتح الباب ويظهر مروان كالعادة مبتسمًا، يتجرع شرابًا في كوب زجاجي، ملامح وجهه الباردة جعلت الغضب يفور سريعًا، أشار إليها بالدخول بعدما اعتذر لها عن عدم حضوره إليها بسيارته عند مدخل المدينة ليأخذها كما كان الاتفاق مما دفعها للسير على أقدامها مسافة كبيرة، توترت مشاعرها وتصلبت مكانها دون حِراك في البداية، ظلت عيناها تتحرك بسرعة ذهابًا وإيابًا تريد أن تستكشف ما يحدث داخل الفيلا، لا شيء، لم يظهر سوى الأثاث الذي يُشعرها أنه سيتحرك ويهاجمها من فرط توترها، دخلت بقدمٍ مرتعشة إلى الداخل وعيناها لا تزال تتحرك بسرعة كالحرباء في كل مكان، جلست على المقعد الأقرب من باب الفيلا، تضم شنطتها إلى صدرها بقوة، تحتضنها كأنها ابنتها، ابتسم مروان ودخل حتى بات قريبًا منها للغاية .

- طبعًا عاوزة الصور والحاجة الثانية مش كدة؟

- مروان متلعبش بأعصابي وقول عاوز أيه قصادهم .

- تتجوزي سيف .

- نعم !!

صرخت في وجهه قبل أن تنتفض من مكانها ووجهها يتجسد عليه كل أمارات الغضب.

- أقعدي بس ومتفوريش عليا، أقعدي علشان أفهمك .

جف ريقها على أثر كلام مروان المستفز، جلست وهي تعلق نظرها على وجهِه .

- الفكرة كلها أني عاوز أبوكي يكسره وكدة كدة أبوكي حريف في الموضوع ده، عاوزك تطلبي من سيف يجي يتقدملك وتخلي أبوكي يقابله

وطبعًا هيرفضه تفهميه بقى أنه يرفضه هو هيرفضه من نفسه ميخصنيش المهم عندي أن سيف يكسر ويتهزأ والموضوع ده يبقي قبل الامتحانات بفترة بسيطة وأعتقد الأسبوع اللي جي أنسب معاد.

يتحدث إليها وملامح وجهه كالمجاذيب، أصاب سلمى خيفة شديدة.

- ها قولتي أيه ؟؟

- ولما يقول لبابا أنه زميلي في الجامعة وبابا يقولوا لا دي مخلصة معهد حاسبات ومش في الكلية أصلاً هيبقى أيه الوضع.

- ما هي دي أساس الصدمة، ده أكبر خبر هيكره سيف في نفسه، بوووم هياخد الخبر في نص دماغه.

- وأبويا.

- أصر في معاه بقى أنتِ وهو أحرار، أنا ليه مصلحتي تخلص وخلاص وإلا بقى..

قاطعته.

- حاضر، حاضر من غير إلا.

- ثواني هدخل أجبلك الحاجة علشان أثبتلك حسن نيتي بس وديني وما أعبد لو فكرتي تلعبي بيه هنسفك نسف.

أنهى كلماته وابتسم لها وعيناه جاحظة ينطلق منها الشرار، ابتعد عنها ودخل ليحضر لها العقد الذي حولها في يده إلى عروسة مارونيت يتحكم بخيوطها كيفما شاء، شعرت سلمى بجفاف شديد بسبب التوتر والمجهود المبذول في الوصول سيرًا إلى الفيلا، تجولت بعينيها حتى أصدمت بزجاجة مياه تقبع على منضدة تبتعد عنها خطوات معدودة، نهضت وترجلت تجاهها،

تجرعت منها حتى روت ظمأها في اللحظة التي خرج فيها مروان يبتسم، اقترب منها ثم مد يده بالأشياء التي تضعها دائمًا تحت ضغط، فتحته وتأكدت أنها هي، ابتسمت وهي تنظر إلى مروان البادي على وجهه المكر والدهاء، أعطاها الذاكرة الصلبة التي تحتوي على صورها مع سيف أيضًا.

****

تفتح عينيها ببطء شديد، تحاول أن تدرك أين هي ، تتعذر رؤيتها بسبب سحابة بيضاء كبيرة تتلاشى شيئًا فشيء، تفرك عينيها بشدة كأنها تحثها على عودة الإرسال لها لتتمكن من الرؤية بشكلٍ أوضح، أنها في غرفتها ، لقاؤها مع مروان وحصولها على الأشياء التي يضغط عليها بها طوال الوقت كان مجرد حلم يراودها، تنهدت بضيق فقد كانت تشعر أنها تخلصت من كابوس التهديد إلى الأبد، أزاحت الغطاء ووضعت قدمها على الأرض لكنها توقفت لثوانٍ معدودة حينما أدركت أنها لا ترتدي ملابس المنزل المخصصة للنوم بل أنها ترتدي تلك الملابس التي رأتها في حلمها وهي في فيلا مروان، وضعت يدها على رأسها لتحد قليلاً من الصداع الذي يقسم رأسها إلى نصفين، تحاول أن تتذكر ما حدث بالأمس، اختلط عليها الأمر ولم تستطع حسم الموقف هل ذهبت بالفعل إلى فيلا مروان أم أنه كان مجرد حلم، فُتِح الباب بقوة جعلتها تنتفض فزعًا، إنه والدها يدخل إلى الغرفة وعلى وجهه يتجسد الغضب بشراسة، احتد صوته وارتفع إلى أن بلغ أقصاه، نهرها على ما حدث بالأمس، سلمى لا تستطيع أن تتذكر أي شيء فقط تحاول أن تعتصر ذاكرتها لعلها تتذكر شيء مما حدث لكن النتيجة كانت في غاية الإحباط ، صرخ في وجهها.

- وأنا معنديش بنات تيجي بليل أصحابها مسندنها ودخلين بيها

الشارع والعمارة، مدام مش أد الأفراح بتروحي ليه، مفيش خروج تاني بليل، الخروج على أد الشغل وترجعي تاني على البيت يا أمَّا وديني وما أعبد هكللك علقة هخلي الشارع كله يتلم على صوتك .

بدت كلماته واضحة بقوة على وجهها منقبض العضلات .

- أنا كبرت يا بابا على الكلام والمعاملة دي .

قالتها معاتبة، فصرخ في وجهها أكثر .

- كبرتي على نفسك يا روح أمك، اللي بيكبر ده بيكبر بتصرفاته وبعقله مش بسنه، بعدين أنا معنديش بنات تعمل اللي بتعمليه ده ما أنتِ لو كنتي ولد كنت رميتك في الشارع ولا همني، إنما أعمل أيه بقى ربنا بلاني بيكي .

خرج من الغرفة وأغلق الباب بقوة ارتجف على أثرها قلبها، هي لا تتذكر كيف وصلت إلى منزلها فقط تتذكر أن مروان كان يمد يده لها بالأشياء التي تخصها بعدما تجرعت المياه، والدها يخبرها بأن لا تذهب إلى أفراح بعد ذلك بالفعل هي لم تخبره بأنها ستذهب إلى زفاف فقط هي تسللت وخرجت وهو يُصلي العشاء في المسجد، هرعت إلى شنطتها حينما ارتفع رنين هاتفها الخلوي، إنه مروان ، أجابت على الهاتف فأتاها صوته المستفز .

- صباحية مباركة يا لولو .

- مروان أنت أديتني الحاجة أمبارح .

- طبعًا هو أنا عندي أعز منك يا جميل .

- مروان أنا مش مرتاحة للي بيحصل ولا فاكرة أنا جيت البيت هنا ازاي وأمتى .



- معلش يا لولو واضح أن الشيخوخة والسن مبهدلك .

- ممكن تبطل تريقة وتفهمني .

استفزها بضحكاتِه الساخرة قبل أن يحكي لها ما حدث، تحولت بعينيها حتى اصتدمت بزجاجة مياه تقبع على منضدة تبتعد عنها خطوات معدودة، ظمأها الشديد والمُخطط له من مروان جعلها تنهض وتترجل تجاهها، تجرعت منها حتى روت ظمأها ولا تعلم أن مروان تعمد أن يجعل المُخدر في زجاجة غير ممتلئة عن آخرها بالماء تقع بالقرب منها لتتجرع منها وهي مطمئنة بعدما جف حلقها على أثر المسافة الكبيرة التي قطعتها سيرًا على الأقدام، خرج مروان يحمل الورقة، ابتسم حينما وجدها تجرعت الماء كما كان يُخطط لها، اقترب منها ثم مد يده بالأشياء التي تخصها ، فتحتها وتأكدت أنها هي، ابتسمت بحافة فمها ثم نظرت إلى مروان البادي على وجهه المكر والدهاء، وضعتهم في شنطة يدها، أخرج من جيبه بطاقة ذاكرة ومد يده بها إلى سلمى التي ظلت تنظر له وتحملق دون رد فعل، أخبرها ببرود أنه لا يوجد معه نسخة أخرى من صورها مع سيف وأنه يثق بها ويعلم أنها لن تخونه، مدت يدها وأخذتها بسرعة كأنها تخشى أن يغير رأيه، وضعته في شنطتها ، شعرت بدوار غريب في رأسها، أغمضت عينيها وكادت أن تسقط على الأرض بعدما فقدت نسبة كبيرة من اتزانها لكنها تماسكت وظلت تترنح وسط نظرات مروان الساخرة لأنه يعلم جيدًا ما سيحدث لها، ترنحت قليلاً قبل أن تسقط على الأريكة مغشيًا عليها، اقترب منها مروان بهدوء ثم استدعى فتاة في نفس عمرها تقريبًا خرجت من الداخل وحملتها معه حتى غرفة النوم .

ألقتها على السرير أمَّا مروان فأحضر الكاميرا الديجيتال الموجودة على حاملها بعدما وضع بها كارت ذاكرة أخر، وجه عدستها تجاه سلمى

المُلقاه على السرير ومغشى عليها، أمر الفتاة بتجريدها من ملابسها وظل يلتقط لها الصور كلما نزعت الفتاة جزءًا من ملابسها حتى توقفت عن نزع باقي الملابس، تركتها لا ترتدي سوى ملابسها الداخلية ومروان يلتقط لها الصور ثم يأمر تلك الفتاة بتغير وضعية سلمى ليلتقط لها صور أخرى بوضعيات مختلفة حتى انتهى، طلب من الفتاة أن تُكسيها مرة أخرى ثم حملوها سويًا إلى سيارة مروان، أخبرته بطاقتها الشخصية الموجودة في شنطتها بعنوان سكنها، انطلق مروان إلى هناك ثم طلب من الفتاة أن تحملها وتصعد بها حيث شقتها، قرعت الجرس ففتح والدها.

- مساء الخير يا عمو، ولاء كانت معانا في الفرح بعدين أغم عليها أحنا جبلنها الدكتور وقال مجرد إجهاد مش أكثر، هترتاح لحد الصبح علشان مديها منوم وهتبقى زي الفل.

قالت الفتاة كلماتها وهي تدخل إلى غرفة ولاء حاملة إياها بمساعدة والدها ثم انصرفت.

مروان يضحك كالمجنون بعدما أخبر ولاء بما فعله معها ليضمن ولاءها له وتنفيذها لكل أوامره، انهارت ولاء باكية، تتساقط دموعها من عيناها بصورة هيستيرية وهي تلطم خدها الأيمن بشكل مبالغ فيه حتى نفذت قواها وسقطت على الأرض، صوت قهقهة مروان لا يزال يصل إليها واضحًا كأنه يستمتع بما يحدث لها.

- حرام عليك يا أخي، ربنا ينتقم منك، ربنا ينتقم منك.

- لولو، سيف يجي يتقدملك الأسبوع ده وأبوكي يكسره يا أمَّا وديني الصور هتغرق النت، وهبعتلك عينة دلوقتي علشان تصدقيني.

أغلق الهاتف، انقبضت عضلات وجهها أكثر والدموع تتساقط منها بلا هوادة، سحبت التليفون ببطء من على أذنها مرورًا بوجهها وبكاءها

يتصاعد كأن شاشة الهاتف تخبر كل مسام وجهها بما حدث فتزداد حزنًا وبكاءً ، ارتفع أنين الهاتف لكن هذه المرة صوت وصول رسالة على برنامج « الواتس » نظرت إلى الشاشة فوجدت صورها وهي نائمة على السرير لا ترتدي سوى ملابسها الداخلية ، مرت بعينيها سريعًا على الصور وصوت النحيب يتصاعد بشكل هستيري، تركت الهاتف يسقط على الأرض بجوارها ودفنت رأسها في كفيها ليصل البكاء إلى أقصاه، على شاشة الهاتف تظهر ولاء بملابسها الداخلية وعلى السرير بجوارها تجلس أماني في وضع استعداد لفعل شيء ما !! ، أماني هي الفتاة التي ساعدت مروان في كل شيء .

***





(25)

أماني غارقة في دومات الفكر التي تهدر بداخلها كوحش مجنون لا يهدأ ولا يريد أن يهدأ، تجلس على الفراش، تضم ركبتيها إلى صدرها وعقلها معلق فيما فعلته مع سلمى، كيف تحولت إلى تلك الشخصية اللعينة، كيف وافقت على مساعدة مروان في عمل سيء مثل الذي فعلته مع سلمى، هي لا تدري هل كان الشر يكمن بداخلها وأراد فقط من يُقظه من نومه الطويل أم أنها أرادت أن تثأر من كل شيء حولها بسبب ما حدث لأبيها، هي على علم بأن أبيها من الممكن أن يُخطيء لكن ستكره حتمًا من يشي به، أخبرها مروان وهو يُحاول تحفيزها على ما يريد بأن الدنيا أصبحت كالسجن الكبير لا أحد يرحم أحد وليس هناك مكان للرحمة من الأساس، أخبرها بأن الإنسان يعطي ويمنح ويُضحي ويُحب وفي النهاية لن ينال أي شيء لأن المناخ المحيط بنا تحول إلى مناخ سيء يُفسد كل شيء، الوشاية التي حدثت لوالدها حطمت كل مجاديف الخير التي كانت تسعى فيه دائمًا لكن لا يزال هناك صوت ضعيف بداخلها لا يزال يُجاهد ليحثها على فعل الخير؛ لأنه هو الشيء الوحيد الذي سيُخلصها من مصاب الدنيا.

فُتِحَ الباب، إنه مروان عاد من الخارج يحمل ابتسامة لم ترها على وجهِه من قبل، دخل إلى الغرفة وهو يُصفر ويُغني ببعض كلمات الأغاني السعيدة، طبع قبلة على خدها واستأنف الغناء والصفير، أماني تنظر له

وعينيها مليئة بالدموع، التفت إليها مروان فوجدها على هذه الشاكلة الكئيبة، سألها بتلهف عما أصابها فتساقطت دموعها رغمًا عنها قبل أن تبدأ الحديث معه.

- أنا ضميري بيأنبني أوي يا مروان، مش عارفة أزاي أنا عملت كدة مع سلمى، أنا طول عمري بحب أساعد الناس وأعمل أعمال خيرية، أزاي أنا بقيت كدة بالشكل ده أنا مش عارفة.

- أنتِ بقيتي كدة علشان فهمتي، ما هو أحنا كدة كل ما نكبر أكثر والدنيا تدوس علينا أكثر بنكتشف المعنى الحرفي لكلمة محدش يستاهل.

- ماشي يا مروان بس أحنا ظلمنا، أحنا دبسنا سلمى في حاجة هي معملتهاش.

- الغلط بيجيب غلط يا أماني، أنتِ ناسية سيف اللي بتحبه ده عمل أيه مع نادين ولا أيه، أنتِ نفسك قولتيلي أنه يستاهل الحرق فاكرة ولا نسيتي.

- لا منستش بس أعمل فيه اللي أنت عاوزه إنما هي مش ذنبها أنها بتحبه.

- على فكرة هي مش ملاك يكفي أنها جت برجليها لحد بيتي هنا وهي عارفه أني المفروض شاب عايش لوحدي لأنها أكيد متعرفش أننا أجوزنا يا أماني، وجيه برجليها علشان أيه عقد جواز عرفي مع سيف وشوية صور، هي من البداية كانت عارفة أنها بتعمل حاجة غلط علشان كدة مستسلمة لأي حاجة أنا بقولها.

- مروان أحنا مش ربنا علشان نحاسب الناس.

- ولا الدنيا فيها عدل علشان أنا أختي تتظلم، وأبوكي يتعملوا

مكيدة، آه هو ممكن يكون غلط بس أنا متأكد أن اللي حصل معاه المرادي مجرد مكيدة.

- نقوم نظلم أحنا كمان، محدش يرضى بكدة أبدًا.

- محدش عاش اللي أحنا عشناه علشان يقدر اللي أحنا فيه وإحساسنا بالظلم والقهر، أنا كل اللي بعمله أني بحطهم في نفس الموقف علشان يدوقوا نفس الشعور والإحساس، بحاول أعدل الكفة علشان أكثر من كدة الميزان كله هيتقلب على الأرض، قولتهالك قبل كدة وهقولها تاني، هابيل بقى رمز الخير والطيبة علشان الظروف خدمته، تفتكري لو كان القربان اتقبل من قابيل كان برضو هيقتل أخوه، لا، بس ساعتها كان ممكن هابيل يقتله علشان الظروف هنا مختلفة، سواء بقى قابيل قتل هابيل أو هابيل قتل قابيل في الحالتين أحنا كدة كدة أحفاد القاتل يعني أحفاد الشر.

أماني تنصت إليه ودموعها تسيل من عيناها، زفر مروان في ملل وضمها إلى صدره، حرك يده على رأسها وظهرها لعله يخفض حدة التوتر التي تشعر به، أخبرها بصوتٍ هادىء وهي داخل أحضانه أنها زوجته ولن يتنازل عنها وأنه يفعل ما يفعله فقط من أجل القصاص لأخته التي ماتت قهرًا وظلمًا ولأبيها الموجود في زنزانة ضيقة، أماني تستند برأسها على صدرِه وتبكي لكنها لم تنظر إلى وجهه الماكر فتُدرك أنه مجرد كلام معسول يغسل به عقلها حتى يأتي دورها.





(26)

فارس ينتقل ببصره بين وجهات البنايات بذهول وهو يترجل بجانب سيف في ذلك الشارع الذي يعرفه جيدًا، تتباطأ خطواته شيئًا فشيئًا كأن ذاكرته تستعيد ومضات من ذكريات سيئة يحملها هذا الشارع، ينقل فارس قدمه بانفصال تام عن العالم حتى إنه صكَّ أذنه عن صوت سيف وهو يحاوره ويتأسف له أنه اقتاده من الكافيه الذي يعمل فيه وسط توبيخ صاحبه الذي يتعامل معه بشكل غير آدامي منذُ أن عمل معه.

- والله يا فارس مروان كان جي معايا اتصل بيه واعتذر وقالي إنه كلمك وأنت هتيجي معايا علشان مينفعش أبقى لوحدي.

فارس يهز رأسه دون أن ينتبه إلى كلامه، سيف بدأ يُلاحظ أن فارس يتحرك كالميكانزم الميكانيكي ذو المشية البطيئة المتخشبة، يلاحظ شروده لكن لا يُدرك السبب، ارتفع صوته وهو يسأله عما أصابه، انتفض فارس على أثر الصوت المرتفع قبل أن يُخبره أن كل شيء على ما يرام، الكذب كان يتجسد في كل حرف ينطقه، تصلب نظره على تلك البناية التي بدت قريبة منهم، تشتت ملامح وجهه وتباعدت حينما وجد سيف ينحرف قليلاً ليدخل تلك البناية ذات المدخل الواسع، قلبه بدأ يرتجف وعقله يُشحنه بذكريات قديمة حدثت هنا في تلك البناية، ارتعشت قدماه وهو يُحركها مترددًا ليوالي صعود درجات السلم خلف سيف الذي يبتعد عنه مسافة لا تكف عن الاتساع، ثلاث دقائق من الصعود المُتمهِّل انتهت به

أمام باب شقة يعرفه جيدًا، في البداية حاول تشكيك نفسه لكن لا مجال للهروب من حقيقة الأمر، نسى فمه مفتوح وهو يُحاول أن يدرك أنها نفس الشقة، لا يمكن بالتأكيد هناك شيء خطأ، لم يجسُر على سؤال سيف، العروس تدعى سلمي بالتأكيد هناك شيء خطأ، ربما اختلط عليه الأمر هذا كله يدور في عقل فارس وهو يحاول أن ينكر ما يحدث أمامه، قرع سيف الجرس ففتح الباب.

****

مروان يجلس أمام جهاز اللاب توب الخاص به ، يشاهد على شاشته جميع الصور التي التقطها ل « ولاء » ، هناك مجموعة كبيرة من الصور لم يرسلها إليها، صور تظهر فيها أماني زوجته وهي تُجردها من ملابسها كما أمرها مروان، كان يلتقط لها صورًا دون أن تشعر، ظل يتصفحها ويتنقل من واحدة إلى الأخرى وقد وصل الجنون إلى أقصاه متجسدًا على ملامح وجهه وعلى عينيه التي اتسعت عن أخرها، يبتسم بنصف وجهه وهو لا يتوقف عن ضغط زر ثابت في لوحة المفاتيح برتابة، السكون الذي يغلف مروان ينُمُ على أنه غارق في الأفكار السوداء ، باستخدام أزرار إضافية على لوحة المفاتيح اختار الصور التي تم تصويرها باحترافية دون أخطاء، اختارها بعناية ثم قام برفعها جميعًا على موقع التواصل الاجتماعي من صفحة وهمية، كتب عليها « شاهد فتايات مصريات يمارسن السحاق » ضغط على زر التأكيد وهو يبتسم بهوس مريب .

****

صوت شجار مرتفع اخترق أذن ولاء الجالسة في غرفتها تترقب وصول سيف طبقًا للخطة المتفق عليها مع مروان، صوت أبيها يرتفع بشكل مبالغ فيه وكأن الطارق كان لصًا يعرفه جيدًا فنشب بينهم شجار شديد،

الصوت الذي يختلط مع صوت والدها ليس بمنأى عنها، أسرعت من خطواتها حتى خرجت من الردهة إلى الصالة الواسعة ، من زاوية تسمح لها برؤية ما يحدث وجدت والدها يمسك فارس زوجها من ملابسه، يصرخ في وجهه في الوقت الذي احتدت فيه نظرات فارس وهو ينظر إليه بتحدي، سيف يقف بعيدًا عنهم ينكمش على نفسه، ثغره مفتوح عن آخره وعلى وجهه تظهر البلاهة بوضوح شديد، لا يفهم ماذا يحدث فبمجرد أن فُتِحَ الباب ارتفع صوت والد سلمى وصرخ في وجه فارس الذي تبدلت ملامحه أيضًا بمجرد أن التقت عيناه بعين والد سلمى الذي تحفز ومسكه من ملابسه، هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها فارس وهو لا يعير لفرق السن الشاسع بينه وبين أحد أي تقدير أو احترام، تحفز فارس أيضًا و احْتَدَ الحوار بينهم وتأجج بسرعة البرق، لا يجد سيف ما يفعله من هول المفاجأة سوى أنه انزوى بعيدًا عنهم بصحبة علامات الاستفهام الشديدة التي تحوم حول رأسه، توقفت ولاء عن الحركة وتسمرت مكانها كتماثيل الرخام ، هربت الدماء من عروقها في الوقت الذي تيبست فيه ملامح وجهها على فارس زوجها وحبيب عمرها .

****

أماني تجلس على الأريكة وأمامها كوب يحتوي على شيء ساخن، يتصاعد منه الدخان برشاقة عالية، تسند رأسها على يدها وتغرق في التفكير فيما وصلت إليه وفيما وصل إليه والدها، تداعب بأصابعها خصلات شعرها كل حين وكأنها تحلب الأفكار من رأسها لتدري ماذا عليها أن تفعل، وقع أقدام مروان وهو يقترب ناحيتها قطع سيل أفكارها المنهمر عليها بلا هوادة، كان يقترب منها وعيناه تحمل كمًّا هائلاً من الخبث، قُبِضَ قلبها من هيئته وهو يتحرك تجاهها كالضبع الجائع .

****

لا تـزال عـين فـارس مثبتـة عـلى ولاء ووالدهـا يرجـه بقـوة كـما يُـرّج الـدواء قبـل الاسـتعمال، يتذكـر فـارس لقاءهـم الأخـير يـوم بطولـة الجمهوريـة ويتذكـر أيضًـا كيـف تخلـت عنـه وأمرتـه أن يبعـد عنهـا دون وجـود سـبب، الدمـوع تتسـاقط مـن عينـه كـما بـدأت تتسـاقط مـن عـين ولاء، بـات لا يسـتمع إلى صراخ والدهـا وهـو ينهـره ويسـأله مـا الـذي أتـى بـه إلى هنـا بعـد انتهـاء كل شيء، فـارس لا يسـمع سـوى نبضـات قلبـه المتسـارعة التـي تهمـس باسـم ولاء في كل دقـة، دفنـت ولاء معظـم وجههـا بـين كفيهـا وهـي تبكـي بحرقـة شـديدة، لا تـدري لمـاذا تبكـي، هـل لأنهـا تشـتاق إليـه أم تبكـي لأنهـا خائفـة ممـا سـتناله مـن والدهـا بعـد انصرافـه، أم لأنـه يراودهـا إحسـاس بأنهـا زوجـة خائنـة، تواعـد صديقـه وهـي لا تـزال زوجتـه، هـي لم تفعـل ذلـك بمحـض إرادتهـا لكنهـا فعلتُـه في النهايـة، أحاسـيس مختلفـة تكاتلـت بداخلهـا فزجـت بهـا داخـل متاهـات الداديـة التـي صممهـا مـروان بمهـارة فائقـة، اسـتفاق فـارس مـن غفوتـه، أدرك أنـه أتـى إلى هنـا بصحبـة صديقـه سـيف مـن أجـل الاتفـاق عـلى زيجـة ، صديقـه أحضره إلى هنـا ليتـزوج زوجتـه، انتفـض فـارس كأن ثعبانًـا قـد لدغـه، تخلـص مـن قبضـة والـد ولاء، دفعـه بقـوة كادت أن تُسـقطه عـلى الأرض، هـرول تجـاه سـيف الـذي رأى في عينيـه شرارًا لا ينُـمّ عـن خـير أبـدًا، يقـترب منـه والعـروق تظهـر بوضـوح عـلى طـول ذراعـه، قبـض فـارس أصابـع يـده بتحفـز قبـل أن يرفعهـا إلى أعـلى ليسـددها في وجـه سـيف.

****

مـروان يجلـس أمـام أمـاني يتفـرس ملامحهـا بهـدوء سـمج ثقيـل، أمـاني بـدأت ترتـاب في ردود أفعـال مـروان الغـير مفهومـة، تسـأله بهـدوء عـن سـبب تلـك النظـرات المبهمـة الغـير مفهومـة .

- أنتِ غبية يا أماني علشان مشيتي ورايا وصدقتيني من غير ما تعرفي الحقيقة .

الكلمات نزلت عليها كالصاعقة، تنظر إليه ببلاهة ولا تدري هل يمزح معها أم يتحدث عن شيء لم تنتبه هي إليه .

- أيه فكرة أني بهزر مش كدة، لا مش بهزر، سيف عمره ما أجوز نادين ولا أجوز سلمى .

اتسعت عين أماني عن أخرها .

- سيف ملوش دعوة بموت نادين ولا حتى بإدمنها للمخدرات، هو بس اشترك مع أصحابي في الكلام المسيء اللي أتقال عليها، وأنا قررت أنتقم منهم كلهم بنفس المبدأ اللي قولتلك عليه قبل كدة، أنا غويتهم زي ما عزازيل غوا حوا وآدام .

- عزازيل مين ؟

- إبليس أيام ما كان من أشراف الملائكة، بعد كدة قرر أنه يغوي كل البشر علشان يكشف نفوسهم الضعيفة من غير ما يكون ليه سلطان على حد ووقت الجد هيقول أنا أخاف الله رب العالمين .

- طب وأنا يا مروان تحطني ليه في كل ده .

أغمض عينيه قبل أن يُجيبها باستفزاز .

- موني متستعجليش دورك جي، آه على فكرة أنا اللي مركب الصور دي لأبوكي وأنا اللي رتبت كل حاجة حتى مع بتوع الإعلام اللي نشروا الفضيحة ، الصور أخدتها منك لما طلبت اللاب توب بتاعك بأي حجة ، كنت متأكد أن فيه صور عليه .

اتسعت عين أماني عن أخرها وهي تستمع إلى كلام مروان الذي

يتصاعد فيه الاستفزاز والمفاجأت معًا، أردف محافظًا على ذلك الإيقاع المثير للأعصاب.

- ما هو أصلي الفلوس عصب الحرب والحرب متنفعش من غير إعلام والإعلام عمره ما هيشتغل من غير فلوس، كله بيخدم كله، حلقة مغلقة.

- ليه يا مروان، ليه بابا، أنا حبيتك.

- حبتيني ده جزء من الخطة، ليه بابا ده سؤال مهم، إجابته لأن بابا هو السبب في اللي حصل لنادين.

****

فارس يُسدد اللكمات إلى وجه سيف الذي بات لا يستطيع التقاط أنفاسه، يصرخ في وجهه بجنون.

- أنت جايبني لحد هنا علشان تتقدم لمراتي، دي لسه على ذمتي.

ارتفع حاجبي والدها معًا وزم شفتيه إلى الأمام، اتسعت عيناه قبل أن يُسدد نظرات نارية إلى ولاء التي انكمشت على نفسها عندما تناولت أذنها السر الذي بينها وبين فارس، والدها هرول إليها والشر يتطاير من عينيه، تشعر ببركان الغضب الذي يغلي بداخله، صفعها على وجهها قبل أن ينهال عليها بالصفع والضرب المبرح، ابتعدت ولاء عنه خطوات معدودة إلى الخلف وصرخت في وجهه.

- كفاية بقى، أنت مفكر أنك كدة بتحل المشكلة، أنت كدة بتعقدها أكثر، أصلاً أنت السبب في المشكلة من الأساس، ظلمك وقهرك ليه هو اللي وصلني لكدة، خوفي منك ومعاملتك الزفت ليه هي اللي خلتني أفكر بالشكل ده، كنت عاوزة أخلص منك ومن البيت ده بأي طريقة، أنت عمرك ما صاحبتني ولا عاملتني أني كبيرة وعندي شخصية،

خوفي منك هو اللي خلاني واحد زي مروان يبيع ويشتري فيه زي ما هو عاوز.

تناولت أذن فارس اسم مروان فتوقف وانتبه إليها ، ترك سيف الذي سقط مغشيًّا عليه من شدة الضرب.

- خوفي منك وكُرهي للي بتعمله معايا خلا مروان يبتزني ويهددني أني لو ممشتش مع سيف وصاحبته هيجي يقولك إني مجوزه فارس في السر، فارس اللي لما جه يتقدم لي رسمي وأنا أكبر منه طردته وهزأته قدامي، فارس اللي ضحى بكل حاجة مقابل أنه يبقى جنبي مش أنت اللي عمرك ما سألتني مالك ولا في أيه مزعلك ولا مضايقة ليه، أنت أب فاشل، أنا بحترمك أحقر احترام في الدنيا، احترام مبني على خوف.

أنهت حديثها وخرجت تركض إلى خارج الشقة ، ركض فارس خلفها.

****

نادين بحاجة إلى رؤية الدكتور مصطفى لتسأله عن بعض الأشياء التي تعثرت في فهمها وهي تدرس مادته ، احتضنت الكتاب والكشكول وهي تترجل بسرعة تجاه المبنى الذي يقع فيه مكتبه، كانت نادين تعتبره أستاذها ووالدها في الوقت ذاته دائمًا كان يخبرها أن مكتبه مفتوح لها في أي وقت، نادين تهرول لتلحق به قبل أن يذهب فالوقت قد مضى ومعظم العاملين بالكلية قد انصرفوا حتى الدكاترة لكن أخبرها دكتور مصطفى ذات مرة أنه في بعض الأحيان يستمر لساعة بعد انتهاء اليوم الدراسي، أخذت نادين في السير لعلها تلحق به، وصلت إلى تلك الردهة الطويلة التي توجد في جميع الكليات الحكومية، مرت على المكاتب المغلقة التي تحمل أبوابها لفتات محفور عليها أسماء الأساتذة، اقتربت حتى أدركت

باب دكتور مصطفى الموارب، اقتربت أكثر وقبل أن تطرق على الباب اصتدمت عيناها به وهو يحتضن فتاة، إنها زميلتها في الدراسة ، أدركت أنها هي بمجرد أن رأت ظهرها المواجه لها، هي تعرفها جيدًا ولا تحتاج إلى أكثر من ذلك لتعرفها، دكتور مصطفى يلثم شفتيها في شغف شديد، يقبل كل موضع في وجهها وقد وصل إلى درجة اندماج شديدة تجعله ينفصل تمامًا عن ما يدور حوله، الصدمة جعلت نادين تتخشب مكانها ولا تدري ماذا تفعل، ارتطمت فكرة برأسها فأخرجت هاتفها وبدأت بتوثيق ما يحدث عن طريق تسجيل فيديو، استمر الفيديو لدقائق أدركت زميلتها ذلك وهي في أحضان الدكتور مصطفى وقت ما كانوا يدوروا حول بعضهما وهما في قمة نشوتهم، صرخت ففزع الدكتور مصطفى ، أشارت تجاه نادين الذي ركضت مبتعدة عن المكتب .

مرت عليها ليلة ثقيلة وهي غارقة في التفكير ماذا ستفعل بهذا الفيديو الذي تمتلكه، في البداية جاءتها فكرة طائشة تحثها على رفع الفديو على شبكة الأنترنت لكن سرعان ما تخلت عن تلك الفكرة ، أطالت التفكير حتى جاءتها فكرة أخرى ستذهب غدًا إلى مكتب عميد الكلية وستخبره بكل شيء .

نادين تنظر إلى عميد الكلية الذي يمسك بين يديه هاتفها الخلوي ويشاهد الفيديو، تراقب ردود أفعاله التي تتصاعد كلما مرت ثواني إضافية فيه حتى إنه وصلت إلى ذروتها مع نهاية الفيديو، ضرب بكلوة يده على سطح المكتب بعدما سردت له نادين كيف قامت بتصوير ذلك الفيديو، أمرها ألا تخبر أحدًا بما حدث وأن تنتبه فقط لدراستها حتى لا تخفق في شيء وأن تترك له ذلك الموضوع، أخذ منها الفيديو ثم طلب منها بأن تمسحه من هاتفها حتى لا يُسبب لها أي متاعب، ما حرك شكوكها هو سؤاله لها ليتأكد هل تحتفظ بنسخة أخرى أم لا .

زميلتها «منه» أكدت لها تلك الشكوك حينما قصة عليها ما حدث بعدما وصفتها بأغبى شخص في العالم فكيف تقدم على خطوة مثل تلك دون الرجوع إليها؟!

- يعني أنا كدة غلط.

- طبعًا تقدري تقوليلي هيبقى أيه العمل لو العميد موقفش جنبك وراح قال للدكتور على اللي حصل وحطك في دماغه وطبعًا حضرتك مش معاكي ولا دليل واحد، وعلى فكرة دكتور مصطفى والعميد شُركة في شغل بره.

- يا نهار أبيض والله ما كنت أعرف طيب أيه العمل؟

- سبيها على الله بقى.

مرت الأيام بهدوء دون أن يحدث شيء حتى جاء مجموعة من أمن الكلية وطلبوا تفتيش شنطة نادين، في البداية كانت لا تفهم شيئًا حتى فُتِحت ووجدوا بها قطعة حشيش فتم تحويلها إلى عميد الكلية.

نادين تبكي بحرقه أمام مكتب العميد الذي نظر إليها من أعلى عويناته باستفزاز شديد.

- الموضوع ده لو اتحول للنيابة هيتعملك قضية وهتتسجني فأنا هكتفي بفصلك 3 سنين.

- بس ده ظلم، حضرتك عارف أنه ظلم، حولني مجلس تأديب.

ابتسم العميد بخبث شديد وهو ينظر لها كالضبع.

- أنتِ والمجلس التأديب والكلية كلها تحت سلتطي أنا.

أنهى كلماته ثم أمرها بالانصراف، خرجت من المكتب فوجدت دكتور مصطفى يقف في الخارج يدخن تبغ وينظر لها بتشفي غريب.

****

أماني تجلس على الأريكة، ترفع رأسها إلى أعلى لترمق مروان الذي ينحني عليها فيصبح وجهه قريبًا جدًا من وجهها الغارق في الدهشة والذهول، تنظر له بتعجب شديد وعيناه تتسع على أثر ما تناولته أذنها، مروان يستكمل قصة أخته الوحيدة بملامح وجه جامدة وبعينين يخرج منها الشرار.

– طبعًا نادين خبت عليا الموضوع ده بس مستحملتش، فراحت لطريق المخدرات، وفضلت تشرب وتشرب لحد ما ماتت في يوم نتيجة جرعة زيادة، طبعًا « منة » كانت خايفة تتكلم وتحكي لي اللي حصل علشان متتفصلش هي كمان لكن الموضوع اختلف خالص معاها لما نادين ماتت، بعدها دخلت المصحة أتعالج نفسيًا من اللي حصل، هناك دكتور حازم فهمني حاجات كتير مكنتش فاهمها وسمعني بودني أصحابي وهما بيقولوا على أختي إنها مدمنة و ......

جلس مروان على الأريكة بإريحية شديدة بجوار أماني التي ظلت تنظر له بعين لم تتوقف عن البكاء وبفم ملتاع يخرج منه العويل المكتوم، مروان ينظر إلى السقف ويستأنف حديثه.

– كل اللي حولي طلعوا خونة، تعبت أكتر وأنا في المصحة بس هناك دكتور حازم علمني نظرية قابيل وهابيل وقررت أن أطبقها وبصراحة عجبتني أوي، نادين تعبت من نهش الكلاب وجه دوري علشان أسدد دين كل واحد.

– مروان أنت كداب، بابا مش هيعمل كدة أنت اللي مريض.

– لا أنا مش مريض أنتِ اللي رافضة تصدقي، مش أنت اللي قولتي أنك عارفة أنه بتاع نزوات، أنتِ ناسية ولا أيه، أبوكي نجس يا أماني.

صرخت في وجهه « طيب اجوزتني ليه »

- الصراحة علشان أنتقم، عاوز أحرق قلب أبوكي عليكي زي ما حرق قلبي على أختي، أجوزتك علشان أطلقك بس بفضيحة، علشان شاذة جنسيًا .

أخرج جهاز تابلت ووضعه أمام وجهها فوجدت صورها وهي تخلع الملابس عن ولاء ومكتوب أعلاها من حساب وهمي « سحاق بنات مصريات » .







(27)

مسابقة الجمهورية للسباحة .

ولاء تجلس وسط الجمهور المتكدس في تلك الرقعة الصغيرة المُخصصة لهم حول حمام السباحة، تقدم المتسابقين ووقفوا جوار بعضهم البعض استعدادًا لانطلاق المسابقة، فارس يعلق عينيه على ولاء التي ظلت تشير إليه كثيرًا، تحاول تحفيزه بشتى الطرق ليفوز بالمسابقة، غمز لها بإحدى عينيه قبل أن يرتدي نظارة السباحة، شد عضلات جسده بحركات رياضية مستعرضًا ياقته ورشاقته المتناهية، ووقف الجميع في وضع الاستعداد قبل تنطلق الصافرة ويقفز الجميع في المسبح ، تعالى رنين هاتف ولاء بمجرد وصول جسد فارس للماء، رقم هاتف فارس يتصل بها، اتسعت عينيها بدهشة شديدة وارتابت في الأمر لكنها استسلمت في النهاية إلى الرد على الاتصال ليأتيها صوت غريب عنها يطلب مقابلتها ، الغريب أنه ناداها ب « مدام فارس » .

ولاء تتقدم بأقدام رخوة لا تجسر حتى على الترجل، ترتعش كلما اقتربت لرؤية ذلك الشخص، ظهر مروان أمامها فجأة كأنه نتأ من العدم، كان يترجل ببرود وبطريقة مستفزة تجعلك تشعر أنه تحت تأثير مادة مخدرة .

- مدام ولاء مش كدة .

- أنت مين وعاوز أيه .

- أنا مين دي إجابتها واحد مجنون لسه خارج من المصحة ومعايا شهادة بكدة، عاوز أيه بقى دي إجابتها عاوز حاجات كتير أوي وأنتِ هتساعديني فيها علشان دي .

أخرج ورقة زواج عرفي بينها وبين فارس، حركها أمام عينيها كبندول ساعة عتيقة .

- أشبع بيها ولا تفرق معايا .

ابتسم مروان في خبث شديد ثم أردف ساخرًا .

- يا واد يا جامد على الثقة، هي فعلاً مش فارقة معاكي علشان كدة جيتي جري أول ما قولتلك يا مدام فارس ، عمومًا أنا هتصرف .

أخرج هاتفه الخلوي وظل يداعب شاشته بأصابعه .

- بصي أنا هعمل مكالمة صغيرة ، في رقم كدة لقيته على تليفون فارس لما قلبت فيه بعد ما فتحت الشنطة اللي الغبي سبها معايا وفيها عقد الجواز العرفي، والله لقيته صدفه بس نقول أيه بقى القدر، المهم فارس مسجل رقم باسم والد ولاء حبيبتي، أعتقد ده رقم الحج مش كدة.

انتفضت ولاء وتزحزحت بعيدًا عن الثبات الانفعالي التي تحاول من بداية اللقاء الحفاظ عليه .

- لا أبويا لا أبوس إيدك .

لانت ملامح مروان وبدت أكثر استفزازًا .

- الله هي راحت فين الثقة .

- طلع أبويا بره الموضوع ده علشان لو عرف مش هيحصل خير .

- موافق بس بشروط .



- شروط أيه !!

- ابعدي عن فارس خالص .

- أنت بتقول أيه !

- اللي سمعتيه ولا نبعت الورقة للحج.

- لا خلاص حاضر حاضر .

- شطورة، رقمك يتغير، تجيبي خط تاني وتكلميني على الرقم بتاعي اللي هدهولك دلوقتي، فارس ما يعرفش الرقم الجديد وتفهميه قبل ما تغيري الفون أنه ميجيش جنب البيت عندك علشان هيبقى فيه مصيبة .

- أنت هتستفيد أيه من اللي بتعمله ده .

- من ناحية هستفيد هستفيد؛ لأنه هيبقى فيه شغل ما بنا كتير جدًا هتعرفيه بعدين .

****

فارس يقترب من منزل مروان راسمًا كل تعابير الغضب والانتقام بعدما خرج من ذلك النوم الطويل الذي كان يعتقد فيه بأن مروان صديق مخلص، قَصَّتْ عليه القصص وأخبرته بما فعله مروان معها ومع جميع أصدقائه فأدرك فارس حجم المصيبة التي كانوا فيها دون أن يعلم أحد، وصل إلى باب الفيلا فطرق عليه كالمجنون، يده الأخرى يضغط بها على جرس الباب دون توقف حتى فتح مروان، لم يمهله فارس وقت للتفكير سدد له ضربة قوية جعلته يسقط أرضًا، أغلق الباب بعنفٍ كاد أن يفسخ مزلاقه، اقترب من مروان الذي بدأ يضحك كالمجنون، قطرات العرق تتكاثر على وجه وذراع فارس التي تحولت ملامح وجهه إلى ملامح شديدة الشراسة .



- واضح كدة أن ولاء حكتلك على كل حاجة ، أقصد مدام ولاء .

- متجبش سيرتها على لسانك يا حيوان .

- طيب أنا حيوان، والحيوان مش بيفهم، ولاء ، ولاء ، ولاء .

هَأهَأ مروان بسخرية مُحاولاً استفزاز فارس .

- بس على فكرة هي متعرفش أني أنا اللي اتصلت بأبوك وقولتله ألحق ابنك بيشرب مخدرات .

تذكر فارس ما حدث لوالده فغلت العروق في دمائه أكثر وأكثر ودس يده في جيب بنطاله الخلفي وأخرج سلاح أبيض حاد، ذراعُه المُتحفز ممدود عن آخره، تزحف عليه العُروق الزرقاء البارزة زحف اللبلاب على الجدران، تكسوه قطرات العرق الكثيفة التي بدأت تلمع مع انعكاس الإضاءة، عضلاته المشدودة على ذراعِه المنتصب تعلن عن ذلك الضغط الشديد الذي يقع هو تحت تأثيره، تتسارع دقات قلبه وهو يقبض بأصابعِه على سلاح أبيض لامع ذو نصل حاد و أسنان شرسة قاطعة، يوجهه إلى مروان الذي يستقبل هذا التهديد الصريح بسخرية عارمة، نصف ثغره متكتل على الجانب الأيمن ومفتوح فتحة بسيطة تكشف عن جزء من أسنانِه التي لا تختلف كثيرًا عن أسنان النصل الحاد من وجهة نظر ذلك الشاب، مروان لا يعنيه ذلك التهديد ولا ذلك الانعكاس الضوئ الذي يداعب عينيه حينما تتحرك يد ذلك الشاب فيعكس النصل اللامع الإضاءة على وجه مروان البارد بشكل مبالغ فيه .

- مطوة !! شيل يابني السلاح الصغير ده من ايدك بدل ما تعور بيه نفسك .

قالها مروان بغَطْرسة وتفاخر غريب ينمُ عن مدى اعتزازه بنفسِه .

❋ ❋ ❋



الفصل الأخير

دكتور حازم الطبيب النفسي الذي يمتلك تلك المصحة التي كان يتعالج بها مروان يجلس أمام ضابط المباحث الذي استدعاه للتحقيق معه بعدما تلقى من فارس اتصالًا يشي بفعلته ويعترف بطعنه لمروان كأنه فخور بما فعل، دكتور حازم يُخبر ضابط المباحث كل شيء يخص مروان زيدان .

- مروان كان بيتعالج عندي من زمان من قبل وفاة أخته نادين الله يرحمها بكثير .

- آه، يعني مروان مجنون أصلاً يا دكتور .

- مش مجنون يا باشا، مروان شخصية سيكوباتيه فيها نوع من الازدواجية، يبهرك بشخصية وديعة، مبتسمة، ملتزمة لدرجة أنك من الوهلة الأولى تتمنى أنه يكون صديق ليك لكن مع الوقت بتكتشف أن في خبايا وشراسة وكمية كدب وخداع أنت لا تتخيلها، الشخصية السيكوباتية اللي كان بيعاني منها مروان يهمها في المقام الأول مصلحتها الشخصية، بيستغل كل اللي حوليه علشان يوصل لأهدافه ورغباته، بيحب السيطرة والعدوانية بدرجة مرضية ممكن تأذي اللي حوليه.

- ولما أنت عارف كدة يا دكتور سيبه ليه بره المصحة .

- الشخصية السيكوباتية موجودة في كل مكان حولينا، في البيت والشغل والمواصلات والأندية، لكن نسبة المرض بتتفاوت وفي كل الحالات هي ملهاش غير العلاج السلوكي ومش بتتحفظ على المريض السيكوباتي لأن علاجه عمره ما هيتم إلا من خلال تعامله مع الناس، وده مرض مزمن بياخد وقت.

سحب ظابط المباحث نفس من لفافة التبغ وعيناه تضيق.

- ده بيفسر حاجة مهمة، هي علاقة مروان بأصدقائه اللي تقريبًا أقل منه ماديًا.

- الشخصية السيكوباتية عمومًا بتبني كل علاقتها على اللي أقل منها في كل شيء علشان تعرف تفرد عضلاتها عليهم، مروان في الأصل كان كدة كدة سيكوباتي بس الموضوع زاد بوفاة أخته، اتحول لبني آدم تاني، بشع بس والده كان مصمم أنه ميبقاش موجود في المصحة فترة طويلة.

****

الدكتور حازم يخرج من مكتب ضابط المباحث يبتسم بخبث شديد تُدرك معاه أنه لا يزال يحتفظ بسرٍ ما لم يفصح به لوكيل النيابة أثناء التحقيق، كانت هيئته شبيهه بحيوانٍ ماكر يتحين الفرصة المثالية للانقضاض على فريستِه، دكتور حازم استطاع مراوغة ضابط المباحث ليتخطى ذلك الجزء الهام الذي كان سببًا رئيسًا فيما حدث، تتجاهله بحرفية شديدة مما جعله يترجل فخورًا بنفسه وبعقلِه الذي مهد له الطريق لفعل ذلك.

****

دكتور حازم داخل مكتبه الفخم في المصحة الخاصة به، يجلس على المكتب الخاص به، أمامه كل من فارس وسيف.

- حضرتك متأكد يا دكتور من اللي بتقوله ده، يعني معقول نعمل كدة.

- طبعًا يا فارس متأكد، ده اسمه علاج بالصدمة، مروان كان متعلق أوي بنادين وعمره ما هيخرج من اللي هو فيه ده إلا بالطريقة دي.

- يعني أيه اللي مطلوب مننا بالظبط.

- هتتصل على موبيله، كأن الموبيل هنج واتصل لوحده وهتفضلوا تتكلموا كلام وحش على أخته، أنها مدمنة وصايعة وحياتها تقريبًا انتهت بشكل مؤسف وهكذا.

سيف وفارس لا يقتنع أي منهما بهذا الكلام، يتبادلان النظرات بينهم وهم مرغمين على فعل ذلك مدام فيه شفاء لصديقهم المقرب.

****

مروان ينزوي في غرفته داخل المصحة، يجلس على الأرض في وضع القرفصاء، جسده يرتعش وهو يستمع إلى أصدقائه وهم يتبادلون الكلام المسيء على أخته الوحيدة، ينعتوها ويصفوها بأقذر الألفاظ، التيلفون في يد الدكتور حازم يضعه بجوار أذنه ويتابعه وهو يبتسم حتى أغلق الهاتف، طبطب على كتفه بهدوء قبل أن يُشير إلى مساعديه فيُنهضوا مروان ويسحبوه إلى خارج الغرفة.

****

داخل إحدى الغرف المغلقة المجهزة بأدوات وإمكانيات قد تفوق الخيال، مروان يجلس على كرسي مقيد الأطراف بإحكام، يرتدي خوذة على رأسه يخرج منها العديد من الأسلاك، أمامه يجلس الدكتور حازم، يرمقه بتركيز شديد.

- مروان أنت مش ضعيف أنت جواك طاقة كبيرة وعقلية محترمة جدًا تقدر تخليك تنتقم من كل اللي حواليك، تنتقم من كل واحد كان السبب في اللي حصل، سواء دكتور مصطفى أو أصدقائك اللي عمالين يكلوا في لحم أختك.

- أنت كان عندك حق يا دكتور لما قولت أننا عايشين في مجتمع ميستحقش الشفقة ولا الرحمة.

- أنا حبيت بس أثبتلك أن الكل خاين فركبت جهاز تصنت في تليفونات أصحابك علشان أكشفهم.

تنهال دموع مروان بغزارة، تركه دكتور حازم وسند رأسه إلى الكرسي الوثير.

- أنا مش هسيب حد فيهم.

- تفتكر أصحابك دول مش بيعملوا حاجة غلط، دور وراهم وركز وأنت تعرف كل حاجة، واحد زي سيف اللي عامل فيها أينشتين ده ولو أتحط في طريقه واحدة حلوة مثلًا تفتكر هيفكر في دراسته، يا مروان الكل متدين حتى تأتي العاهرة، حط المثل ده في راسك كويس وأعمل بيه.

****

مروان نائم بأريحيه شديدة على «الشازلونج» المخصص للعلاج النفسي بجوارِه يجلس دكتور حازم وهو يدخن غليونه ويستمع إليه بسعادة بالغة.

- تخيل يا دكتور بقلب في الشنطة بتاعت فارس لقيته مجوز عرفي، اللي كان عمال يتريق على أختي ويعيب فيها.

- شوفت يا مروان قولتلك محدش يا ابني بقي كويس.

- أنا كنت مفكر نفسي أقوى من الناس دي كلها بنفوذي ومالي، إنما هما طلعوا أوساخ .

- ناوي على أيه معاهم .

- أنت مش قولت لي قبل كدة أن سيف لو اتحطت واحدة في طريقه حاله هيتقلب .

- فعلا .

- خلاص أنا غالبًا لقيت الوحدة دي .

- برافو يا مروان، المهم بدأت تاخد الكبسولات اللي قولت لك عليها .

- آه يا دكتور بدأت فيها .

- كل يوم كبسولة لمدة أربعين يومًا .

****

دكتور حازم يجلس خلف مكتبه ، مروان يدخن لفافه تبغ وقد احتدت قسمات وجهه وظهر المكر عليه بوضوح، يدخنها ببطء وهو يستمع إلى كلام الدكتور حازم بإنصات شديد .

- الناس اللي حولينا ثلاثة أنواع يا مروان، نوع بيعمل الغلط في السر، ونوع عاوز يعمل الغلط بس مش لاقي السكة ونوع تالت لسه متحطش تحت ضغوط علشان يقدر يقرر هيعمل أيه، أحنا كلنا حكمنا على قابيل أنه بيمثل الشر وهابيل بأنه بيمثل الخير، تفتكر لو كان القربان أتقبل من قابيل كان هابيل هيفضل بيمثل الخير ولا كانت الضغوط هتخليه واحد تاني .

اتسعت عين مروان عن أخرها وهو يستمع إلى وجهة نظر الدكتور حازم الذي أردف .

- أصحابك اللي قعدوا ياكلوا في لحم أختك دول لازم تدور وراهم وتضغط عليهم وتشوف ردود أفعالهم.

أخرج مروان كبسولة لونها أحمر مطبوع عليها صورة لنسر يفرد جناحيه وشيئًا ما معلق في قدمه شيئًا دائري بداخله مثلث .

دكتور حازم تذكر كل هذه الأحداث سريعًا وهو يوالي هبوط درجات السلم داخل القسم ولا يزال يرسم على وجهه ابتسامة الخبيثة .

****

رجل ضخم الجثة ذو لحية صفراء غزيرة ورأس صلعاء، يدخن سيجار سميك، ينفخ دخانه الكثيف في وجه الدكتور حازم الذي يجلس أمامه منكمش على نفسِه بشكل يوحي إليك أنه يهاب ذلك الرجل الذي لم يتوقف عن نفخ دخان السيجار السميك، يقترب منه دكتور حازم وهو ينحني بجسدِه بعض الشيء، يمد يده بملف به عدد من الأوراق إلى الرجل الضخم الذي أخذه منه ولا يزال يحتفظ بقسمات وجهه الجامدة، الأوراق محفوظة داخل إطار بلاستيكي ملون مطبوع على وجهته الأمامية صورة ذلك النسر الذي يفرد جناحيه وممسك بمخالبِه دائرة من سلاسل حديدية بداخلها صورة لمثلث في نهايته عين بشرية ، إنه نفس الوشم المطبوع على العَقَّار الذي يتناوله مروان، مطبوع أسفل الرسمة كلمة MK Ultra .

هذا الرجل الضخم والدكتور حازم تابعين إلى ذلك المشروع الأمريكي الغير إنساني، نظرة سريعة يلقيها ذلك الضخم على كل ورقة داخل الملف قبل أن يخبره بلغته الأعجمية .

- هذه هي كل المعلومات التي تخص مروان منذ أن خضع للتجربة .

أجابه دكتور حازم بلغتُه التي يُجيد التحدث بها .

- أجل يا ويلر، مروان كان يتناول العقار بصورة يومية وهناك بحث كامل عن تطورات حالته يومًا بيوم وكيف تمت برمجة عقله بزرع معتقدات وأفكار جديدة كما طلبتم .

- مجهود رائع يا دكتور حازم ولكن نحن نريد المزيد والمزيد فالمجتمعات العربية خاصة مجتمعكم لن يتم السيطرة عليه إلا من خلال العبث في معتقداته الدينية وعاداته، يجب علينا إضعافها من خلال ذلك العقار .

- لا تقلق يا سيد ويلر فنحن لازلنا في مرحلة التجربة، بل في أول تجربة للعقار ولم نختار بعد المواصفات النهائية له .

- مروان كان يعاني من شخصية سيكوباتية وهذا ما ساعدك كثيرًا .

- بالتأكيد ولكني سأقوم بتجربة العقار فور تطويره علي كل شخص يملك الشر بداخله .

- جيد يا دكتور أريد الانتهاء سريعًا من الحالات التي بحوزتك حتى نتكمن من انتشار هذا العقار في بلدكم لإفساد هذا المجتمع العنيد، قريبًا سيكون هناك قنوات إعلامية سنبثُ من خلالها ما نريد بعد انتشار هذا العقار .

- وكيف سينتشر .

ابتسم السيد ويلر بخبث .

- اتفقنا مع أحد المفسدين أمثالك، سيُدخل هذا العقار إلى بلدكم في أكثر من صورة، حبوب للهلوسة لفئة الشباب أو على شكل علاج للمحاصيل الزراعية وأشكال أخرى كثيرة .

مد يده بجوار المقعد وأخرج شنطة وضعها على سطح المكتب، فتحها متعمدًا لتتسع عين حازم ويسيل لُعابِه وهو ينظر إلى أوراق البنكنوت الخضراء التي تراصت بجوار بعضها البعض .

- أريد رؤية الشخص الذي يتعاطى العقار الجديد بعد تطويره.

- بكل سرور، هو يتعاطى هذا العقار منذ فترة بعدما أصبح أكثر فاعلية، يجعل كل الخلايا العصبية تعمل بالبرمجة التي نضعها في الشخص عن طريق العلاج السلوكي، اتبعني يا سيد ويلر وسترى بنفسك.

دكتور حازم يقترب من غرفة ذات باب زجاجي شفاف تبعد طابقين أسفل الطابق الأرضي، دكتور حازم اقترب من الباب الزجاجي فظهر بداخل الغرفة شاب أصلع يجلس القرفصاء ويضع رأسه داخل ذراعِه الملفوف حول قدمه، طرق دكتور حازم على الباب فلم يحدث أي تأثير، قرع جرس يوجد بجوار الباب وتحدث إليه عبر ميكرفون مكبر للصوت، طلب منه أن ينظر إليه فلم يستجب، ضاقت عين دكتور حازم قبل أن يلقى بالكارت الأخير.

- مش هنتكلم بقى زي ما اتفقنا علشان تطلع وتاخد حقك من طارق الدسوقي وكل الناس اللي ظلمتك.

رفع رأسه وعلى وجهه أمارات الغضب والشر متحدة، ظهر وجهه لنكتشف أنه الحوافريت «عماد»

- أنا عاوز حقي من كل الناس اللي بره كلهم أحفاد قابيل، كلهم أحفاد الشر.

دكتور حازم نظر إلى السيد ويلر وقام بترجمة ما قاله الحوافريت وتبادلا الابتسامات الخبيثة.







noon_publishing@yahoo.com

0235860372- 01127772007

ساحر الكتب

هل لو تقبل الله القربان من قابيل كان سيظل هـابيل ذلك الشخص الطيب أم أن ضغـوط وظروف ما حدث كـانت ستجعل منه شخصًا أكثر شر وشراسة .









للنشر والتوزيع